

أناقة القنفذ

الرواية الفائزة بجائزة المكتبات – فرنسا 2006

تأليف:

مورييل باربري

ترجمة وتقديم:

محمود قاسم

الكتاب: أناقة القنفذ .. الرواية الفائزة بجائزة المكتبات – فرنسا 2006

الكاتب: مورييل باربرى

ترجمة وتقديم: محمود قاسم

الطبعة: 2018

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575

فاكس : 35878373



<http://www.apatop.com> E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

باربرى ، مورييل

أناقة القنفذ / مورييل باربرى، ترجمة وتقديم: محمود قاسم

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

345 ص، 18 سم.

الترقيم الدولي: 0 – 594 – 446 – 977 – 978

أ – العنوان رقم الإيداع : 2018 / 21751

أناقة القنفذ

الرواية الفائزة بجائزة المكتبات
فرنسا 2006

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»



قبل أن تقرأ

هذه الرواية حالة خاصة، سواء بالنسبة لكاتبها، أو لمن يقوم بترجمتها، وبالطبع لقارئها، إنها رواية ثقافة، لن تستطيع أن تتوغل فيها، إلا إذا كنت قارئاً للفلسفات الأوروبية البارزة في القرن العشرين، خاصة الظاهرانية، والوجودية. وأعترف، قبل أن أكتب مقدمة لهذه الرواية، أنها أهتمكني بشكل ملحوظ، وقد توقفت عن ترجمتها أكثر من مرة، رغم أنني وجودى التزعة، وأنى قرأت في الظاهرانية بما يجعلنى أفهم المصطلح الذى قدمته هنا.

هى رواية لا تكتبها سوى كاتبة من طراز مورييل باربرى، التى فازت عن هذه الرواية بأربع جوائز أدبية، وليست جائزة واحدة، لكن قبل أن نتحدث عن الرواية قهنا الإشارة أننا أمام رواية من طراز "الغثيان"، وثلاثية "دروب الحرية" لجان بول سارتر، فهى رواية سكبت فيها الكاتبة كل رؤيتها الفلسفية التى درستها فى الجامعة، والفكر الذى آمنت به، خاصة رؤيتها للحياة والموت، وسوف تجد شخصيات أقرب إلى روكنتان فى رواية "الغثيان" من خلال بالوما ورينيه ميشيل، علماً بأن فارق السن فيما بينهما يصل إلى ثلاثة وأربعين عاماً.

إذن، فالزمن يتواصل، إن الفلاسفة يكتبون الروايات، وفى هذه الروايات الصعبة يسكبون آراءهم وفلسفاتهم التى آمنوا بها، وقد فعل الكثير من تلاميذ سارتر الشئ نفسه، وأثاروا الضجيج والجدل برواياتهم، مثلما فعل الفيلسوف برنار هنرى ليفى فى روايته "الشيطان فى الرأس" 1984، وكذلك فعلت الكاتبة المصرية فوزية أسعد فى بعض رواياتها ومنها "مصرية"، و"أطفال

وقطط"، وغيرها، وإن لم تسكب فلسفتها بنفس الصعوبة التي نراها في رواية "أناقة القنفذ".

مورييل باربرى، المولودة في الدار البيضاء بالمغرب في 28 مايو 1969، لم تعاصر سارتر ورفاقه في قمة مجدهم، لكنها درستهم في الجامعة مثل كولومب إحدى بطلات الرواية، فهي التي درست في المدرسة العليا فونتناى سان كلود، ثم تخرجت في قسم الفلسفة، وعملت في بداية حياتها مدرسة للفلسفة لطلاب الثانوى، قبل أن تنتجه إلى كتابة الرواية، وتقدم نفسها إلى الحياة الأدبية في عام 2000 بروايتها "شراهة" أى أنها نشرت هذه الرواية وهى في الحادية والثلاثين، وهو سن متأخر نسبياً، بالنسبة لاكتشاف المواهب الجديدة في فرنسا، وقد لاقت الرواية نجاحاً في الموسم الأدبي لعام 2000، وترجمت روايتها الأولى إلى اثنتى عشرة لغة، إلا أن روايتها الثانية "أناقة القنفذ" كانت بمثابة المفاجأة الأدبية للعام 2006، حيث طبعت أكثر من مرة في عام واحد، وبلغت في هذا العام 600 ألف نسخة، وهو رقم يعكس أن القارئ الذى استوعب مثل هذه الرواية المليئة بالأفكار والفلسفة في فرنسا قد يصل إلى أكثر من نصف مليون قارئ، وهذا يعنى أن الكاتبة ألقت الرواية لبني ثقافتها، الذين منحوها أربعة جوائز متتالية هى: جائزة الأديب جورج بارسنس فور صدورها، ثم جائزة الروتارى العالمية، وجائزة المكتبات، وجائزة المكتبات عام 2007.. وهذه ظاهرة فريدة، ونادرة في الجوائز الأدبية الأوروبية، فالكاتب يحصل على الجائزة نفسها مرة واحدة طيلة حياته، كما أن الجوائز توزع بالتساوى بين الروايات، فمن يحصل على جائزة جوناكور يرفع اسمه من الفوز بأى جائزة أخرى في نفس السنة.

إذن، فنحن أمام روائية استثنائية، رغم صعوبة مفرداتها اللغوية، والمفهوم الفلسفى بها، وهى رواية يمكن أن تعيش في ذاكرة من يحبون هذا

النوع من الكتابات، والغريب أن الكاتبة التي تكتب بهذا الأسلوب، هي تلميذة وفية للرواية الكلاسيكية، فحسب المراجع حول مسيرة مورييل باربري، فإن العمل الأدبي التي لا تكف عن إعادة قراءته هو "الحرب والسلام" لتولستوى، كما أن سيرة حياة الكاتبة قد انسكبت أيضاً في هذه الرواية من خلال إعجابها بالثقافة اليابانية التي تحدثت عنها باتساع، وكان الأبطال في هذه الرواية من اليابانيين أصحاب الثقافات العالمية، الذين ينتمون إلى أسرة يابانية أنجبت المخرج المعروف فرانك أوزو، وذلك كما سنرى، فالثقافة الثالثة للكاتبة - بعد الفرنسية، وثقافة تولستوى - هي اليابان، حيث اختارت الذهاب إلى بلاد الشمس المشرقة، وذلك للعمل هناك كمدرسة، لتقيم عاماً أو عامين، إلا أنها أقامت لسنوات طويلة، وعبرت عن حبها لثقافة هذا البلد كما أشرنا، في جزء كبير من فصول هذه الرواية وأحداثها، ولذا فليس من الغريب أن تفوز الرواية نفسها بجائزة يابانية، عقب ترجمة الرواية إلى اللغة اليابانية، والجدير بالذكر أن مورييل تعيش الآن في مدينة كيوتو، التي ذكرتها أيضاً على لسان بطلتها.

قبل أن نستكمل الحديث عن الكاتبة وروايتها، فمن المهم التعرف على الجائزة، جائزة المكتبات أو **Priprides Libraires**. فهي واحدة من أهم الجوائز الأدبية ضمن قرابة 380 جائزة سنوية تمنح في باريس، هذه الجوائز هي على الترتيب: جونكور - مدسيس - فيمينا - انتراليه - المكتبات وهي الجائزة الأدبية الوحيدة التي لا تمنح في موسم الجوائز الأدبية، وهو بداية موسم العودة إلى المدارس، فهي تمنح في نهاية شهر مايو سنوياً، أي أنها تمنح فرصة للقراء الذين سيذهبون إلى أجازاتهم أن يحصلوا على رواية جيدة، مضمونة الأهمية، وهي تمنح في الأساس لرؤية مكتوبة مباشرة باللغة الفرنسية، وأغلب الحاصلين عليها من الفرنسيين، وذلك عكس الجوائز

الأخرى التى تمنح أحياناً للروايات المترجمة، أو لروايات كتبها أدباء ناطقين بالفرنسية، مثل الرواية الأفغانية التى حصلت على جائزة جوناكور فى عام 2008 بعنوان "حجر الصبر" من تأليف عتيق رحيمى.

هذه الجائزة منحت لأول مرة عام 1955، أى أنها أقدم من جوائز أخرى مهمة، مثل جائزة فيمينيا، وتمنحها مؤسسة ثقافية تحمل اسم "المنظمة الفرنسية لنقابة المكتبات" FFSL، وهى منظمة تتبعها خمسة آلاف مكتبة فى أنحاء فرنسا، وبعض الدول الأوروبية الناطقة بالفرنسية، مثل سويسرا، وبلجيكا بالإضافة إلى كندا. حيث يتم التصويت عن طريق المراسلة. والكاتب الذى يحوز على الجائزة يحصل على ميدالية، وهو على ثقة تامة أن الرواية سوف توزع على كل هذه المكتبات، ومن المعروف أن أغلب جوائز الأدب فى فرنسا عبارة عن تقدير، وليست جوائز مالية، فالحاصل على جوناكور، كل ما يناله دعوة عشاء مع أعضاء لجنة منح الجائزة بالإضافة إلى ضمان بيع مئات الألوف من النسخ.

كان ميشيل دوسان بيبير هو أول من حصل على هذه الجائزة عام 1955 عن روايته "الأرستقراطية" التى ترجمت فى طبعة محدودة إلى اللغة العربية.

ورغم طول قائمة الفائزين بالرواية، فإن عدد الأسماء المعروفة لدينا من هذه الأسماء يكاد يقارب النصف، وقد كتبنا عنهم الكثير من المقالات فى صحف ومجلات عربية، الكثيرون منهم استمر فى مسيرته، وحاز على جوائز أخرى كثيرة، أى أن حصول الكاتب على جائزة المكتبات، هو بداية الحصول - فى السنوات التالية - على جوائز أخرى، أهم وأكبر، مثل الكاتبة البلجيكية فرانسواز ماليه - جوريس التى فازت بالجائزة عن رواية "الأكاذيب" عام 1957، وأيضاً الكاتب والسيناريست جورج كونشون

الذى فاز بالجائزة عن روايته "ممر النصر" عام 1960، والكاتبة آن هيبير التى فازت بالجائزة عام 1971 عن روايتها "كاموراسكا"، ثم ديديه ديكون عام 1973 عن روايته "إبراهيم من بروكلين" وهو كاتب سيناريو للعديد من الأفلام الفرنسية اللبنانية التى أخرجها اللبناني الراحل مارون بغدادى. كما فازت بالجائزة أيضاً الكاتبة ميشيل بيرين عن رواية "شريب جارون"، وفى عام 1976، اكتشفت السلسلة الروائى باتريك موديانو، وهى تمنحه الجائزة عن روايته "فيللا حزينة" وهو الذى يعتبر أهم كاتب روائى فى فرنسا على الإطلاق، وفى رأي أنه أكثر أهمية من لوكليزيو لكنه أصغر منه سناً.

وقد أعطت الجائزة فرصة التواجد الأدبى للكاتبة كرستيان سنجر عام 1979 عن رواية "الموت الفينيسى"، ثم للمطرب الأديب إيف سيمون عام 1988، عن روايته "المسافر الرائع"، وللكاتب المصرى الأصل جيلبير سنوحى عن روايته "كتاب الزبرجد" عام 1995. كما حصل عليها لوران جوديه عام 2003 عن روايته "موت الملك تسنجور" قبل أن يحصل على جائزة جونكور فى العام التالى. وفى عام 2006 حصلت عليها الكاتبة يasmine خضرة عن رواية "الاغتيال"، أما آخر من حصلت عليها فهى الكاتبة دومنيك مينار عام 2009 عن روايتها "من أجلك".

العريب أن كل الذين حصلوا على الجائزة فى السنوات الأربع الأخيرة من النساء، ولعلنا سوف نقرأ اسم مورييل باربرى ضمن الفائزين بجائزة جونكور، أو غيرها من الجوائز الأخرى عندما ستنشر روايتها الثالثة.

لم تلفت روايتها الأولى "شراة" أى انتباه إليها، إلا أن النقاد لم يكتبوا عنها بجدية وتعمق، إلا بعد أن نشرت روايتها الثانية، وصار النقاد يرون أن "شراة" ليست سوى ارهاصات أولى لـ "أناقة القنفذ"، حيث كتب جان لو أن الروائيتين قد تمتعا بـ "عذوبة الكتابة" وهذا المزاج العالى لقصص مليئة

بالذكاء الخفى، والرواية تدور حول رجل صورته الكاتبة أقرب إلى الشخصيات المقدسة. كأنه السيد المسيح عشية صلبة، فهو يعرف أنه سيموت في اليوم التالى، وأن العلاج لم يعد يفيد، ولكن على عتبة الموت، فهو يفكر أن يكون منقذاً لشخص آخر، يمنحه قلبه، سواء كان طفلاً، أو شاباً مراهقاً. ويروح يتذكر، فى صمت، كيف عاش حياته، ابتداءً من مراحل الطفولة، وقمل عليه كافة الذكريات بروائحها، وحواراتها، ودخانها وفراشها، وأسمائها، ومشاربيها، ويكتشف أن حياته كلها كانت حالة مركبة من الشراهة لشراء الأشياء، أشياء عديدة ومتنوعة، وأنه لم يحس أبداً بالشبع، من هذه الشراهة وأن الموت الذى سيأتى غداً هو نوع جديد من الشراهة.

أما رواية "أناقة القنفذ" فنحن أمام عمل إبداعى نسائى، بطلته امرأتان، فى مرحلتين سنيتين متباعدتين، لكنهما تلتقيان معاً ثقافياً على الأقل، الأولى هى بوابة العمارة رقم 27 بشارع جريريل، فى الرابعة والخمسين من عمرها، هى امرأة قرأت الآداب العظيمة، والفلسفات الإنسانية، جاءت من الريف، وتتملك كبرياءً عظيماً، وتشعر بالغربة عمن حولها، السكان يمثلون الطبقات العليا، بعضهم من أسر فرنسية ذات مكانة مرموقة، وفى إحدى الشقق يسكن العجوز أوزو الساكن الجديد الوحيد الذى يحاول أن يدخل البوابة إلى عالمه، فتعتمد أن "يدهشها" ..

أما الطفلة بالوما، فهى فى حالة دهشة دوماً، هى أشبه بروكتتان، لكنها طفلة، تقرأ بعمق، وتقدم نفسها من خلال عناوين تسميها تارة "فكرة عميقة" ثم "يوميات حركة العالم" .. تلتقى مصادفة بالبوابة، تذهب إليها فى محاولة لفض اشتباك بين المرأة، وبين أختها، ثم تكتشف كل منهما الأخرى، ونحن لا نقص ما فى الرواية، فهذا النوع من الروايات لا يعتمد على الحكى، ويخلو من الحدود، ولكن عبقريته فى التفاصيل التى ترونها كل من المراتين،

كل منهما على لسانها وبلغتها الخاصة؛ لذا فإن لدينا هنا مستويان من الأسلوب، الأول أسلوب امرأة مثقفة، والثانية تلميذة، تدرك الظاهرية وتسخر من أختها دارسة الفلسفة، أى أن الروائية هنا قسمت نفسها إلى ثلاثة نساء ومراحل: مرحلة تشبهها، وهى الدارسة للفلسفة، أى فى سن مقابلة للأخت كولومب..

أما المرحلة الثانية، فهى تمثل ماضيها، أى حين كانت فى سن الثانية عشر مليئة بالتساؤل، ومحاولة طرح أسئلة بلا إجابات، أسئلة تكبرها، أما المرأة الثالثة فهى حين تبلغ الكاتبة سن الرابعة والخمسين، بصرف النظر عن الوظيفة، فحن هنا لسننا أمام بوابة إلا من خلال وظيفتها، ونحن لم نقرأ عنها أنها قامت بالتنظيف أو المسح، لدرجة أنها تغلق الباب فى مواجهة كولومب مجرد أنها طرقت عليها قبل موعد العمل الرسمى للبوابة بساعة، وكل ما نعرفه عن وظيفة البوابة هنا، إنها يمكن أن تستلم رسالة كى تأتى صاحبته وتأخذها فى الوقت المناسب.

إذن، فالفكرة والفلسفة، هما الهم المشترك بين النسوة الثلاث، وإن كانت بالوما تسخر من أختها حيث أنها تراها مسطحة، مدعية، وغير متعمقة، كما أن هناك رابطة أسرية تربط بين بالوما وأبيها وأمها، لكنها تحس أن مستواها الفلسفى والفكرى أعمق بكثير ممن حولها، دون مكابرة أو ادعاء.

وبالوما تتحول من مجرد فتاة، تود أن تلفت الأنظار إليها، تفكر فى أن تحرق المسكن الذى تعيش فيه إلى أن تتبنى الأفكار العظيمة التى تناقشها فيها رينيه البوابة. لذا، فإن هذه المرأة لها جانب، والآخرون يرونها مجرد بوابة لا أكثر، أما جوهرها فإنه مختلف تماما، وتحتاج إلى شخص بالغ الحكمة مثل السيد كاكورو أوزو، كى يفهمها، ويدعوها بكل أناقة كى تتناول معه العشاء فى مسكنه.

ورينيه هذه هي كما أشرنا، صورة من الكاتبة، فهي مثلها معجبة بتولستوى، لدرجة أنها أطلقت اسم "ليو"، وهو اسم ليو تولستوى مؤلف "الحرب والسلام" على قطها الوحيد الذى يعيش معها، وتبدو له مكانته القريبة جداً، فهي تكرس وقتها للقط وللقراء، حيث تبدو المرأة كأنها قد اختفت داخل هذه الوظيفة، ورينيه تستقبل من وقت لآخر مانويلا البرتغالية، امرأة تقول إنها صديقة، تتناول معها الشاي، لكن رغم قوة العلاقة التي تربطهما فإن المرأة ليست في نفس المستوى الثقافي للشخصية الرئيسية في الرواية، ومانويلا هذه وظيفتها أن تنظف المطابخ، ودورات المياه، وهي صديقتها.. وهناك امرأة أخرى في حياة البوابة، هي أختها ليزيت التي ماتت إثر خطيئة ارتكبتها.

رينيه ميشيل، هي قارئة للروايات الفرنسية الصعبة - صعوبة الرواية التي تقرأها - فهي تقرأ بروست، وتتردد على مكتبة الحى القريبة، كما أنها متعمقة في دراسة الفلسفة المسيحية القديمة، وهي تتكلم عن جيرانها باعتبار أنهم مجرد "سادة" لا يحظون بعمق ثقافى حقيقى إلى أن تكتشف بالوما جوس. مستوى الحكى الأول يعتمد على ما تقول رينيه عن الواقع الذى تعيش فيه، أما المستوى الثانى فترويه - أو تعبر عنه - بالوما من خلال يومياتها التي تدونها، وتطلق عليها أرقاماً وأسماء، وليست هناك فروق واضحة بين أنواع هذه اليوميات. بالوما، طفلة ذكية، ولا معة، وهي ترفض عالم الناضجين، وتعتبر مثل حوض أسماك مليئة بالطين، وبالأخطاء المتشابهة المتكررة؛ لذا فهي تقرر أن تنتحر في آخر أيام الدراسة، في اليوم التي ستصبح فيه على أعتاب سن البالغين، سن الثالثة عشر، وذلك بإحراق شقة العائلة. لكن الطفلة لن تلبث أن تغير من موقفها عندما سيدخل في حياتها العجوز اليابانى كاكورو أوزو، وهو الذى سيدخل أيضاً في حياة رينيه.

إذن، فالكاتبة عبرت عن جزء من حياتها، وما تحبه، ابتداء بتولستوى، والثقافة اليابانية التي هاجرت إليها، وأيضاً الفلسفة الظاهرية، وقد تحدثت المؤلفة من خلال بطليتها عن الظاهرية وهوسرل، ومارست مهنتها كمدرسة فلسفة أن شرحت لنا الكثير عن هذه الفلسفة، وكنا نتوقع أن تتكلم عن سارتر، أكثر الفلاسفة المعاصرين والأدباء تأثراً بهذه الفلسفة، الذي كتب عن تأثيره كثيراً بهوسرل في كتبه، خاصة سيرته الذاتية المعنونة "الكلمات".

ولهذا السبب، سوف نلاحظ مدى صعوبة النص، والجملية الروائية، رغم بساطة المفردة اللغوية عند بالوما، وتركيبته المعقدة في حكي رينيه. وذلك لأن المرأة متوحدة تماماً مع الأدب والفلسفة، ولذا فإن المفردة اللغوية، والجملية، أقرب إلى الفلسفة. لذا، فإن هذه الفلسفة تنعكس على سلوك رينيه ميشيل، فهي تؤثر البقاء في المنزل، وهي قليلة الخروج من البيت، حتى أنها في المرات القليلة التي فعلت ذلك، فإن إحدى سيارات الكواء تصدمها، وتكون الصدمة سريعة للغاية.

لذا، فمن السهل أن تتوحد المرأتان: العجوز، والطفلة، وأن تحس كل منهما - رغم الفارق في السن - أنهما متوحدتان بشكل ما، وكما أشرنا، فرغم أن الكاتبة لا تذكر أساتذة فلسفة العبث وكتابها، إلا أن سلوك بالوما على سبيل المثال ملئ بالعبث، خاصة رأيها في أختها التي تعد دراسة عليا.

تقول الناقدة إيفا يانوفيتش أنه بعد روايتها الأولى، فإن موريل باربري أخذت وقتها كي تشركنا معها في عواصفها حول اليابان في رواية باريسية جداً.. "أناقة القنفذ" التي تلعب دوراً في جمع التناقضات التي تخص شخصيات تنوق، لكنها مثيرة للدهشة.

هي شخصيات عميقة، غريبة حساسة، فيلسوفة، فأناقة القنفذ هي السيدة ميشيل التي تركت قطها ليو وماتت، هي امرأة جادة، وغامضة، تعشق

الأدب الروسى، والسينما اليابانية، وطوال 27 عاماً أخفت ثقافتها العميقة بداخلها، من أجل أن تحافظ على سلامها، إلى أن كشف هذه الثقافة السيد أوزو اليابانى، فدعاها إلى العشاء، وقد وجدت ميشيل فى بالوما توأماً روحياً، هى فتاة حزينة، ترى العبث فى الحياة، وهى التى لا تستطيع التواءم مع من حولها، فتجد التوحد لدى رينيه ميشيل.

تقول المعلومات التى بين يدينا إن رواية "أناقة القنفذ" قد بيع منها عقب صدورها فى عام 2006 أكثر من مليون نسخة، وظلت على قمة مبيعات الروايات طوال ثلاثة أسابيع وظلت الرواية من بين أفضل 50 كتاباً فى المبيعات، ولمدة 133 أسبوع. والغريب بالفعل رغم صعوبة هذه الرواية وخصوصيتها، أن تحولت سريعاً إلى فيلم سينمائى فى عام 2009 تحت اسم "القنفذ" أخرجته منى أشاش وقامت ببطولته الممثلة المشهورة جوزيان بلاسكو، وجاراتس لوجيللر ميل. أى أننا أمام عمل نسوى، سواء كنص أدبى، أو كفيلم سينمائى، فالمخرجة هى كاتبة، وممثلة، أخرجت الكثير من الأفلام الوثائقية، وفيلمين روائيين قصيرين، أما فيلم "القنفذ" فقد عرض لأول مرة فى 3 يوليو 2009، وذلك بعد أن تحمست كثيراً لهذه الرواية، والغريب أن الصحافة الفنية قد صنفت الفيلم على أنه "كوميديا درامية" بما يعنى أن المخرجة لعلها قد فرغت الفيلم من مضمونه الرئيسى، وركزت على العلاقة الجدلية بين البوابة والتلميذة، علماً بأن جوزيان بلاسكو هى فى الأصل ممثلة كوميدية.

مهما كانت المقالات حول كتاب من هذا النوع، فإن ما قاله نابوكوف فى مقدمة روايته "دموع فى الظلام" إن التفاصيل هى الأهم، لذا فإن قراءة هذا النوع من الروايات هو الأكثر متعة.

ملحوظة مهمة:

قارئ هذا النوع من الروايات يجب أن تكون له عقلية الثقافة الفرنسية بشكل خاص، والثقافة العالمية بشكل عام، فبطلتا الرواية تسكبان كافة قراءتهما في الأدب والفلسفة دون أى إحالات سواء فى الأدب، والسينما، والفلسفة، والتاريخ، ولو قمنا بعمل تفسيرات وشرح للأسماء والمصطلحات لامتألت الصفحات بالشروح، مما يجعل النص غير أدبي بالمرّة، وقد كتبت باربرى روايتها بثقافتها للقارئ، ولذلك فإن القارئ العربى الذى ليست لديه الخلفية الثقافية لبطلّة الرواية رينيه ميشيل أو حتى للطفلة بالوما، عليه ألا يدخل هذا العالم منذ اللحظة الأولى.

أما الذين ينتمون إلى هذا العالم، وهم قلة فى عالمنا العربى، فسوف يقومون بفك ألغاز الرواية بسهولة، ويحسون أنها الرواية الأكثر قرباً منهم، ولعل هذا يفسر صعوبة النص وترجمته، ومتعة التوغل فى كل أركانه.

محمود قاسم

إلى ستيفان الذى كتبت معه هذا الكتاب.

ماركس

(تمهيد)

(1) من يبذر الرغبة

- غير ماركس نظرتي تماماً للعالم.
هكذا حدثني الصغير بالير الذي لم يوجه لي الكلام العادي أبداً، أنطوان بالير، هو الوريث الناجح لأسرة صناعية عريقة، وابن لواحد من سكان الشقق الثمانية، هو التجشؤ الأخير لبرجوازية الأعمال الكبرى التي أنتجت الخوازيق الجيدة الصنع وبدون عيوب، إنه يلمع في وظيفته ويحدثني عنها كردود أفعاله دون أن يفكر أنه بإمكانه أن أفهم شيئاً ما.. كيف يمكن أن تفهم الطبقة العاملة في كتاب ماركس؟.. فالنص صعب، واللغة جامدة، والنثر بليغ، والموضوع معقد. لذا، فإنني أفقد أن أخون نفسي بشكل غبي. قلت لهذا الغبي الذي يرتدى معطفاً أسبانياً:

- عليك أن تقرأ "الأيديولوجية الألمانية".

وكي نفهم ماركس، وندرك لماذا هو على خطأ، يجب أن نقرأ كتابه "الأيديولوجية الألمانية"، إنه المرجع الأنثروبولوجي الذي نبني عليه كافة الآمال لعالم جديد، وعليه يرتكز الإيمان الرئيسى بأن الناس الذين يضيعون وسط رغباتهم، عليهم التمسك بحاجاتهم، في عالم يتم تحجيم الرغبة الخاصة بهدف تكوين مؤسسة اجتماعية جديدة، مغسولة من النضالات، والظلم، والأفكار البالية والضارة.

- من يبذر الرغبة يحصد التوتر.

تابعت كلامى الأقرب إلى الهمس، وكأنا يسمعى قطى الوحيد أنطوان بالليل، ذو الشارب الكريه فى منبته. لا يمارس معه أى نوع من الملاحظة، ينظر نحوى، غير واثق فى كلماتى الغريبة، وكالعادة، فقد تم إنقاذى من العجز الذى يدفع الكائنات إلى الاعتقاد أنها سوف تفجر إطارات عاداتهم العقلية الصغيرة؛ فبوابة العمارة لا تقرأ "الأيدولوجية الألمانية" ستكون عاجزة بشكل تلقائى أن تذكر رواية قضية الحادية عشرة حول فورباخ، بالإضافة إلى أن بوابة تقرأ ماركس الذى يتزع بقوة نحو التجريب، تباع إلى شيطان يمكنها قراءته من أجل ارتقاء الروح، هو نوع من الفظاظ لا يمكن لأى برجوازى أن يؤديه. همست وأنا أغلق الباب فى وجهه آملة أن تعثر صوتى فى الجملتين سوف يعطى بقوة رأياً مسبقاً للألفية الجديدة.

(2) معجزات الفن

اسمى رينيه. أنا فى الرابعة والخمسين. منذ سن السابعة والعشرين، وأنا بوابة فى شارع لاجريتيل. فندق جميل خاص، له فناء وحديقة داخلية. مقسم إلى ثمانى شقق فاخرة. مسكونة جميعها. كلها بالغة الفخامة. أنا أرملة، قصيرة القامة، دميمة. أميل إلى التلحيم. لدى ورم كالبصلة فى قدمى، مما يجعلنى أعتقد أنه برز ذات صباح بشكل تلقائى، إنه يضايقنى، أنفاس ماموث. لم أنل أى قسط من التعليم. فقيرة دوماً، رزينة، أبدو غامضة، أعيش وحدى مع قط ذكر كبير شديد الكسل. لا يتمتع فى سماته العامة سوى برائحة مخالب عفنة، عندما يكون فى حالة غيظ أحس انه مثلى، لا نبذل أى مجهود كى ندخل دوائرنا. فأنا نادراً ما يحبى أحد، رغم أننى مهذبة دوماً. انهم لا يحبوننى. لكنهم مع ذلك يتحملوننى، فأنا أتفهم جيداً أن الإيمان الاجتماعى يعتبر نموذجاً لبوابة العمارة أكثر منى كواحدة من التروس العديدة التى تعيد الوهم العالمى الكبير، وحسبه فإن الحياة هى معنى سهل لتجديد وحل شيفرهما. طالما أنه مكتوب فى بعض الأماكن أن البوابات نساء عجوزات دميمات وشرسات، منقوشة بحروف من نار فوق نفس الجلد الغبى الذى للبوابات اللائى لديهن قطط ضعيفة الإرادة، تنام طيلة النهار فوق وسائد مغطاة بالكروشييه.

يقال إن البوابات يشاهدن التليفزيون دون توقف، بينما تنام القطط الكبيرة أمام ممرات العمارة، تنبعث منها روائح الخشب المحترق، وحساء الكرب، أو يخنة الفاصوليا التى تعدها الأسر. أنا محظوظة، حظى غريب لأننى بوابة فى مسكن يسكنه أشخاص أصحاب إقامة طويلة. فمن العار على أن أطهو الطعام المقرز حين يدخل السيد. دوبروجللى مستشار الدولة من الطراز

الأول الذى عليه أن يكون قريباً من زوجته اللطيفة والى توجه اهتمامها للخدمة العامة، والفجاجة الشعبية العفنة. تنير انفراجاً ضخماً لا شك أن إخفاءه أفضل من إظهاره تحت مظهر الطاعة الواجبة.

كان هذا قبل سبعة وعشرين عاماً. طوال تلك الآونة، أذهب كل يوم إلى الجزار لشراء شريحة من لحم الخنزير، أو كبدة عجل، وأنزوى مع سلقى بين باقات المكرونة الشريطية وحزم الجزر، أسترخى لإرضاء هذه المؤن الفقيرة. ترفع من السمات الواضحة التى لا تحسبى لأننى فقيرة فى منزل أثرياء، حتى الوصول إلى تغذية بالشراكة، للتوافق بينى وبين قطى ليو الذى لا يأكل إلا من الوجبات التى يجب أن تكون من نصيبى. وأيضاً من دهون لحم الخنزير والمكرونة ذات الزبدة، بينما أستطيع أن أشبع دون تناول المزيد من الدهن، ودون أن يرتاب الشك أحد فى مهارتى فى الطبخ.

الأكثر صعوبة هو موضوع التلفزيون، ففى زمن المرحوم زوجى، كنت أفعل ذلك دوماً، لأن المثابرة التى اكتسبتها فى مشاهدة التلفزيون وفرت لى عملى المسخر فى ممر العمارة، تحدث جلبة ويكفى هذا أن تسند لعبة الرتب والطبقات الاجتماعية التى يتجاوزها لوسيان، يجب أن أجز رأسى كى أحافظ على المظهر، يكلفنى بالظلم الضرورى. ويصنع حاجزاً لا يتحرك ضد شكوى الآخرين.

ووجدت الحل بفضل أن لا تكون هناك أزرار.

حذرتنى مجموعة أجراس مربوطة تحت الأحمر إلى من الآن إلى ممرات فى القاعة، تجعل كل زر ملتصقاً غير مجد من المارة الذين يقرعون كى أستطيع أن أعرف حضورهم رغم أننى بعيدة عنهم تماماً، لأنه بهذه المناسبات فإننى أجلس فى أعماق غرفتى، حيث أقضى ساعات فراغى، أحمى نفسى من الضجيج والروائح التى تضعنى ظروفى فى إطارها. أستطيع العيش حسب قلبى دون أن

أهتم بالمعلومات الحيوية عما يدور في الممر: من يدخل، من يخرج، ومع من وفي أى ساعة.

وهكذا يعبر السكان القاعة، ويسمعون الأصوات المخنوقة ليتعرفوا أن التليفزيون يعمل، دون أن يفتقدوا أى شريان من التخيل، يشكلون صورة البوابة القابعة أمام جهاز الاستقبال. أنا فى مسكنى المصنوع من اللباد، لا أسمع شيئاً لكننى أعرف أن شخصاً ما يمر وفى الغرفة المجاورة، وبعيون البقرة أمام السلم، محتبئة وراء الزجاج الأبيض، وأنا أرقب جلسة هوية العابر.

ظهور شريط الفيديو هذا، فيما بعد، من آلة DVD، غير أيضاً الكثير من سخرية الأشياء فى مفهومي. لأن البوابة منشغلة بقراءة رواية "الموت فى فينسيا" وفى مسكنها، فإنها تمرب إلى مالر، وأطرق فى الاقتصاد المترلى. وادخر بكل حرص، وكأننى مكلفة بعمل آخر وأنا باقية فى محبأى. بينما أضمن خفائى فإن تليفزيون المسكن يصرخ دون أن أسمع قبل الانتباه لعقول المراعى، وأنا يغشى علىّ، الدموع فى عيني، أمام معجزات الفن.

فكرة عميقة رقم "1" انتهاء متابعة النجوم فى حوض السمك الأحمر

ظاهراً، من وقت لآخر، يستهلك البالغون وقتاً فى الجلوس وفى تأمل حياتهم المدمرة، يندبون دون أن يفهموا، كأنهم الذباب الذى يضرب نفس الزجاج دوماً، يثورون، ويعانون، وينضغطون، ويجبطون ويتساءلون حول التعقيدات التى تؤدى بهم إلى حيث لا يريدون الذهاب، الأثر ذكاءً منهم يخلقون عقيدة: آه إنه الفراغ الحقيقى للوجود البرجوازي، هناك مهاويس من هذا الطراز يتناولون العشاء حول مائدة أبى "ماذا صارت عليه أحلام شبابتنا؟" تساءل أحدهم فى ثقة ورضاء، لقد تبخر كل شئ والحياة أصبحت ككوبة أكره هذا الوضوح الكاذب للكهولة. الحقيقة أنهم مثل الآخرين. مراقبين لا أقزام لا يفهمون ما حدث لهم ويلعبون ألعاباً كبيرة بالجملة تثير عندهم شعوراً بالبكاء.

إنه أمر سهل الفهم. أما الشئ غير المفهوم أن الأطفال يؤمنون بمحاضرات الكبار أو الذين صاروا بالغين. الذين ينتقمون من أنفسهم، ويخدعون أطفالهم الأعزاء. "الحياة لديها معنى أن الشخصيات الكبار متماسكون" إنها الكذبة العالمية التى يضطر العالم كله إلى تصديقها. فى سن الكبر عندما نفهم زيف الأمور يصبح كل شئ متأخراً. ويظل الغموض غير ملموس، ولكن كل الطاقة الطبيعية التى استهلكنا منذ وقت طويل فى أنشطة غبية. لم يعد يبقى منها سوى التحذير مثلما يمكن أن تجرب التقنع بواقعة ليس لها أى معنى فى الحياة. فالكبار يخدعون صغارهم لمحاولة إقناعهم بأنفسهم.

من بين الأشخاص الذين يتردد عليهم أسرتى المتكاثرة يسير الجميع فى نفس الدرب، هناك شباب يحاول استغلال ذكائه، يضغط مثل ليمونة لينجح فى الدراسة، والتأكيد على مكان النخبة، التى تتساءل طوال حياتها فى ذهول لماذا

اصطدمت بعض الآمال بوجود لا جدوى منه؟. يعتقد المؤمنون أنهم يتبعون النجوم، وينتهون مثل الأسماك الحرة داخل حوض. أتساءل أليس هناك أمر سهل لتعليم الأطفال منذ البداية أن الحياة عبث. هذا يترع بعض المشاعر الطيبة من الطفولة لكنه سوف يحتاج وقتاً، دون أن نأخذ في الحسبان أننا نوفر على الأقل صدمة الصعود نحو القمم.

أنا في الثانية عشر، يسكن المنزل رقم 7 شارع جرنيل في شقة الأثرياء، أبواي ثريان، وأسرتي غنية، وأنا بالتتابع بالغة الثراء. كان أبي نائباً بعد أن كان وزيراً، وانتهى أمره إلى المعاش أى البقاء في كهف فندق لاسي، أما أمي فهي مثقفة جيداً!! حصلت على دكتوراه في الآداب، تكتب دعوات العشاء بدون أخطاء، وتقضى وقتها تضجرونا من مصادر ومؤلفات.. "لا تتمثلي الأدبية كولومب، يا عزيزي، أنت سائفيرنا الحقيقية".

ورغم هذا، ورغم كل هذه الظروف، وكل الثراء فمنذ وقت طويل جداً، أعرف الهدف المنشود، إنه حوض السمك.. كيف أعرف هذا؟ أنا فتاة بالغة الذكاء، ذكية بشكل استثنائي. لو نظرت للأطفال في مثل سني، فإنه أمر لو تدرك أعماقه، لم أرغب أبداً أن يلاحظوني فأنا في أسرة يعتبر الذكاء فيها قيمة عظيمة، طفلة صماء لن تبلغ السلام النفسي أبداً. حاولت أن أقلل امتيازاتي في مدرستي لكن رغم هذا، كنت الأول دائماً. يمكن أن أفكر في لعبة الذكاء العادية عندما كنت في الثانية عشر مثلاً في مستوى الحال الكسول يبدو الأمر سهلاً. أبداً يجب أن نمنح أنفسنا الشر كي تصبح أكثر غباءً مما نحن لسنا عليه. لكن بطريقة ما، فإن هذا يمنعني من الضجر، لست في حاجة أن أقضى طيلة وقتي في التعلم أو الفهم، واستخدام أسلوب الإثارة في الردود، وأساليب المعاملة، والانفلات والأخطاء الصغيرة للتلاميذ العاديين الطيبين.

أقرأ كل ما كتبه "كونستانس باريه"، الثانية على الفصل، في الرياضيات، واللغة الفرنسية والتاريخ. وأتعلم كيف أن هذا هو ما يجب أن أفعله باللغة الفرنسية بتتبع كلمات ملتصقة مكتوبة بشكل صحيح. الرياضيات هي إعادة الإنتاج الآلى للعمليات الخالية للمعاني، والتاريخ هو التابع للوقائع المرتبطة برابط موضوعي. ولكن إذا قارنا أمرنا بالبالغين، فإنني أذكى وأكثر فطنة من أغلبهم. وهكذا، فلست فخورة بشكل خاص لأنني لست شيئاً. ولكن ما هو مؤكد أنه في حوض السمك لن أنسى أنه قرار فكرت فيه جيداً. حتى بالنسبة لشخص ذكي غيري، مخلص للدراسة مختلف عن الآخرين، ومتميز عن الأغلبية؛ فالحياة تترك أثرها تماماً، وبالغة الحزن حتى البكاء: لا أحد يبدو أنه فكر فيما إذا كان الوجود عبثاً. وقد نجح في ذلك بشكل لامع وليست له قيمة أنه يفشل في ذلك، إنه أمر ملائم تماماً. أيضاً، أعتقد أن الصفاء يجعل النجاح مريراً أكثر من التفاهة تعني دائماً شيئاً ما.

لقد اتخذت قرارى، سوف أترك الطفولة عما قريب، رغم ثقتي أن الحياة ملهاة ولا أعتقد أنني أستطيع المقاومة حتى النهاية، في الواقع، لقد برمجنا كي نؤمن بما غير موجود، لأننا كائنات حية لا تريد أن تعاني، وعليه فإننا نعتمد على كل قوانا في أن نقنع أنفسنا أن هناك أشياء تستحق المعاناة؛ ولهذا فإن للحياة معنى. أنا شديدة الذكاء، ولا أعرف كم من الوقت سوف تكون عندي قوة الكفاح ضد هذه الدعوة الحيوية. عندما سوف أدخل فصول الكبار، هل سأكون قادرة على مواجهة مشاعر العبثية؟ لا أعتقد، لهذا فإنني اتخذت قراراتى: في نهاية هذا العام الدراسي، عندما سأبلغ الثالثة عشر (السادس عشر من يونيو القادم سوف أنتحر) حذاري، أنا لا أتعهد أن أجعل هذا أمراً صاعباً، وكأن هذا مشهد من الشجاعة والتحدى.

من ناحية أخرى، فإنني أهتم ألا يشك شخص في شيء، فالكبار لديهم علاقات هستيرية مع الموت، فالأمر يتطلب استعدادات ضخمة، ويتصرفون على أن الحدث هو أشد كوارث العالم. وما يهمني - في الواقع - ليس الشيء، ولكن توابعه فجائي الياباني معلق بشكل خاص بكارثة. عندما أقول جانبي الياباني، فإنني أعني حيى لليابان، أنا في الصف الرابع، وبطبيعة الحال، فإنني أدرس اليابانية كلغة ثانية. ولم يكن مدرس اليابانية فظا. كان يأكل الكلمات بالفرنسية، يقضى أغلب وقته يهرش رأسه بشكل متردد هذه الطريقة ليست سيئة بالمرّة. ومنذ بداية الدراسة، تقدمت بشكل ملحوظ، وأتخى لو أستطيع خلال عدة أشهر، قراءة مفرداتي المفضلة في النص، لم تفهم أُمى أن فتاة صغيرة يمكنها أن تقرأ المفردات، لم تكن لديّ الصعوبة أن أشرح لها "المفردة" باليابانية. يعني هذا "القصص المرسومة" إنها تعتقد أنني أبحث عما وراء الثقافة، وأنني لا أخدعها. باختصار، فبعد شهور سوف أستطيع قراءة الكاتب تانجويشي باليابانية، ولكن هذا سوف يقودنا إلى مهمتنا: يجب أن يتم هذا في 16 يونيو، لأنني سوف أنتحر في السادس عشر من يونيو. لكن ليس بكارثة، بل أنه ملئ بالحس والجمال، ولكن.. حسنا.. ليست عندي رغبة في المعاناة في الواقع، فإنني أكره المعاناة، أرى أننا عندما نتخذ القرار بالموت، ذلك لأننا نعتقد أنه يدخل في نظام الكون. يجب أن نفعل ذلك في رقة الموت، يجب أن يكون حدثاً عابراً رقيقاً، معبراً نحو الراحة. هناك أناس ينتحرون بإلقاء أنفسهم من نافذة الدور الرابع أو بابتلاع السموم أو بالشنق.. إنه شيء أحمق! أجد أن هذا بشع.

فيما يفيد الموت إذا صحبته معاناة؟.. أنا جربت موتى، منذ عام طوال الشهور كنت أتناول منوماً من علبة على وسادة أُمى، التي تتعاطاها دائماً، على كل فهي لم تلاحظ أبداً أنني أتناول منها كل يوم، لكنني قررت أن أكون بالغة

الحذر لا يجب ألا أترك المصادفة عندما نتخذ قراراً، قليل من الحظ في أن يكون مفهوماً.

لا نتخيل السرعة التي بها ينجز الناس مشاريع بلا أهمية. باسم اللغو من طراز "شعور الحياة" أو "حب الانسان" ثم "السماوات المقدسة للطفولة".

إذن، أنا أعبر الطريق مهدوء نحو السادس عشر من يونيو، لست خائفة إلا من بعض الندم. ربما، لكن العالم كما هو لم يخلق بلا ميراث بما يعنى أننا يجب ألا نلقى بأنفسنا إلى الموت، يجب أن يكون مثل قطعة خضار أصابها العطن. بل على العكس، المهم هو ألا نموت في أى سن. أن نموت يعنى أننا في حالة لحظة موات. في قصص تانيجيشى يموت الأبطال بالسقوط من فوق قمة إفريست. لحسن الحظ أننى أستطيع أن أفعل ذلك قبل 16 يونيو القادم. لأن إفريست وأنا، هما ضرورة فكرية. قد أعطيت لقضيتي أن تكون لدى أعظم الأفكار الممكنة، وأن ندونها في هذا الكراس: إذا لم يكن للأمر معنى، فعلى الأقل، فإن الروح تدخل فيها، أليس كذلك. لكن لأن لدى جانبي الياباني العميق، فقد أضفت إلى فكري هذه الفكرة العميقة يجب أن تتشكل في صورة قصائد قصيرة على الطريقة اليابانية: "الهوكو" (ثلاثة أبيات) أو "تانكا" (خمس أبيات). والهوكو المفضلة لى، هو من شعر "باشو"

كوخ الصيادين

مزوج بالجمبرى

وصر صار الليل!

ليس هذا حوض سمك.. لا، ليس هذا شعراً!

لكن في العالم الذى أعيش فيه، هناك من الشعر أكثر في كوخ الصياد الياباني، هل ترى أنه من الطبيعي ان أربعة أشخاص يعيشون في مساحة أربع مائة متراً مربعاً عندنا الكثير من الأخير، وربما من بينهم شعراء ملعونين ليس لديهم

مسكن مناسب، ويتكلمون بالخمسة عشر شخصاً داخل عشرين متراً مربعاً! عندما سمعنا، فى الصيف، أن أفارقة خاطروا لأن نيران السلم التهمت عمارتهم غير الصحية. أعطاني هذا فكرة أنهم يعيشون فى حوض السمك. إنه تحت أنوفهم طيلة النهار لا يستطيعون الهروب منه وهم يحكون القصص. ولكن والدى وكولومب يتخيلان أنهما يسبحان فى المحيط لأنهما يعيشان داخل الأربعمئة متر المكسدة بالأثاث واللوحات.

إذن فى 16 يونيو سوف أضع فى الحسبان أن أنشط ذاكرتهم قليلاً عن السردين: سوف أشعل النيران فى الشقة (من عيدان ثقاب الشواء) انتبه، لست مجرمة، سوف أفعل ذلك عندما لن يكون هناك أحد، 16 يونيو يقع يوم السبت، وفى بعد ظهرية السبت، سوف تذهب كولومب إلى آل تيبير، وأمى إلى اليوجا وأبى فى دائرتى، وأنا سأبقى هناك، أرمى القلط من النافذة، وسوف أخبر عمال الإنقاذ قبلها بوقت كاف حتى لا يكون هناك ضحايا، ثم سوف أذهب كى أنام بهدوء عند أمى. بدون شقة، أو ابنة، سوف يفكرون فى كل الأفارقة الموتى، أليس كذلك؟

زهرة كاميليا

(1)

امراة أرستقراطية

فى يومى الثلاثاء والخميس، تتناول صديقى الوحيدة مانويلا الشاى معى فى مسكنى. مانويلا امراة بسيطة، عشرون عاما قضتها فى طرد الأتربة عن بيوت الآخرين، لم تسلب منها أناقتها، طرد التراب هو فى النهاية تعبير شديد التحفظ، لكن فى بيوت الأثرياء، فإن الأشياء لا تسمى بأسمائها.

قالت لى بنبرة رقيقة كأزيز البوم: أفرغ السلالت المليئة بالفوط الصحية، وأجمع تقيؤات الكلب، وأنظف قفص العصافير، لا أصدق سوى أن الحيوانات الصغيرة ليس عليها سوى إطلاق الكثير من البراز، وأنا أنظف دورات المياه، وأيضا التراب، إنه العمل الجميل!... يجب أن أقدم نفسى عندما أنزل إلى مسكنى فى الساعة الثانية ظهراً. يوم الثلاثاء من شقة آل آرتين، والخميس من شقة آل بروجلى.

مانويلا تضع القطن فى المراحيض المطلية بجلود الغزال، وبالرغم من ذلك فهى تظل قادرة، تفوح منها رائحة كل سخرية العالم لأنه من الجميل أن يساهم الأثرياء فى إسعاد الفقراء. إنها أشياء داخلية مقززة، تنتهى دوماً بالتخلص من شئ ما تفوح منه رائحة كريهة. يمكن أيضا أن نقدم تبجيلا إلى مانويلا، مقابل تضحياتها فوق مذبح العالم، حيث المهام الكبرى مخصصة للبعض، بينما يثقب الآخرون أنوفهم دون أن يفعلوا شيئاً. إنها لا تعرف التراجع فى خطاها مقابل اتباع هواها، مفرطة فى الدقة تمسح كل كساء الورق الذهبى اللون، أو بالأحرى الصحية.

قالت مانويلا أنها استأصلت من سلتها القديمة قطعة صغيرة من الخشب الفاتح تجاوزت فيها ورق الحرير القرمزى معششة في هذه السلة الثمينة المعلقة في قرميدة على شكل أصابع اللوز. عليها أن تضع مفرشاً، بينما أعد القهوة لنشربها معاً.

كلانا ونحن نرتشف - في صمت - فنجان شاي أخضر، ونقرقض أصابع اللوزية، ورغم أنني أعيش في نموذج مثالي لإخلاص دائم، فمانويلا هي خادمة برتغالية حاذقة تجهل حقيقة نفسها، هي ابنة فارو، ولدت تحت شجرة تين، بعد سبعة من الأبناء، وقبل ستة آخرين. تم إرسالها للعمل في الحقول في سن صغيرة، وسرعان ما تزوجت من بناء مهاجر، وصارت أماً لأربعة أطفال فرنسيين حسب قانون الأرض، لكنهم برتغاليون حسب المنظور الاجتماعي، ابنة فارو، إذن، توضع ضمن طبقة السود والحمار على الرأس هي امرأة أرستقراطية، حقيقية، وراقية، من النوع الذى لا يعانى أى نوع من المعاناة الحالية، تأتلف إلى قلبها نفسه، تضحك حسب اللوائح الاجتماعية "الإتيكيت" والتفاصيل، لكن من هي الأرستقراطية؟، إنها امرأة لم تمسها المفاجأة أبداً، رغم أنها مطوقة بمفاجأة أسرتها، في يوم الأحد، تعبر الضحكات الحادة الألم، ولدت ضعيفة، وبلا مستقبل.

وكجارية فهي موصومة بنفس الشعار الحزين، مثل أعضاء نيون المصنع حيث يأتى الرجال صباح كل يوم، وكأنهم يعودون إلى الجحيم. فجأة العائلات اللاتى لا يعرف المال كيف يخدمهن، تتحدثن إليها كأنهن تتحدثن إلى كلب مكسو بالشعر الكثيف، يجب أن نرى مانويلا تقدم، وكأنها ملكة، فواكه لإعداد حلوياتها، معبرة عن الطيبة التى تسكن هذه المرأة. نعم أشبه بملكة، فعندما تظهر مانويلا يتحول مسكنى إلى قصر، مثلما يحول الحكاء الحياة في نهر

فياض تبتلع الألم والملل. تحول مانويلا وجودنا إلى ملحمة حارة، بهيجة. قالت فجأة، وهي تقطع الصمت:

-أطل علىّ بالدير الصغير تحية الصباح عند السلم.

زحجرت في ازدراء. قلت وأنا أهرز كتفى: إنه يقرأ ماركس.

تساءلت وهي تنطق حرف "س" كأنه "ش": "ماركش"؟ شين مبلة قليلا مثل سحر السموات الصافية.

أجبت: أبو الشيوعية. قالت لى:

-السياسة، هي لعبة أبناء الأثرياء الذين لا يعيرون أنفسهم لأحد.

فكرت لحظة، وهي تدعك رموشها. وقالت:

-ليس نفس النوع من الكتب كالعادة

الرسوم التي يخفيها الشباب تحت معاطفهم لا تفلت من بصيرة مانويلا، وبالدير الصغيرة يبدو وفقا للاستهلك المطبق. مثل شهادة تدل على صفحة لعنوان واضح "الماركيزات المختلات".

ضحكنا، ومازحنا لحظتنا في موضوعات أخرى، في طمأنينة الصداقات القديمة، تبدو لى هذه اللحظات غالية ويخفق قلبي عندما أذكر اليوم التي تحقق فيه مانويلا حلمها وتعود للأبد إلى بلادها، وتتركنى هنا وحيدة. منهكة بلا رفقة، مرتين في الأسبوع. إنها ملكة خفية. أتساءل أيضا، بكل وعى، عما سيصير عليه حالى عندما تتركنى صديقتى الوحيدة التي حصلت عليها، الوحيدة التي تعرف كل شئ دون أن تنظر قط وراءها، امرأة مجهولة من كل شئ. سيدفنها هذا الفراق تحت أستار النسيان

سمعت خطوات عند بهو المدخل، ثم سمعنا بوضوح أصواتاً غريبة تحدثها يد رجل فوق زر استحضار المصعد، مصعد قديم له باب حديدى أسود، وبابان يصفقان، باب مبطن بالخشب، أعرف صاحب هذه الخطوة، إنه بيير

آرتين، الناقد الذواق في الطابق الرابع، عضو في حزب الأقلية، وهو حزب من الشرور أشبه بالطريقة التي يغلق بها عينيه عندما يقف فوق عتبة مسكني. يجب أن أفكر أنني أعيش في غرفة مظلمة، رغم أنه يراها عكس ذلك تماماً. حسناً، لقد قرأت مقالاته النقدية الشهيرة.

قالت لي مانويلا التي ترى أن الشواء الطيب هو شواء طيب، وليس أكثر: "أنا لا أفهم شيئاً". لا شيء يستحق الفهم، من المؤسف أن أرى قلماً كهذا يفسد نفسه بقوة ضاربة.

الكتابة فوق ثمرة طماطم لصفحات الحكى البراقة - لأن بيير آرتين ناقد، كأنه يحكى قصصاً، وهذا وحده يجعل منه شخصاً عبقرياً - دون أن "ترى" دوماً أو أن "تمسك" بثمرة الطماطم وهي قطعة من اليأس المخزنة، إنه موهوب، ولا يتبصر لتأثير الأشياء. أتساءل دوماً وأنا أراه يمر أمامي بأنفه المتعجرف. نعم يبدو أن بعض الأشخاص غير قادرين على الإمساك بما يتأملونه من أمور الحياة وجوهر النفس، يمضون حياة كاملة يثرثرون عن البشر كأفهم يتصرفون بشكل آلي فوق الأشياء بدون الروح التي تسكنها وتتلخص فيما يمكن أن يقال، حسب الموحيات الشخصية.

وكأمر متعمد، تراجعت الخطى فجأة، ودق آرتين جرس مسكني. قمت وأنا أضع في اعتباري الاعتناء بوضع قدمي في حذاء مناسب، وأنا أمسك الخبز الطويل، والبيرييه، يمكن أن يمثل تحديات مقبولة الرسوم. هذا الشكل. أعرف أنني أغیظ السيد. نشيد نابض موحى لفراغ الصبر لكبار النشالين، وأن هذا ليس لشيء في التطبيق التي فيها وأنا أفتح الباب ببطء شديد أضع أنفاً حذراً متمنية أن يكون لونه أحمر ولامعاً.

قال لي وعينه مطويتان، والأنفان مركزان:

- أنتظر باقة سباق الخيل. عندما ستصل أحضرها إلى على وجه

السرعة

بعد الظهيرة، وضع السيد آرتين رابطة كانت ترفل حول عنقه فبدأ كالنبلاء، لا تضايقه أبداً، حيث برزت شعيراته كأنه الأسد، كان يرتدى تنورة من الحرير صالحة للرقص حيث تضيع الرجولة، أدهشتني رابطة العنق. افتقدت الابتسامة وأنا أتذكره. إنه لوجراندين، في رواية "البحث عن الزمن الضائع" لمارسيل بروست، بواب آخر مشهور، يدعى لوجراندين، إنه حقا موجود بين عالمين، هذا الذى يعاشر، وذلك الذى أراد أن يدخل في تجربة مليئة بالأمل المر والعبودية الحفيرة.

تعبر رابطة العنق عن التغيرات الخاصة، أيضاً في ميدان كوميراي، لا ترغب أن يقوم أحد بتحية آباء الرواية، ولكن أحياناً أمام مفترق طرق. وهو يضع الوشاح الذى يعبر عنه، يتركه يطير في الريح، مزيج كتيب ينتشر ويوزع تحيات عادية.

بيير آرتين الذى كان يعرف بروست الخاص به، لم يكن يعرف الأسلوب التى يجب به معاملة البوابات بوداعة خاصة، يحك الحنجرة بنفاذ صبر.

أذكر سؤاله:

- هل يمكنك إحضاره لى على وجه السرعة الباقة من الساعى - حزم

السباق. لا تفترض "طرق البريد المؤلف"؟.

قلت وأنا أضرب على ذاكرة الوعى، وقد شجعتنى على ذلك غياب الأحلام التى يشكل التسائل: "نعم.. عذراً كاملاً".

أضاف: "إنه أمر هش للغاية انتهى من فضلك".

تصريف الفعل فى زمن الأمر فى "أرجوك" لم يعجبني، رغم أنه اعتقد أنني غير قادرة عن مثل هذه الترجمة النحوية، التي لم يوظفها سوى فى التذوق، دون أن يكون لديه لطف الافتراض أنني أستطيع أن أحس بها مهينة. لقد لمس أعماق المد الاجتماعي عن سماع صوت رجل سري، إنه لا يتوجه إلا لنفسه، ورغم الكلمات التي ينطق بها تجعلك مؤهلاً تقنياً، لم يتخيل أبداً أنك يمكن أن تفهمها.

تساءلت بنبرة جذابة قليلاً: "هش.. كيف؟"
تنهد بصوت مسموع ولاحظت فى تنهيدته بعض التخفيف بدرجة ملحوظة.

قال وهو يحدق فى عيني: "إنه يتعلق بكتاب قديم".
حاولت أن أتشبه بطبقة زجاجية نظرت الرضاء للمالك الكبير. قلت وأنا أبدو غير منسرحة:
- حسناً.. حسناً ما تفعل. سوف أحضره لك بمجرد أن يحضر ساعى البريد.

ثم أغلقت الباب فى وجهه.
وجهة النظر التي حكاها بيير آرتين هذا المساء حول المائدة، شكلت حالة امتنان خاص لسخط بوابته لأنه أظهر أمامها كتاباً قديماً وأنها بدون شك رأت شيئاً ما من الصعوبة، لقد جعلنى هذا مبتهجة للغاية.
يعرف الله أياً منا عليه أن يتواضع أكثر من الآخر.

يوميات حركة العالم رقم (1) البكاء بعمق فى ذاته دون أن يفقد المرء سرواله.

رائع أن يكون للمرء فكرة عميقة، لكننى أعتقد أن هذا لا يكفى. أخيراً، قررت أن أنتحر، وأن أشعل النيران فى البيت خلال بضعة أشهر، بالطبع لا أستطيع أن أزعم أن لىّ الوقت، يجب أن أمارس شيئاً ما من التماسك فى جلدى الذى يتعبنى، وخاصة أنى أوجدت نفسى فى تحد صغير: إذا انتحرت، يجب أن أكون واثقة فيما أفعل، لا يمكن أن أحرق الشقة. "من أجل بضع ثمار من الخوخ". إذن، إذا كان هناك شىء ما فى هذا العالم، الذى يساوى ألم الحياة، فلا يجب أن أسئ التنفيذ لأننا سوف نموت مرة واحدة. لقد تأخر الوقت على الندم، ولأنه الموت ولأننا نخدع، فالأمر بالغ الغباء.

إذن، عندى أفكارى العميقة، لكن برغم أفكارى العميقة، فإننى أعرف على ما أكونه وفى النهاية، فإن مفكراً (الذى يسخر من مفكرين آخرين)، ليس أبداً فخوراً، ولكنه مروح للنفس، فكرت أنه يجب مكافأة هذا الجانب "مجد الروح" بيوميات أخرى تتكلم عن الجسد، ولكن فأعظم الأعمال المادية، هى شىء ما متمص، ملموس، وجميل، وعلم الجمال يدور حول الحب، والصدقة، وجمال الفن، لا أرى أشياء كبرى أخرى يمكنها أن تغذى الحياة الإنسانية، الحب والصدقة، أنا شابة صغيرة للغاية كى أزعم أنى أفهم جيداً، لكن الفن.. إذا كان يجب أن أعيش فإن هذا سيكون طوال حياتى. أخيراً، عندما أقول الفن.. يجب أن أفهم نفسى: أنا لا أتكلم عن أعظم أعمال الشوامخ حتى ولا فرمير، فأنا لا أتمسك بالحياة، إنها عظيمة لكنه الموت. لا، أنا افكر فى جمال العالم، فيما يمكن أن يرفعنا فى خضم الحياة، يوميات حركات العالم، ستركز على تحركات البشر، والأجسام، والرؤية.

حقاً ليس هناك ما يقال عن الأشياء، نجد فيها شيئاً ما، جميلاً بشكل كاف كي تعطى للحياة قيمة المتعة، والجمال، والإيقاع، والقوة. إذا وجدت فيها، فإنني ربما سوف أعيد النظر في الاختيارات. إذا وجدت حركة جسدها جميل، أو في خطأ فكرة روحية جميلة، ربما سوف أفكر أن الحياة تستحق أن نعيشها.

لدى هذه الفكرة حول يوميات مزدوجة، واحدة للروح والأخرى للجسد، بالأمس كان أبي يشاهد مباراة في الرجبي في التلفزيون، حتى الآن في مثل هذه الحالة، أنظر إلى أبي، أحب النظر إليه عندما يشمر أكمام قميصه، يخلع حذائه، وعندما يستلقي فوق الأريكة، أمام زجاجة بيرة وسجق، يشاهد المباراة، ويهتف: أنظر إلى الرجل الذي أعرفه أيضاً، لا تتنابه بشكل ظاهر صورة الرجل التافه في روح جهاز الاستريو (الحاجد السيد وزير الجمهورية)، وآخر (شاب طيب محب للبيرة الطازجة)، وهذا يجعل الاستريو قوة 2، باختصار، يوم السبت، عاد أبي مبكراً كالعادة، ورمى الفوطه بشكل مفاجئ، خلع الحذاء، وشمر أكمامه، وتناول البيرة في المطبخ، ثم تمدد أمام التلفزيون، وهو يقول لي "يا عزيزتي، هاتي له سجقاً من فضلك، لا أريد أن يفوتني الهاكا"، وحتى لا يفوته الهاكا، كان لدي الوقت أن أقطع شرائح السجق وأحضرها له، كانت هناك فقرة إعلانات، جلست أُمي في اتران فوق ذراع أريكة، وقد كشفت بوضعها عن معارضتها للأمر، (في أسرة ذات وتيرة واحدة أسأل الضفدعة اليسارية المفكرة)، أرهقت إلى بقصة عشاء معقدة حيث سأل عن دعوة زوجين غاضبين كي يصالحهما، وعندما تعرف البعد النفسى لأُمي. فإن المشروع الذي نسخر منه، باختصار، لقد أعطيت السجق إلى أبي، ولأنني أعرف أن كولومب في غرفتها تسمع الموسيقى الطليعية حسياً من المحطة الخامسة. تساءلت: بعد كل هذا، لم لا، لنؤلف قصيدة هاكا صغيرة،

فى ذاكرتى؁ فإن الهاكا هى نوع من الرقص الساخر؁ يؤديها الفريق النيوزيلندى قبل المباراة كنوع من التهديد بطريقة العلامات الكبرى. وفى ذكرياتى أيضاً فإن الرجى هى لعبة ثقيلة؁ فيها شباب يرتمون فوق العشب دون توقف؁ ثم يقومون كى يسقطوا ويتراكمون على مسافة ثلاث خطوات. توقفت الإعلانات؁ وبعد عرض شامل ملئ بقوة التمرغ فوق العشب؁ سمعنا فى الاستاد صوت معلقين؁ ثم خطبة كبرى للمعلقين "عبيد يحنة الفاصوليا"؁ ثم عودة إلى الملعب؁ دخل اللاعبون أرض الملعب؁ هنا بدأت فى النباح؁ لم أفهم أولاً؁ إنما الصورة نفسها المعتادة؁ ترك هذا فى أثراً جديداً؁ نوعاً من التشميل؁ انتظار نوع من "أمسك نفسى"؁ وبجانبى راح أبى يتجرع؁ أول كوب بيرة وبدأ يستعد لاستحضار أصول الغال التى تسكنه وهو يسأل أمى التى التصقت بذراع أريكته وتحضر له واحدة. أما أنا فاستعدت أنفاسى "ماذا يحدث؟" تساءلت وأنا أنظر إلى الشاشة؁ ولم أتمكن من معرفة ما أراه؁ إنه يوخزنى.

فهمت؁ عندما بدأ اللاعبون النيوزيلنديون لعبة الهاكا؁ فيما بينهم؁ كان هناك لاعب طويل ماورى؁ شاب صغير؁ تعلقت به عينائى منذ البداية. بالطبع بسبب قامته الطويلة ثم فيما بعد بسبب طريقته فى التحرك. نوع من الحركة البالغة الجدية. إنه شديد الاندفاع؁ لكنه متحكم؁ أعنى أنه يتحكم فى نفسه. أغلب الناس الذين يتحركون يفعلون ذلك وهم يوظفون كل ما حولهم. فى هذه اللحظة عندما أكتب؁ هناك قطى كونستيتوتمر وبطنها تزحف فوق الأرض. هذه القطعة ليس لديها أى مشروع مؤسس فى حياتها؁ لكنها تتجه نحو شئ ما؁ ربما مقعد فوتيه؁ ويمكن أن نرى هذا فى طريقته فى التحرك: اتجهت نحوى قادمة من اتجاه باب الدخول؁ خرجت محدثة حركة؁ لقد صارت الآن فى الخارج؁ نفس حركتها السابقة. لا أعرف كيف أشرح هذا؁ ولكن عندما

نغادر أماكننا في نوع ما من التخريب في هذه الحركة: نحن هنا، وفي نفس الوقت في الحديقة، التي تذهب إليها. إذا فهمت ما أريد قوله، كى توقف التخريب، يجب ألا تتحرك مطلقاً، فمهما تحركت فإنك في الداخل، ومهما دخلت فإنك غير قادر على الحركة، لكن هذا اللاعب، هناك عندما لا أراه يدخل الملعب، أحس بشئ ما مختلف، الإحساس برؤيته يتحرك. نعم، لكن أن نظل هناك. أحق، أليس كذلك؟ عندما بدأت الهاكا، بدأت أنظر إليها فقط، من الواضح أنها ليست مثل الألعاب الأخرى، من ناحية أخرى، فإن يحنة الفاصوليا رقم واحد قال: "في سمو" النيوزيلندى المرعب. نحن نحس دائماً وكثيراً بقامته العملاقة. متران صفر سبعة، مائة وثمانية عشر كيلو، واحد عشر ثانية في مائة متر، شاب جميل، نعم، يا سيدى!.. كل الناس مبهورة به لكن لا يبدو أن أحداً يعرف لماذا. ومع ذلك فقد صار فعالاً في الهاكا. إنه يتحرك، ويقوم بعمل الحركات نفسها أكثر من الآخرين، يضرب راحة يده على ساقيه، ويدق الأرض بقوة منتظمة ويلمس الكيعان. وهو ينظر بعينه إلى خصمه في الهواء يبدو محارباً عصبياً، ولكن، لتذهب كل حركات الآخرين نحو الهدف، وينظر إليه الاستاد بآجمعه، تبقى حركات هذا اللاعب نقطة ارتكاز، ويعطيه هذا حضوراً، وقوة لا يصدقها أحد.

وفجأة، فإن الهاكا، وهى أغنية الحارب، تستبد بقوته، إنها قوة جندى، ليست الطاقة التي يقدر بها أن يقهر الآخر وهى ترسل له كل هذا الكم من الإشارات، إنها القوة التي يقدر أن يركزها في داخله. إنه يركز على نفسه. اللاعب الماورى صار شجرة كستناء كبيرة ثابتة لها جذور عميقة. إشعاعات قوية، يحس بها كل الناس، ورغم ذلك فإن لديه اليقين أكثر من القوى الكبرى. يمكنه أن يطير وأن ينطلق أسرع من الريح، رغم، أو بفضل، جذوره القوية.

فجأة، شاهدت المباراة باهتمام وأنا أبحث دوماً عن الشئ نفسه: لحظات ملتحمة حيث يصبح اللاعب حركته الخاصة ليكون في حاجة إلى اتساع، وهو يتجه نحوه. لقد رأيته! رأيته في كافة أشكال اللعبة. في تلاطمها، وبنقطة اتزان تامة. لاعب يجد كافة جذوره. ويصبح هلباً صغيراً صلباً يعطى قوته للفريق، في واجهة الانتشار مع لاعب يجد السرعة المناسبة. وهو يتوقف عن التفكير في الهدف. ويركز في حركته الدؤوبة، ثم يجرى في حالة من النشوة، تلتصق الكرة بجسده، في هتاف مرعب بتقاطع مع بقية العالم كى يؤدي الحركة المثالية للقدم، لكن لا أحد يصل إلى كفاءة لاعب الماوري الكبير. عندما لاحظ أبي المحاولة الأولى للاعب النيوزيلندي، بدا مندهشاً. الفم فاغر، وقد نسي مشروبه، كان عليه أن يتضايق لأنه يساند الفريق الفرنسي، ولكن بدلاً من ذلك، قال "يا له من لاعب" وهو يمرر بيده على جبهته. كان لدى المعلقين من الأبواق الخشبية، لكنهم غير قادرين على إخفاء أن ما رأوه هو شئ جميل، لاعب يجرى دون أن يتحرك تاركاً الجميع خلفه، أما الآخرون فتبدو عليهم حركات هستيرية يائسة. إنهم غير قادرين على اللحاق به.

هنا تساءلت: هل هذا هو؟ كنت قادرة أن أردد، وسط عالم الحركات الساكنة، هل هذا هو؟ هل يساوى عناء الاستمرار؟ في هذه اللحظة، فقد لاعب فرنسي سرواله في جول، وفجأة أحسست بالإحباط التام لأن هذا جعله سخرية من الجميع لدرجة البكاء، ومن بينهم أبي الذي ارتشف قليلاً من البيرة، رغم قرنين من الاحتجاج الأسرى فقد كان لى الشعور بالتدنيس. لا، هذا لا يكفي. تلزمتنا حركات أخرى من أجل أن أقنع. لكن على الأقل، لقد أعطاني هذا الفكرة.

(2)

حروب ومستعمرات

لم أحصل على أى قدر من التعليم. قلت لنفسى وأنا فى مستهل هذه المناسبة. ليس الأمر صحيحاً بالمرّة، لكن شبابى التعليمى توقف عند شهادات دراسية، قبلها تنبّهت أنهم لم يعلمونى خوفاً من الوسائس التى أعرف أن السيد الخادم، المعلم قد لاحظ منذ أن اكتشفتنى، متخلصاً بلهفة من صحيفته حيث لم يكن يتكلم سوى عن الحروب والمستعمرات، وكنت آنذاك لم أبلغ العاشرة بعد.

لماذا؟ لا أعرف، هل تؤمنون حقاً أنه كان بمقدورى؟ إنه سؤال من أجل عراف العام الماضى. لنقل أن فكرة ضربى فى عالم من المراهنات، أنا، ابنة لا شئ، بلا جمال أخاذ، دون ماض ولا طموح، دون لباقة أو وميض، لقد أتعبنى كل هذا حتى قبل أن أحاول، لم أكن أرغب فى شئ، سوى أن يتركبنى فى حالى. دون تطلب منى. وأنى أستطيع أن أستريح بضع لحظات يومياً، من شهادة إشباع جوعى.

إلى من لا يعرف شهية الأكل، أول هجوم للجوع هو المعاناة والتنوير معاً، كنت طفلة بليدة وصاحبة شبه عاهة، الظهر مقوس أبدو كأننى حدباء. ومن لا يثبت فى الوجود التجاهل أن هناك طريقاً آخر. غياب المذاق عندى ساقنى إلى العدم. لا أحد يكلمنى. لا أحد يوقظنى، قشة، ضعف يغوص فى موجات من الغموض. كنت أجهلها بنفسى حتى تتنابى رغبة الانتهاء.

فى بيتنا، لم نكن نتحدث قط.. يصرخ الأطفال، أما الكبار فإن عليهم أن يتفرغوا إلى مهامهم، كأن عليهم أن يظلوا داخل وحدتهم. كنا نأكل عندما نشعر بالجوع، ورغم التقشف لم نكن أبداً نتعامل بشكل سئ، وملابس

الفقراء التي ترتديها تبدو نظيفة رغم أنها مرتقة من النوع الذي يجعلنا نشعر بالخجل. لم نكن نعانى من البرد، ولكننا لم نكن نتكلم.

وضحت الرؤى عندما كنت في الخامسة من عمري، ذهبوا بي إلى المدرسة للمرة الأولى انتباني خوف وفوجئت أن سمعت صوتاً يوجه إليّ وينطق باسمي.

سأل الصوت بينما كنت أحسس بيد صديقة تمسك بيدي: "رينيه؟"

كانت تمطر، بينما تكس الأطفال في الممر.

تتغير دائماً لغة الصوت القادم من أعلى ولم تكف اليد الحانية من الترييت على ذراعي - لغة غير مفهومة - من الخفة وضغوط رقيقة.

رفعت رأسي، وفي حركة غريبة أصابني بنوع من الدوخة وقاطعت نظرتي.. رينيه.. كان الأمر يتعلق بي، فللمرة الأولى يوجه لي أحدهم الكلام ناطقاً اسمي، في مثل هذا الأمر فإن أسرتي تستخدم إشارات أو دمدمات امرأة، اعتبرها حتى الآن ذات عينين وصاحتين وفم مبتسم، تخترق طريقها نحو قلبي، وهي تنطق اسمي، تدخل معي في تقارب لم تكن تدري آنذاك أى فكرة عنها.

نظرت حولي إلى عالم سرعان ما تحلى بالألوان، وفي ألم كالسهم، رأيت المطر الذي يسقط بالخارج، النوافذ يغسلها الماء، رائحة الملابس المبللة، وضيق الممر، مثل الأمعاء الدقيقة حيث ترن أصوات جموع الأطفال، والمعاطف ذوات الأزرار الجلدية حيث يتكدس المسافرون من المفارش الرديئة، وعلو السقف، ومسافة السماء في عيني طفلة.

هنا، وقعت عيناى الخزيتان على عينيها، واعتليت نحو المرأة التي جاءت لتلدني من جديد تكرر الصوت:

- رينيه، هل تريدين أن تخلعي قبعة البحارة التي ترتدينها؟

أمسكتني بقوة حتى لا أقع وقامت بتجريدى من ملابسى بسرعة تنم
عن تجارب طويلة.

نعتقد بقوة فى إيقاظ الوعى المغلق بساعة ميلادنا الأولى، ربما لأننا لا
نعرف كيف نتخيل الجانب الآخر من الحياة. يبدو لنا أننا نرى دائماً ونحس،
وأنا أقوىاء بهذا الإيمان، نحن نجد هويتنا فى القدوم للعالم فى لحظة مصيرية حين
يولد الوعى. وطوال خمس سنوات، كانت هناك طفلة صغيرة تسمى رينيه،
عملية بشكل آلى بسبب قوة البصر والسمع، والشم والتذوق واللمس.
يمكنها أن تعيش داخل اللاوعى الكامل لنفسها وللعالم، كذبة لهذه النظرية
المبكرة، فالوعى يحتاج إلى اسم.

وحسبما تمشى الظروف السيئة، يبدو أنه لا شئ فكر فى أن يعطينى
ذاتى، قالت لى المدرسة، وقد قررت ألا أكذب أبداً: "هاتان عينان جميلتان".
فى هذه اللحظة لمع جمالى، وانعكست معجزة ميلادى ولمعت مثل
تجمعات النيران. بدأت أرتجف وبحث فى عينيها عن مشاركة تربطنى كل
الفرحة المشتركة، فى نظرتها الرقيقة والحنونة، لم أقرأ سوى الامتنان.
فى تلك الساعة التى ولدت فيها، راحت تعاملنى بشفقة فقط.

كنت محسوسة طالما أن جوعى لا يمكنه أن يتخفف فى لعبة التناقض
الاجتماعى التى تجعله ظروفى غير مناسبة وفهمت هذا متأخراً، هذا العطف فى
عينى منقذتى. لأننى عشت أبداً فى فقر تخترقه سكرة اللغة، أمارسها مع
آخرين، وجدت ذلك فى الكتب، للمرة الأولى، ألمس واحداً منها، رأيت كبار
الفصل ينظرون إليها خلسة، كانسلاخ بنفس القوة، وهم يغوصون فى
الصمت، ينهكون فى الورقة الميتة، شيئاً ما يبدو حياً.

تعلمت القراءة بعيداً عن الجميع. تلعثمت المدرسة وهى تردد الحروف
للأطفال الآخرين الذين أعرفهم منذ وقت طويل، القوة التى تنسج العلامات

المكتوبة والتدبيرات اللاهائية والأصوات الرائعة التي سلحتنى فى هذه الأماكن. اليوم الأول، عندما رددت اسمى، لم يكن أحد يعرفه، لقد قرأت كأننى مجبرة، محتبئة فى البداية، ثم فى الوقت العادى بدا لى الفهم شيئاً متجاوزاً، وعند الرؤية والعلم بكل شئ صرت معنية بإخفاء المتعة والمصلحة التى اكتسبتها. أصبحت الطفلة الواهنة والجائعة روحاً. فى سن الثانية عشرة تركت المدرسة، وعملت فى المنزل فى الحقول المجاورة لمنزل أسرته وإخوته وشقيقاتى، ثم تزوجت فى سن السابعة عشرة.

(3)

الكانيش مثل طوطم

في التخيل التجميعي، كون الأزواج البوابين ثنائياً متوحداً يتمثل في كيانات تافهة تماماً، عدا أن اتحادهم يكشفهم وهم يمتلكون كلباً (كانيش) مثلما يعرف كل شخص، فالكانيش هي أنواع من الكلاب المجددة الشعر محبوسة في ملامح خاصة، هن نساء وحيدات متعلقات بالماضي، بوابات عمارات يقبعن في مساكنهن المعتمدة. الكلاب يمكنها أن تكون سوداء أو مشمشية. المشمشي منها أكثر شراسة من الأسود. تبدو أقل جودة، تنبح كلاب الكانيش بفظاظة عند أول بادرة، لكن بشكل خاص عندما لا يمر أحد إلى جوارها. أنها تنبح سيدها، وهي تدخل بين أربعة أقدام دون أن تحرك باقي جذعها الصغير في المكان. لديها عيون سوداء غائرة في حدقات بلا معاني. الكانيش كلاب قبيحة وغبية، خانعة ومتبجحة، هذه هي الكانيش.

وهكذا الأزواج البوابون، ممسوخون من كلابهم الطوطمية، تبدو مخصصة لمشاعرهما بالحب والرغبة، مثل الطوطم نفسه الذي يجب أن يظل دميماً حيواناً، ممتثلاً ومتعجرفاً في بعض الروايات.. يتخذهم الأمراء كعمال، والأميرات يحكمن عليهن بالأشغال الشاقة. هن لا ينتجن قط، بين بواب وبواب آخر، حتى من جنس متعارض، رومانسية مثل التي تحدث للآخر والتي تستحق أن تُحكى في كل مكان.

ليس فقط لأننا لم نملك كانيش، لكن أعتقد أنني أستطيع أن أقول أن زواجنا كان ناجحاً. مع زوجي مارست ذاتي من خلال الحنين الذي مارسته في صباحات الآحاد الصغيرة. هذه الصباحات المباركة كانت ممتعة، عندما يكون المطبخ صامتاً يشرب هو قهوته بينما أقرأ.

تزوجته في سن السابعة عشر، بعد علاقة سريعة لكنها صحيحة، كان يعمل في المصنع مثل إخوتي الكبار، وكان يتردد أحياناً في المساء عليهم لشرب القهوة. كنت دميمة، ومع ذلك، لم يكن للأمر أهمية في القرار إذا كنت دميمة على طريقة الآخرين، لكن دماقتي كانت من الفظاظ التي لا تخص أحداً سوى، والتي تجعلني متألقة، أكثر مما كنت عليه كامرأة. كانت دماقتي تجعلني أبدو كأني في الخامسة عشر أو في الخمسين. كان ظهري مقوساً وقامتي كثيفة.. ساقاي قصيران، وقدماي متباعدتان، وشعر جسدي غير مقصوص، وملاحي المبهمة دون محددات أو أناقة، مما أعفاني من جمال السحر الذي تملكه الشابات، لكن بدلاً من ذلك أحسست في سن العشرين بأنني امرأة مثيرة للسخرية.

وهكذا، فعندما تتحدد نوايا زوج المستقبل، وأنه يبدو ما بإمكانه أن أتجاهله. انفتحت عليه، أتكلم للمرة الأولى بصراحة إلى شخص آخر عداي. وأنا أبوح له بدهشتي بفكرة أنه يمكنه الاقتران بي.

كنت مخلص، كنت منذ وقت طويل قد آلفت بشكل نظري حياة الوحدة. أن أكون فقيرة، دميمة، علاوة على أنني ذكية، محكوم عليّ في مجتمعاتنا، في مناطق مظلمة، ومنكشفة، من الأفضل أن نعتاد في وقت مبكر على الجمال، يمكن أن نعذر كل شيء، خاصة الدمامة، لم يبد الذكاء عدلاً متوازناً للأشياء. مثل عدم توازن الطبيعة التي تقدم تفضيلاً أقل للأطفال. لكن اللعبة التي تهرز قيمة الحلية، إن القبح دائماً مذنب، لقد عانيت بهذا المصير المأساوي الكثير من الألم لأنني لم أكن غيبية. أجابني بكل جدية يمتلكها، وهو منهمك في هذا المقطع الطويل كاشفاً كل الخصوبة التي لم يمارسها أبداً فيما بعد:

-رينيه. رينيه، لا أريد امرأة واحدة من هؤلاء العباقره اللاتى يمارسن
الفسوق الأكبر. وأسفل وجوههن الجميلة. ليست لديهن سوى مخيخ عصفور.
أريد امرأة مخلصه. زوجة طيبة وأماً طيبة، وسيدة بيت مناسبة، أريد صحبة
سهلة واثقة فى الوقوف بجانبى وتتبعنى فى هدوء البيت وحنان اللحظة، لست
شريراً وسأبذل ما بوسعى.

ثم فعل..

قصير، ونحيف مثل جذور شجرة النبق، لديه وجه رائع وابتسامة
ساحرة، لم يشرب قط ولم يدخن، ولا يتظاهر، ولا يتراهن. فى المنزل - بعد
العمل - يشاهد التلفزيون، ويتصفح مجلات الصيد، أو يلعب الكوتشينه مع
أصدقاء المصنع، اجتماعى بقوة، يدعو الناس إليه بسهولة، وفى يوم الأحد
يذهب للصيد، أما أنا فإننى أتولى أمور المنزل لأنه يعارض ما أفعله عند
الآخرين.

لم يكن يفتقد الذكاء، رغم أن الذكاء ليس من النوع الذى يمارسه، إنه
ذكاء اجتماعى يسمو به إذ كانت مهاراته تتحدد فى الأعمال اليدوية، هناك
تظهر موهبة لا تبدو إلا فى الاستعدادات القوية، ورغم الجهل كل شئ يتم
بشكل كريم، فى عمل تافه مثلما تتميز مهارة الفنانين، وفى الأحاديث يتعلم أن
المعرفة ليست كل شئ..

-يبدو لى أن التسامح الذى وهبته لى السموات قد تبدى بين يدى
زوجة شريكة بطريقة رائعة. ليست من أجل عمل فكرة، ولا على الأقل أمراً
ماكراً.

كان يمكن أن أقع فوق واحد من أسرة جريليه.

برنار جريليه هو واحد من الكيانات النادرة فى 7 شارع لاجرنيل،
أمامه لا أخشى أن أخون نفسى، وكم قلت له أن الحرب والسلام هى رؤية

محددة للتاريخ، أو تأكيداً جيداً ان تشحيم المفاصل لحفظ القمامة، لا يعير لهذا أى حس، ولا أى بادرة. أتساءل بنفسى كيف يمكن أن نمارس ما لا نفهمه؟ بلا شك، فهذا النوع من المواقف لا يتطلب الغايات العقلية ومثل هذه المنبهات التى تدور فى حلقة من النخاع الشوكى تشن الانعكاس دون أن تغوى أو تجذبه المخ، الإيعاز الذى يسبب التشحيم ليس ربما سوى جذب أسمى تسبب ارتجاج الأعضاء دون أن يتدخل فيها العقل.

برنار جرلييه هو زوج فيوليت جرلييه، عمدة "آل ارتين" دخلت منذ ثلاثين عاماً فى خدمتهم كخادمة بسيطة تفعل كل شئ، ثم أخذت تترقى بشكل عادى، وهم يقومون باثرائها، وصارت "عميدة" تسيطر على مملكة ساخرة تتمثل فى شخصيات مثل الوصيصة "مانويلا" كبيرة الخدم بالصدفة "الانجليزية" ورجل العمل "زوجها"، كانت تكن لهذه الأسرة الصغيرة نفس الازدراء، وكأنها من عائلة برجوازية من الأسياد، وفى كل يوم، وأثناء ما هى تثرثر مثل العصفور "كندش" فإنها تنهمك فى كل الاتجاهات، وتبدو مهمة تعاقب كافة الخدم، وكأنها فى قصر "سافى" فى الأيام الخوالى، وترهق مانويلا من نقاشات متبجحة حول حب العمل الجيد، والتحليل بطرق مثالية.

قالت لى مانويلا ذات يوم: أنها لم تقرأ ماركس.. صدمنى هذا التقرير، حول خادمة برتغالية، غرقت فى دراسة الفلسفة، أثر بنفسى الامر، فيوليت جرلييه لم تقرأ ماركس بالتأكيد، بدافع انه غير موجود فى أى قائمة من مواد النظافة لتلميع الاشياء الثرية، ومقابل هذه الفجوة، فقد ورثت من مجلة مرجعية ومزيفة بكتالوجات لا تنتهى تتكلم عن النشادر وممسحة من الكتان كنت آنذاك زوجة سعيدة، رغم كل ذلك فإننى بحت لزوجى بأخطائى الكبرى، على وجه السرعة.

فكرة عميقة رقم 2

هذا القط الذى هنا

هذا الطوطم المعاصر

والمزدان أحياناً

هذا هو الحال فى منزلنا، إذا أردت أن تفهم أسرتنا، يكفى أن تنظر إلى القطط. قطان كبيران مدللان على أحسن ما يكون التدليل، ليست لديهما أى تفاعل مهم مع الأشخاص. إنهما ينسحبان من أريكة إلى أخرى، تاركين الزغب فى كل مكان، ولا أحد يبدو أنه فهم أنهما ليس لديهما أقل قدر من العاطفة تجاه كل منهما للآخر، الفائدة الوحيدة للقطين أنهما يمثلان ديكوراً متحركاً، ومفهوماً أجده مهما من الناحية الفكرية، لكن لكل من قطينا بطن تنشى كثيراً وتنطبق كل منها على صاحبها.

قرأت أمى كل أعمال بلزاك، وتسمع فلوبير عند كل عشاء، تشير كل يوم إلى أى شخص مؤكدة أن التشقيف هو حالة من الزيف المستشيط، يكفى أن تنظر إليها مع القطين، إنها واعية بقوة لهذا المظهر الشكلى، لكنها تعاند رغم ذلك تتكلم إليهما، كأنهما شخصان يبدو أن الأطفال يعتقدون - حتى سن متقدمة - أن كل ما يتحرك لديه روح، وأن ذلك يعود إلى الكوامن. لم تكن أمى سوى طفلة ترى الحياة فى مصباح، أو تمثال روماني قديم أن تعتبر أن القط كونستيو والقط بولمان ليسا سوى فهماً أكثر للمصباح، أسلم أن الاختلاف بين المصباح وبينهما يتمثل فى أن القط يمكنه أن يحس بالمتعة والألم، لكن هذا لا يعنى أيضاً أن هناك الكثير من القابلية فى الاتصال مع الإنسان، أبداً. يجب أن يحثنا هذا أن نأخذ حذرنا العام. مثل مع شئ سهل الكسر

للغاية، عندما أسمع أمى تقول "كونستينو هو قط صغير بالغ الكبرياء، وشديد الحساسية" فإن القط يبدو قابلاً في أريكة بعد أن أكل كثيراً، يبعثنى على الضحك، ولكن إذا فكرنا في الافتراضية التي بها تكون للقط وظيفة أنه طوطم حديث، فإن نوعاً من التقمص المرتبط بالشعار وحماية البيئة ينعكس بكل سعادة على أفراد البيت، يصبح هذا فعالاً، فأمى تفعل بالقطط ما تريد أكثر منا، وأكثر مما لم تكن أبداً، ليس هناك أقل كبرياء وحسية من ثلاثة أفراد فيما يسمى بعائلة جوس: أبى، وأمى، وكولومب، إنهم ضعفاء تماماً ومخدرون، ويخلون من المشاعر.

باختصار، أفكر أن القط هو طوطم عصرى. لقد قلنا ذلك، ومارسنا أحاديثاً طويلة حول التطور والتحضر. وكم من الكلمات تبدأ بـ "ت"، فالإنسان لم يتقدم كثيراً منذ بداياته، كان يؤمن دائماً أنه ليست هناك سوى المصادفة، وأن أرباباً عظاماً يسهرون من أجل راحته ومصيره.

(4)

رفض المعركة

كم قرأت من الكتب.. ورغم ذلك - مثل كل ثقافة ذاتية - فأنا لست واثقة دوما فيما لم أفهمه فيها، يبدو لي ذات يوم يقبل بنظرة واحدة شمولية المعرفة، مثل التفرعات الخفية التي تولد فجأة، وتنسج فيما بينها كل النصوص المتناثرة، ثم وبشكل وقح، فإن المعنى يختفى ويهرب مني الإحساس وأعود لقراءة نفس السطور، وقرب مني في كل مرة أكثر، بينما أحس أنني امرأة عجوز مجنونة، تؤمن أن معدتها ممتلئة تقرأ قائمة الطعام بعناية، يبدو أن تصريف هذا الاستعداد وهذا العمى هو العلامة المخصصة للتثقيف الذاتي، باختصار موضوع الأدلة المؤكدة التي لها كافة الأشكال الجيدة الملحوظة، وهي على الأقل قربان حرية، ولمفهوم في الفكر حيث تطرح الأحاديث الرسمية، تضع الفواصل وتمنع المغامرة.

هذا الصباح، تماسكت، حائرة في المطبخ، كتاب صغير موضوع أمامي. كنت في أحد هذه اللحظات، حيث أن جنون مشروعى الوحيد يمسك بي، وبإصبعين من التخلي، خشيت أن أجد سيدى أخيراً.

من يكون اسم هوسرل، اسم لا نطلقه قط على الحيوانات الأليفة، أو على أنواع الشكولاتة، بدافع أنه يشير الإحساس بالجدية، والتجهم والحركة البروسية، ولكن هذا لم يبعث العزاء في نفسى، اعتبرت أن مصيرى قد علمنى، أفضل من أى شئ، مقاومة كل المبالغات السلبية للفكر العالمى، سوف أقول لك حتى الآن، تخيلت أنه بدافع قبح الشيخوخة أو الترمل وعملى كبوابة، فإننى أصبحت شيئاً بائساً صرت في أدنى الدرجات. وأن ما ينقصى هو الخيال، لقد تراجعت بالتأكيد، رافضة كافة المعارك ولكنه في أمن روحي،

فليس هناك هذا التحدى الذى لا أستطيع إظهاره، فقيرة فى الاسم والوضع والمظهر، وأنا فى مفهومى ربة جمال منهزمة.

وأيضاً آدمون هوسرل الذى تعاملت معه على أنه اسم لمصاصات بدون حقبة، وأنه يهدد استمرار مسابقتى الأولمبية الخاصة.

قلت وأنا أطلق تنهيدة: حسنا، حسنا، حسنا، حسنا لكل مشكلة حل، ليس كذلك؟ - ونظرت إلى القط، الذى يطارد شجاعته.

هذا الجاحد، لم يرد. جاء ليلتهم شريحة كبيرة من لحم الخنزير المفروم، ويتحرك بخلاء ملحوظ ويحتل القوتيه. كررت بشكل غبى فى حيرة: حسنا، حسنا، حسنا، حسنا.

وتأملت الكتاب الصغير السخيف مجدداً. "التحولات الديكارتية - مدخل إلى علم الظاهراتية"، فهمت سريعاً من عنوان الكتاب، وبقراءة الصفحات الأولى أنه ليس من المستحيل أن نبلغ هوسرل، فيلسوف الظاهراتية، الذى لم يقرأ ديكارت أو كانط، لكنه سرعان ما أدمن سيطرة ديكارت عليه، وإلا ما فتح أبواب مداخل الظاهراتية الاستعلانية.

خسارة لأننى بالنسبة لكانط مزرعة إعجاب، بالنسبة للأسباب المختلطة، فإن فكره هو مثال إعجازى للعبقرية، والقسوة والجنون، وأن بعض الفكر الرومانى أقرب إلى النشر. لم تكن لدى أى صعوبة فى أن أخترق المعنى، فنصوص كانط هى نصوص ثرية للغاية، وأريد فيها برهاناً حول الاستعداد للعبور نحو انتصار اختبار شجرة الجانركة.

يطرق اختبار الجانركة بالتجريد التام من السلاح، فهو يستمد قوته من مفهوم عالمى: وأنا أقضم الفاكهة يفهم الانسان أخيراً، ماذا أفهم؟ كل شئ، إنه يعنى بطء النضج الإنسانى الذى كرس نفسه للبقاء على قيد الحياة، ثم يحدث ذات مساء فى نوايا المتعة، غرور كل الشهيات المزيفة التى تتحول من

الجازبية الأولى إلى فضائل الأشياء البسيطة والنهائية، لا جدوى من الأحاديث، البطء وعشوائية العالم المرعبة التي لا يمكن تجاوزها قط، وابتداءً من هذا، فإن اللذة الرائعة للمعاني تتواطأ في تعليم المتعة للناس، وجمال الفن المدهش.

يتم اختيار شجرة الجانركة في مطبخي فوق مائدة من الفرومايكا، وضعت الفاكهة والكتاب وكوَّمت الأولى، وغصت في الثاني، قاومت بشكل متبادل هجوماتهم القوية، إذا فشل الاختبار في أن يجعلني أشك في النص وإذا أفسد النص الفاكهة، فإنني يجب أن أعرف أنني في حضرة مشروع له أهميته، ولنقل استثناء طالما أن القليل من الأعمال لا نرى فيها سوى حلولاً سخيفة، ومسطحة في الطعم الغريب لكريات الثلجات الذهبية الصغيرة.

قلت إلى ليو: أنا بائسة، لأن مفاهيمي في المادية، الكانطية أنها القليل من الأشياء عند النظر إلى هذه الفلسفة الظاهرانية.

لم يكن لدى أي بديل، يلزمني أن أتجه إلى المكتبة، وأن أجرب العثور على مدخل الأشياء، في الأمور العادية فإنني أتحدى هذا التفسير أو الشروح التي تضع النص في بؤرة الفكرة المدرسية، لكن الموقف بالغ الجسامة الذي من أجله أجد نفسي في حيرة حقيقية فإن الظاهرانية أفلتت مني، وهذا أمر لا يحتمل.

فكرة عميقة رقم 3

الأقوياء

في النوع البشري

لا يفعلون شيئاً

إنهم يتكلمون

ثم يتكلمون

هذه فكرة عميقة بالنسبة لى، لكنها ولدت من فكرة أخرى عميقة، إنها دعوة من أبي على العشاء أمس، الذى قال: "من يعرفون كيف يفعلون، من لا يعرفون التوقيع، هؤلاء من لا يجيدون التعليم، يعلمون المعلمين الذين لا يجيدون التعليم.. صار المتعلمون يمارسون السياسة".

بدا للجميع أنه وجد هذا مهماً للغاية لكن لأسباب سيئة، قالت كولومب - وهى المتخصصة فى النقد الذاتى المزيف - "حقاً"، إنها جزء من هؤلاء الذين يفكرون أن المعرفة تعنى السلطة.. وكما آسفت، حين عرفت أننى أمثل جزءاً من النخبة التى تفعل الخير بتصرف وتعجرف، فإننى أهرب من النقد، وأحصد مرتين الكثير من الهيبة الشخصية، أما أبى فإنه يغرق بشكل عام فى التفكير المماثل، رغم أنه أقل حماقة من أختى، هو يؤمن أيضاً أن هناك شيئاً ما يُسمى الواجب، ورغم أن هذا هو رأى خرافى: فهذا يحميه من وهن الجنون، ولهذا، فإنه يؤمن أيضاً وبكل قوة أن العالم لديه حس، ولأنه لم يصل إلى التخلي عن لغو الطفولة التى تتبنى الموقف المتاجر، فإن الحياة عاهرة، ولا أعتقد كثيراً فى شئ، ولسوف أستمتع بها حتى الغنيان، إنها العبارة البسيطة المعاكسة.. وهكذا أختى، التى تؤمن بأن تكون عادية، وتؤمن أيضاً بابا نويل،

ليس لأنها صاحبة قلب طيب، ولكن لأنها طفولية تماماً فهي تضحك بسخرية وغباء عندما يطلق صديق أبي جملته الجميلة، في المجال الذي أسيطر فيه على تنفيذ عمل ما. هذا يجعلني واثقة في ما أفكر فيه منذ وقت طويل، إن كولومب هي كارثة كاملة.

لكن أنا، أعتقد أن هذه الجملة هي فكرة حقيقية عميقة، فقط لأن هذا ليس حقيقياً، على كل حال فهو ليس حقيقياً تماماً، لا يعني هذا ما نؤمن به حول الرحيل، إذا تمت التربية في ميراث اجتماعي حسب القصور المعرفي، فإنني أضمن لكم أن العالم كله لن يسير كما يحدث، لكن المشكلة ليست هكذا، مما يعني أن هذه الجملة، ليست سوى أن قصورا موجودة تحت الشمس، وأن لا شيء أكثر قسوة وظلماً من الحقيقة الإنسانية، فالناس تعيش في عالم توجد فيه الكلمات، وليست الأفعال صاحبة السلطات، حيث أنه في قصوره المعرفي الأعلى تسيطر اللغة، وهذا شيء مرعب، لأنه في الأساس نحن كائنات مبرمجة نأكل وننام، نمارس الإنتاج، ونغزو ونؤمن أرضنا، والأكثر إحساساً بأننا مدانون لهذا، الأكثر حيوانية في كل هذا، أننا كيان من بين الآخرين. هؤلاء الذين يتكلمون جيداً وغير قادرين عن الدفاع عن حديقتهم، وإحضار أرنب للعشاء أو للإنجاب مباشرة، يعيش الناس في عالم يحكمه الضعفاء، إنه أمر مرعب لطبيعتنا الحيوانية، نوع من الفساد، والتناقض العميق.

(5) ظروف حزينة

بعد شهر من القراءة الهيستيرية، قررت التوقف بشكل مكثف عن الظاهرية التي هي احتيال، وأيضاً بنفس الطريقة أن الكاتدرائية قد أيقظت دائماً في داخلي هذا الشعور الغريب من العماء الذي نجربه أمام التظاهر الذي يمكن للبشر أن يبنوا أمجادهم في شيء ما غير موجود.. الظاهرية التي تزعم إيماناً في النظرية أكثر من أن الذكاء يمكنه أن يفيد في تداخل لا جدوى منه، مثلما نحن في شهر نوفمبر، ليس لدى من مشروب الجانركة في الصباح، حالة مماثلة، أحد عشر شهراً في السنة، كانت ألتهم الشيكولاتة السوداء (70%) ولكنني لا أعرف مقدماً نتيجة الاختبار، هل حاولت في تلك المساحة الضيقة، وأنا أخط بصوت عال على وركي، وأنا أقرأ فصلاً جيداً مثل "إفشاء المشاعر النهائية للعلم في مجهود الحياة.. مثل ظاهرة الجدوية، "حسناً" إنها مشكلة المفاهيم الأنا الداخلية المتحولة"، هل يمكن أن نفجر ضاحكين، التدفق بملء القلب في مراعي ممتلئة بالماء، ومن شراب الجانركة وخيوط الشيكولاتة المنسابة في ملتقى الجسمين.

عندما نريد أن نحدد الظاهرية يجب أن نكون واعين، ألها تلخص سؤالاً مزدوجاً: ما هي طبيعة الوعي الإنساني، ماذا نعرف عن العالم؟
لنأخذ السؤال الأول: هؤلاء الآلاف الذين "اعرف نفسك بنفسك"، في "أنا أفكر إذن أنا موجود" لا تتوقف عن شرح هذه السخرية الدائمة للإنسان التي تعني معنى الوعي الذي يستمد من وجوده الذاتي، وخاصة مقدرة هذا الوعي أن يأخذ في ذاته لشيء، عندما يحتك هذا بشر ما، فالإنسان يحتك ويصبح وعيه في حالة احتكاك، ويسأله: ماذا تفعل؟.. فيجيئه الجواب:

أنا أحتك، ويدفع بعيدا عن البحث (هل أنت واع أنك في وعى أنك تقوم باحتكاك نفسك؟)، ويجب أيضاً نعم، وبنفس الطريقة على كل "هل أنت واعى ماذا يمكن أن تضيفه. فهل الانسان أقل تحرقا، لأن يعرف أنه يحتك وأنه في حالة وعى؟.. الوعى الانعكاسى هو هيب بشكل نفعى فوق نظام الاحتكاك؟ لا، لا، أبدا، يعرف هذا الاحتكاك وأن يكون واعيا للفعل الذى يعيه للمعرفة، لن يتغير أبدا بشكل حاد بقدر ما يحدث الاحتكاك، سباق إضافي، يجب أن نطيل فترة الصفاء التى تستمر من هذا الوضع الحزين، وأراهن بعشرة أكواب من الجانركة أن هذا سوف يزيد المضايقات بالنسبة لقطي، فإن أى حركة من مخالفه الداخلية تسبب العدوى، ولكن يبدو للناس أنه غريب تماماً، الآن لا يوجد حيوان آخر لا يستطيع ذلك، ونحن نهرب من الحيوانية.. إن أحداً يمكنه أن يعرف ما يحدث في حالة الاحتكاك، هذا الحضور للوعى الإنسانى يبدو مليئاً بالاحتجاجات لشيء ما مقدس، الذى ينبه داخلنا إلى جوهر بارد يخضع لكل الأشياء الطبيعية.

يبقى كل علم الظاهرية فوق هذا اليقين، والعيون المنعكسة، دليلا على معرفتنا لعلم الكائنات، هو الجوهر الوحيد فى داخلنا الذى يجعلنا ندرسه لأنه فى داخلنا يحدد الأبعاد الحيوية. لا أحد يبدو واعيا للواقع، طالما أننا حيوانات خاصة للبرد المحدد لأشياء طبيعية.

(6)
فستان بال

إذن السؤال الثاني: "ماذا نعرف عن العالم؟"
هذا السؤال يجيب عليه فلاسفة المثالية مثل كانط.
بماذا يجيبون؟
يرددون: "ليس شيئاً كبيراً".

المثالية، هي الوضع الذى يعتبر أننا لا نستطيع أن نعرف ماذا يبدو فى وعينا، هذا الجوهر شبه المقدس ينقذنا من حيوانيتنا، نحن نعرف العالم الذى يمكن لوعينا أن يدركه حسبما يبدو لنا، وليس أكثر.

لنأخذ مثلاً بالمصادفة فإن قطاً حنوناً يسمى ليو، لماذا؟ لأننى أجد أن الأمر أكثر سهولة مع القط، أسألك: كيف يمكنك أن تكون واثقاً أن الأمر يتعلق بقط، وأن تعرف أيضاً أن هذا قط؟ الإجابة الصحيحة تتكون قبل أن تطرح الواقع المائل فى إدراكك للحيوان، مكملًا لبعض الآليات المقصورة واللغوية، سوف تؤدى بك إلى أن تشكل هذه المعرفة، لكن الإجابة المثالية تتكون من استحالة أن هناك ما يجب معرفته إذا كنا نلاحظ، ونفهم قطاً، إذا بدا هذا فى كيف يظهر القط فى وعينا، أو نتأكد ما هو القط فى أعماقه الخاصة، ربما قطى الذى أراه حاضراً، له أربعة أقدام وشارب مرتجف، وأرتب فى عقلى فى درج عليه تيكيت ملصق صغير "قط" هل هو حقاً، وفى جوهره زجاجة صمغ أخضر لا يطلق مواء، ولكن مشاعرى مشكلة بطريقة بحيث يبدو لى هذا، وأن النجاسة الكثيرة من الصمغ الأخضر تفسد ذوقى، ويقينى الساذج، يتمثل فى وعى حول مظهر حيوان أليف شره وناغم الملمس.

هذه مثالية كانط، نحن لا نعرف العالم إلا من "فكرة" تتشكل في وعينا، ولكن توجد نظرية أكثر إحباطا من هذه. نظرية تفتح المناظر الأكثر رعبا من تلك التي تداعب دون أن تجعلنا نأخذ جهد اللعاب الأخضر في الحسبان، أن نفوس في الصباح في مغارة بثور مدهونة بزبدة نعتقد أنها مخصصة لتحميم الخبز.

توجد مثالية إدمون هوسرل التي تثيرني أكثر من علامة رداء من قس تم إغراؤه بانشقاق مظلم في كنيسة معمدانية.

في هذه النظرية الأخيرة لا يوجد سوى مفهوم القط، والقط؟ حسنا إنه يمر، لا أحد في حاجة إلى قط، وماذا تفعل به؟ أى قط، من ناحية أخرى فإن الفلسفة تستخدم الألفاظ في تفسير فجور الروح الخالصة، العالم هو حقيقة من غير المجدي أن نحاول التعرف عليها، ماذا تعرف عن العالم؟ لا شيء، كل المعارف ليست سوى انبثاق للوعي التجميعي ذاته، يمكن أن نرسل العالم إلى الشيطان.

هذا هو علم الظاهراتية: "العلم الذى يبدو للوعى"، كيف يمر يوم عالم الظاهراتية؟ إنه يستيقظ، يعى للتصبن تحت الدش جسد وجوده، هو بدون عمق، يلتهم الزبد المعدمة، ويتسربل في ملابسه التي تشبه الأقواس الخالية، ويتجه إلى مكتبه، وهو يمسك قطه.

ما نعيه قليلا أن هذا القط موجود أم غير موجود وأنه جوهره نفسه، أما غيره فلا يهتم أنه لا يقبل الجدل، وفي وعيه يبدو قطا، وهذا الظهور الذى يشغل إنساننا. ظهور يبقى معقدا، ما يمكن عند هذه النقطة أن تصف توظيف مفهوم ان الوعى بشئ وجوده فى ذاته مختلف هو أمر واضح للغاية.

هل تعرف أن وعينا لا يبدو فجأة، ولكن من تأثير سلسلة معقدة من الأمور المتراكبة التي تصل إلى الظهور في أحاسيسنا لمختلف الأشياء، مثلا على

سبيل المثال: قط، مكنسة، أو مضرب ذباب، ويعلم الله أنها مفيدة؟ تمارس النظر إلى قطك وأنت تسأل وكأنه منتج أنك تعرف كيف أصبح، خلفه، فوقه، أو أسفله، ما يمثله، لن تلاحظ الوجه، لقد أردت أن يكون وعيك متيقظا، دون أن تأخذه في الاعتبار بشكل مضاعف عن قطك من كل الزوايا الممكنة، وينتهي هذا بالألا تغادر هذه الصورة المتكاملة لقطك في منظورك الحالى قط. هذا يشبه مضرب الذباب، الذى لن تلحظه قط إلا عند الشعور أنه يمكنك أن تراه فى داخلك وروحك، وإنه معجزة، تعرف كيف تعيده وكيف سيبدو لك على الجانب الآخر.

سوف تقتنع أن هذه المعرفة بالغة الإفادة، لن تتخيل مانويلا وهى تستخدم مضرب ذباب دون أن تعرف كيف تستخدمه بكافة السبل اللازمة لاحتياجاتها، من ناحية أخرى، لا يمكن أن تتخيل أنه لا يوجد ذباب فى شقق الأثرياء، لا ذباب، ولا هاموش، ولا روائح كريهة أو أسرار عائلية، عند الأثرياء، كل شئ نظيف، ناعم، صحى، وعليه فإن سطوة مضارب الذباب غير موجودة.

هذه هى الظاهرية: حوار داخلى منفرد، بلا نهاية فى الوعى مع الذات، توحد نقى وقاس لا يهم أى قط بالمرّة.

(7)

فى الجنوب المتحد

سألنى مانويلا التى وصلت، لاهثة، من عند السيدة بروجلى التى جعلها العشاء الذى أعطته إياها هذا المساء مسلوقة: ماذا تقرأين؟

لقد منحنى موزع البريد سبع علب كافيار بروسى، وهى تتنفس مثل دارك فادور "بطل فيلم حرب النجوم". قلت: "مختارات من الشعر الفلكلورى" .. ثم أعدت إغلاق ملف هوسرل للأبد.

اليوم، مانويلا عالية المزاج، أراها جيدا، قامت ببشاشة بفك سلة طيور صغيرة مرصعة بالتيجان البيضاء، تم طهوها، جالسة، ناعمة، بشكل معتنى به مفرش الطبق فى يدها. وضعت الفناجين، وجلست بدورى وانتظرت، بدأت:

السيدة بروجلى لديها ظروف غير موفقة

قلت بأدب: آه. حسنا؟ (أكملت بشكل سيء وكأن هذا الفشل قد

سبب لها إهانة شخصية وعظمى): إنها لا تشم أبدا.

نحن نسند هذه المعلومات إلى قيمتها الحقيقية، أحسست بمتعة أن أتخيل برناديت دو بروجلى فى مطبخها، تائهة، مشتتة، ومتبخرة فوق كل ما هو مخالف استخلاص عصير الفطر والقواقع الصفراء وسط أمل ساخر مجنون، سوف تفوح رائحة شئ ما يمكنه غزو الغابة.

أكملت مانويلا: تبول نبتون فوق ساقى السيد سان تيمس، الحيوان المسكين يتعلق بها طوال ساعات، وعندما خرج السيد وتركه، لم تتمكن من الانتظار عليها عند الباب على أسفل بنطلونه.

نبتون هو كلب الصيد الخاص بصاحب الدور الثالث يمين، الثانى والثالث هما فقط الدوران المقسمان إلى شقتين "من مائتى متر مربع لكل منهما"، فى الأول يسكن آل بروجلى، وفى الرابع آل آرتين، وفى الخامس آل جوس، وفى السادس أسرة بالبير، وفى الثانى هناك أسرة كلوريس وآل روزن،

والثالث هناك آل سان نيس، وأسرة بدواز، ونبتون هو كلب آل براوز، وبشكل خاص الأنسة براوز التي تدرس في الحقوق في أساس وتنظم السباقات مع ملاك آخرين للعبة الكوكرز، التي تمارس القانون في أساس.

أكن مشاعر رقيقة إلى نبتون نحن نتبادل "التقدير" كثيراً، بلا شك بفضل التقارب المولود من المشاعر التي تؤدي كل واحدة منها بسرعة إلى الآخر، أحس نبتون أنني أحبه، رغباته المتنوعة تبدو لي شفافة، تذوق العمل يرتبط بالواقع الذي يعيش فيه، أن يكون كلباً عندما تريد سيدته أن تجعله مهذباً، عندما يخرج في الفناء، في الطريقة، في البداية، عليه التخلص من الجلد الوحشي، ينظر بكل اشتهاً إلى بركة المياه المعكرة التي تقبع هناك، تسحبه سيدته برباط جامد بعبودية، فيبدو كأنه معلق بخلفية قطار، دون المزيد من الاحتفالية يلحق بنفس الطريقة.. لاتينا السخيفة من أسرة موريس تسحب لسانها مثل داعرة وهي تفر نحو الأمام، الرأس مملوءة بالتهيج العضوي، إنه شيء غريب بشكل خاص عند كلاب الصيد، عندما يكون مزاجهم طيباً، فإن الطريقة المترنحة التي يتقدمون بها، يقال أنه يرقد أسفل حوافره زنبك صغير يدفعه إلى أعلى، لكن برقة، ودون اهتزاز مما يحرك أيضاً الحوافر والآذان، مثل محركات السفينة، كل الصيد أشبه بسفينة صغيرة، تمخر فوق الأرض الصلبة. وهو يجلب في مشيته إحساس أنه كائن بحري ملئ بالشهوة.

نبتون، أخيراً هو أكل ضخم مستعد لأي شيء من أجل الحصول على قطعة لفت، وكسرة خبز بئس.. عندما تمر سيدته أمام صندوق الزبالة فإنه يتحرك كالجنون في اتجاه الزبالة، وقد لعق لسانه وذيله المنطلق، أما ديان بادواز فإن هذا يعني بالنسبة لها اليأس، في هذه الروح المميزة. يبدو ان الكلب قد اضطر أن يكون مثل مقتنيات المجتمعات الراقية للسافانا، في الاتجاه الجنوبي قبل الحرب، حيث لا يستطيع أن يجد زوجة إلا إذا تكاسل وتظاهر أنه بلا رغبة. في مكان كهذا، يمارس نبتون جوعه الأمريكي.

يوميات حركة العالم رقم 2 من سيكون من أجل كلب الصيد

في العمارة، هناك كلبان من نوع الوايب **Whippet** ، كلب آل موريس الذى يشبه هيكلاً عظيماً، يقع الجلد البيج، و كلب صيد نيزدى يخص ديان بادواز، ابنة الخامى البالغة الارتجاف، شقراء فاقدة الشهية، ترى بوربرى متكتمة، هذا النوع من الكلاب يسمى أنيتا، و كلب الصيد يسمى نبتون، فقط في حالة أنك لن تفهم في أى نوع من المساكن أقيم، ليس لدينا كيكي أو أنيتا في دارنا، حسنا بالأمس، في القاعة، التقى الكلبان وكانت أمامى الفرصة أن أحضر حفل باليه مهما. مررت بالكليين اللذين راحا يهزان المؤخرة، لم أكن أعرف أن نبتون يحس بالألم من مساواته بالآخر، لكن أنيتا عقد ذيله للخلف وبدا كأنه يهز باقة ورد فيها توجد عصارة ضخمة دامية.

لا، ما كان أكثر أهمية، هو الطراز البشرى لهذين الشخصين، لأنه في المدينة، فإن الكلاب تتبع السيد، ورغم أن شخصاً لا يبدو أنه فهم واقعة أن يكون مربوطاً من كلب بشكل تطوعى عليه أن يتتره مرتين يومياً، مهما كانت قاطر، أو شديدة الرياح، أو تسقط الجليد، لقد اعتادت أن تكون نفسها، تلف الطوق حول الرقبة، باختصار، ديان بادواز وآن هيلين موريس على نفس المنوال طوال عشرين عاماً، تتقابلان في المدخل كل منهما تمسك بلجام، في هذه الحالة يبدو كل شئ أشبه بغلطة لفظية! هما أيضاً مرتبكتان إذا كانت لديهما أشياء في الأيدي، تتبادلان التحية، فهما لا تستطيعان فعل الشئ الوحيد الذى سيكون فعالاً في هذه الحالة: التعرف على ما يدور من أجل القدرة على منعه، لكن لأنهما على قناعة أنهما تترهان كلاب شعناء مميزة دون

أى غريزة جنسية بديلة، وأنهما لا يمكنهما الصراخ لكلاهما للتوقف عن هز المؤخرة أو لعق الأعضاء.

هذا ما يحدث: تخرج ديان بادواز من المصعد مع نبتون، وآن هيلين موريس تنتظر أمامها مع آتينا، وهكذا تطلقن كليهما الواحد على الآخر، وبالطبع، ليس هذا أمراً سيئاً، يصيب الجنون نبتون، تخرج الجدة من المصعد وتجد كمامتها عند مؤخرة آتينا، لا يحدث هذا كل يوم، كولومب تبللنا منذ أعوام مع الكايروس، مصطلح يوناني يعنى بالتقريب "لحظة مناسبة" هذا الشيء مثلما كان نابليون يعرف كيف يتماسك فإن أختي بالتأكيد متخصصة في الاستراتيجية العسكرية، حسناً، فإن كايروس، هو هذه اللحظة، فرغم أنى أستطيع أن أقول إن نبتون، لديه "لحظته" المليئة أمام الكمامة، وهو ليس مراوفاً، فإنه يمارس تشرده بأسلوب تقليدى، فإنه يمتطيه: "يا إلهى..". كما تقول آن هيلين موريس وكأنها هي ضحية الإهانة "أوه. لا"، كما تهتف ديان بادواز، وكأن العار قد وقع عليها، وأراهن أن ديان لا يهتمها أن يصعد كلبها إلى مؤخرة آتينا، وتبدأ كل منهما في نفس الوقت بسحب كلبها من أطراف الكلبات، لكن هناك مشكلة واحدة، أن هذا يكسب المكان حركة مدهشة.

في الحقيقة، فإن ديان عليها أن تنسحب إلى أعلى، والثانية إلى أسفل، وقد انفصل الكلبان، لكن بدلاً من هذا فإنهما تغادران جانبياً، ولأن المكان أمام المصعد، فإنهما تصلان إلى طريق مسدود، إحداهما أمام باب المصعد، والثانية عند الحائط الأيسر، وفجأة يبدو نبتون غير ثابت عند أول جذبة، يستعيد نفساً جديداً، ويرتب نفسه كأجل ما يكون أمام آتينا التى تدور عيناها وهى تنبح، فى هذه اللحظة تغير الآدميتان الاستراتيجية وكل منهما تحاول أن تسحب كلبها نحو مكان أكثر اتساعاً كى يمكن عمل مناورة أكثر روعة. وبكل عنف، تصرخان معا "يا إلهى يا إلهى"، وهما تسحبان الكلبات كأن

فضيلة كل منهما تغتصب، لكن في سرعة تترك ديان بادواز بخفة هذه الحركة المدهشة: يبرز الوند الملتوى نحو الأمام وفي نفس الوقت، فإن الجسد ينتصب في الاتجاه نفسه، عدا ذيلها الحصاني الذي يصبح جزءاً من الآخر.

أؤكد لكم أن هذا أمر رائع، يقال إن هذا كلب من نوع سيكون، هذا يؤكد أن هناك سيكون موضوع في مكان في دورة المياه، لأسرتي مع شخص في دورة المياه، فقط، على طريقة سيكون، ماذا، نوع معذب وليس شهياً. أفكر دوماً أن هذا ربما يترك أثره على صفاء الأحداث، لكن حسناً، هنا، كل العالم هو دورات مياه، إذن فأنا لم أشك قط، لكن عندما تفككت مفاصل ديان بادواز بشكل كامل وهي تستخدم ذراعيها ورأسها ذات الزوايا الغريبة، ذلك الجسد المتوج بذيل الحصان بشكل أفقي، جعلني أفكر بسرعة في سيكون. أثناء لحظة قصيرة جداً، بدت مية بديعة مفككة، مما ترك نشازاً جسمانياً ضخماً، وأثناء بضعة أجزاء من الثانية، لأن هذا حدث بسرعة جداً، لكن لأنني منتبهة الآن إلى حركات الأجسام، مقدرة كيف تتباطئ ديان بادواز تجمعت في شخصية سيكون، من هناك لتخبرني أن هذا الشخص في دورة المياه، طوال كل هذه السنوات فقط من أجل أن تسمح لي أن أدرك هذه الحركة الغريبة، وبعد خطوة واحدة، سقطت ديان على الكلين، بينما انطلقت آتينا، وهي تحطم الأرض، نحو نبتون الذي يبعدها بآلية صغيرة، أرادت أن – هيلين أن تحمل ديان، وهي تمسك كلبها على مسافة من وحش داعر، بدا نبتون، غير عابئ تماماً بصراخات الأم سيدته التي ظلت تجره في اتجاه العصا الوردية، لكن في هذه اللحظة، خرجت السيدة ميشيل من مسكنها، بينما أمسكت الكلب نبتون، وأخذته بعيداً.

أصابت المسكين خيبة أمل، من ناحية جلس وبدأ في لعق نفسه وهو يلهث كثيراً، مما أضاف يأساً إلى المسكينة ديان، نادى ميشيل على الكلب

السامو، لأن وتده بدأ في التجمع على شكل بطيخة ثم صحبت نبتون إلى دارها بينما ظلت آن - هيلين موريس مع ديان، أما أنا فعدت إلى مسكني وأنا أقول لنفسى: حسنا، إنه سيكون حقيقى، هل يساوى ما يعانيه من الألم؟.. قررت "لا" لأن نبتون لن ينال قدراً من التدليل، بل ما هو أكثر من هذا، فهو لم ينل نزهته.

(8)

نبى الصفوة الحديثة

فى هذا الصباح، وأنا أسمع راديو فرانس أنتير، فوجئت باكتشاف أنى لم أكن من كنت أعتقدها، كنت أتصور أنى أنتمى إلى وضعى فى التثقيف الذاتى، بروليتاريا لأسباب تتعلق بصفوتى الثقافية لوجودى الذى يمكن أن يكون مطلقا فى ممارسة القراءة، ومشاهدة الأفلام وسماع الموسيقى، لكن هذا الهوس فى استيعاب الأشياء الثقافية بدا لى كأنى أعانى من خطأ التذوق الأكبر، وهو الخليط القبيح بين الأعمال العظيمة وأعمال أقل قيمة بكثير.

هذا بلا شك فى مجال القراءة التى كانت صفوتى هى الأقل قيمة، رغم تنوع المصالح البالغ التطرف، لقد قرأت كتب التاريخ، والفلسفة، والاقتصاد السياسى، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم أصول التربية، والتحليل النفسى، وبالتأكيد وقبل كل ذلك الأدب، الأوائل أثارت اهتمامى، أما الأدب فهو كل حياتى، قطى ليو سى هذا بسبب تولستوى، القط الأسبق عليه كان يسمى كارنينا، بسبب "آنا"، ولم أكن أناديه إلا بكاريه، خشية ألا يترعوا عنى قناعى، هورمى خاتنته ستاندال، توجه ذوقى بشكل محدد إلى روسيا قبل عام 1910، لقد تخلصت بجزء بالغ الشراء من الأدب العالمى الذى يأخذ فى الحسبان أنى ابنة الريف حيث آمال المهنة، قد تم تجاوزها ووصلت إلى البوابة فى 7 شارع جرنيل، مما يجعلنا نستطيع أن نعتقد أن بعض المصائر مخصصة إلى العبادة الأبدية لباريرا كارتلانند.

كانت لديّ نظرة مذبذبة بالنسبة للروايات البوليسية، لكنى أمسكت بهؤلاء الذين قرأهم فى أسمى درجات الأدب، كان من الصعب علىّ بشكل عام، فى بعض الأيام، أن أقتلع نصوص كونللى، أو ماتكل، كى أرد على

جرس برنار جرلييه أو سابين بالدير، حيث أن انشغالي ليست متوافقا مع أوقات هارى بوش، الشرطي الذى يهوى موسيقى الجاز، خاصة عندما يسألنى: "لماذا تنبعث روائح عفنة دائماً فى الفناء؟"

ولأن برنار جرلييه هو الوريث لأسرة قديمة بنكية يمكنها أن تهتم بنفس الأشياء المتبدلة، ويجهلون تبعاً استخدام الضمير الشخصى ما قبل الفعل فى صيغة الاستفهام التى تتطلب أن تلقى على الإنسانية ضياءً جديداً.

فى العروض السينمائية، على العكس، فإن اصطفاى ينشرح، أحب أفلام المغامرات الأمريكية، وأفلام سينما المخرج، فى الواقع لقد استهلكت بشكل مفضل، سينما التحذير الأمريكية أو الإنجليزية باستثناء بعض الأعمال الجادة التى أعتبرها فى عيى جمالية، العين عاطفية وحساسة ليست لديها معاشرة سوى مع التحذير، مثل أعمال جرينوى التى تثير فى داخلى إعجاباً وأهمية وتثاؤباً، بينما أبكى مثل حلوى إسفنجية فى كل مرة، التى فيها تصعد ميلى وامى سلم بطر بعد وفاة ابنته بوى بلو فى "ذهب مع الريح" أو آرى "الشفرة المتزلقة" باعتباره أفضل الأفلام حول انحراف فى سلم الأنعام، ولفترة طويلة كنت أعتبر نفسى - كشخصية قدرية - أن الفن السابع جميل، قوى، ومخدر، وأن سينما التحذير تافهة، وغير ممتعة، وتقلب الأوضاع.

خذ على سبيل المثال، اليوم، فإننى أخصب صبرى بفكرة أنى أقدمها إلى نفسى، إنها ثمرة من نسخ مريضة، إشباع طويل يؤجل الرغبة فى رؤية فيلم رأيته لأول مرة فى عيد الميلاد عام 1989.

(9) أكتوبر أحمر

في عيد الميلاد عام 1989، كان لوسيان مريضاً، لم نكن نعرف أن الموت سوف يحل علينا، كنا قد ارتبطنا بيقين وجوده، ارتبطنا بأنفسنا، كل واحد مرتبط بالآخر. يجمعنا رباط خفي، وعندما دخل المرض في حجره، تسلس داخل جسد ونسج بين القلوب نسيجاً قائماً أذل الأمل فينا، مثل خيط رفيع يلف حول مشاريعنا وأنفاسنا، فالمرض راح يلتهم حياتنا، يوماً بعد يوم عندما عدت من الخارج، أحسست أنني أدخل كهفاً، وأنى بردانة طويلة الوقت، برد لا يتحقق مهما كان، في الأيام الأخيرة، عندما نمت إلى جوار لوسيان، بدا لي أن جسده يشع كل حرارتي التي أشعها في كل مكان.

بدأت علامات المرض في ربيع 1988، واستفحل طوال سبعة عشر شهراً، حتى بلغنا أمسية عيد الميلاد، قام بعمل لصالح العجوز السيدة موريس، قريباً من مسكنها في الفندق، نقلوه إلى مسكني، وقد أحيط بالزهور، يلفه بشريط ليست عليه أى علامة، جاءت وحدها لحضور مراسيم العزاء، إنها امرأة حادة، باردة، وقوية لكنه كانت لها طريقتها الحادة، وبعض الدهشة، في شئ من الإخلاص، وعندما ماتت - بعد عام من رحيل لوسيان - فكرت في أنها كانت امرأة خيرة، وأنى افتقدتها رغم أننا لم نتبادل أى كلمات طوال خمسة عشر عاماً.

لقد أفسدت حياة زوجة ابنتها حتى آخر لحظة، السلام في روحها، كانت امرأة ملاكاً، مثلما أضافت مانويلا، وهى تتحدث إلى الشابة مدام موريس، بحقد ساخر، وهى تحضر جنازتها.

وبعيداً عن كورنيليا موريس، فإن زهور البنفسج، ومرض لوسيان لم تبد لأحد كشي يلفت الانتباه.. بالنسبة للأغنياء، يبدو أن حياة الصغار سهلة، مليئة بأكسجين المال والأعمال والإحساس بالمشاعر الانسانية بشكل مكثف، مع الكثير من الاختلاف طالما أننا نحن البوابات، يبدو أن الموت كان بالنسبة لنا حادثاً عابراً مثل ارتداء الملابس السوداء، لقد انطفأت حياة بواب، إنه أمر بسيط في مسيرة الحياة اليومية، يقين حياتي لا يساهم في أى مأساة، أما بالنسبة لأصحاب العقارات الذين يقابلونه كل يوم فوق السلم، وعلى عتبة مسكنه، فإن لوسيان كان غير موجود؛ لذا فهو يعود إلى العدم طالما أنه عاش نصف حياة، بدون أهمية، وقد صار بلا شك في لحظة الموت ما يؤكد أنه ليس سوى نصف متمرد، لكن مثل كل شخص، فإننا يمكننا أن نطيل من عمر الجحيم، وأن القلب يختنق من الغضب، وأن المعاناة توسع وجودنا، وتنتهي أن تتشكل في داخلنا، في عاصفة الخوف، والرعب الذى يوحى به الموت إلى كل شخص، وهو شئ لا يزهر روح أى شخص في هذه الأماكن.

ذات صباح، قبل ثلاثة أسابيع من عيد الميلاد، عدت من جولتي مع سلقى المليئة بالمشتريات وأطعمة القط، وجدت لوسيان مرتدياً ملابسه، ومتأهباً للخروج، لقد ربط شاله حول عنقه ووقف ينتظرني، عبرت الغرفة إلى المطبخ، وأفرغت كل محتوياتها، وقد علاني الشحوب، بعد أسبوع لم يكن في مقدوره أن يخلع البيجامة التي بدت لي نفس ملابسه، اكتشفت عينيه اللامعتين والسوقيتين، ياقة معطفه الشتوي تكاد تصل إلى خديه الموردين بشكل غريب، ينقصها أن تصيبني بخيبة أمل.

هتفت: لوسيان! ثم أسرعته نحوه كي أساعده في الجلوس، وأنزع عنه ملابسه، ماذا أعرف أيضاً، كل هذا المرض علمني أشياء مجنونة، وفي الأوقات الأخيرة أصبحت هي الوحيدة التي أعرف كيف أتصرفها، وضعت سلقى،

ضممته إلى، ثم حملته في كل هذه الأشياء، ثم بنفس لاهث، وبقلب مشاعر غريبة، من الانبساط.. توقفت، قال لى لوسيان:
- حان الوقت، الاجتماع أمامه ساعة.

في حرارة القاعة، أكاد أبكى، سعيدة مثلما لم يحدث لى من قبل، أمسكت يده الدافئة، لأول مرة منذ عدة أشهر، كنت أعرف أن فيضا من النور المنبعث من الطاقة قد دب فيه من سريريه، ومنحته قوة أن يرتدى ملابسه، إنه التعطش إلى الخروج، الرغبة التي نتشاركها مرة واحدة، هي المتعة الزوجية، وأعرف أيضاً أن هذه هي العلامة التي استمرت بعض الوقت، حالة امتنان تسبق النهاية، لكن هذا لم يشدني، وأردت فقط أن أنتهز هذا، هذه اللحظات السرية في نير المرض. ويده الدافئة في يدي، وانبعثت السعادة التي سرت فينا نحن الاثنين، هذه السعادة القادمة من السماء، إنها فيلم يمكننا أن نشارك رؤيته معاً.

أعتقد أنه قد مات بعد ذلك مباشرة، قاوم جسده ثلاثة أسابيع أيضاً، لكن روحه كانت قد أفلتت في نهاية الاجتماع، لأنه كان يعرف أن هذا أفضل لأنه قام بوداعي في القاعة المظلمة، دون ندم مؤثر. هكذا وجد السلام صباحاً فيما كنا قد قلناه، والكلمات تمر بنا، ونحن ننظر إلى موسيقى من الشاشة المضاءة، حيث تحكي حكاية.
لقد قبلتها.

مطاردة أكتوبر الأحمر، كان فيلم عناقنا الأخير، من أجل من يريد أن يفهم فن النص، ليس علينا سوى أن نراه، تساءلنا لماذا اتجه العالم إلى تعليم مبادئ الحكى والإيماءات، وعروض أخرى بدلا من مجلس في صالة عرض. بواكير، دسائس، تمثيل، تغيرات مفاجئة، مهام، أبطال ومساعدون آخرون:

يكفيك أن ترى شون كونرى فى رداء قائد غواصة روسى وبعض حاملات الطائرات فى أماكنها.

تمتت "أوه" .. لقد تعلمت هذا الصباح من إذاعة فرانس أنتير أن هذه العدوى التى تجذبى للثقافة القانونية من خلال ميول أخرى للثقافة غير القانونية لا تتضمن الزواج من أصل وضع، وأن مدخلى الوحيد لأضواء الأمل، يتضح فى سمات معاصرة للطبقات الفكرية السائدة، كيف لى أن أعرف - من فم عالم اجتماع - أننى سوف أحب أن أعرف بشكل عاطفى أن عليه أيضاً أن يعرف أن بوابة فى خف ماركة "شول" جاءت كى تجعل منه أيقونة مقدسة، تلميذ التطور لأفكار العصور القديمة السابح فى تربية عليا من ارتفاع وهبوط وأقطاب التأليف بواسطة حيث تدخل الحدود إلى الثقافة الحقيقية أو المزيقة، وتختلط معا بشكل نهائى، إنها نصف شهادة للأدب الكلاسيكى الذى كان فيما سبق يسمع باخ، ويقرأ موريك، ويشاهد أفلام الفن والتجربة، وهو أيضاً يسمع اليوم هاندل، أو م. س سولار، ويقرأ فلوير وجون لوكاريه، ويذهب لرؤية فيلم فيسكونتى أو الجزء الأخير من "مت بصعوبة" Die Hard ، ويأكل الممبورجر، وفى الظهيرة والأطعمة اليابانية عند المساء.

إنه من المتعب جداً أن نكتشف عادات اجتماعية سائدة، فيها نعتقد أن لدينا علامات التفرد، عادات متعبة وربما مغيظة، أما أنا، رينيه، فى الرابعة والخمسين من العمر، بوابة ثقفت نفسى بنفسى، أكون حسب انجاسى فى مسكنى المؤكد، أحب العزلة التى تحمىنى من الاحتكاك بالآخرين، حسب هذه الكميات الهائلة من الجهل بتطورات العالم الواسع مما يدور حولنا، التى غصت فيها.. أنا، رينيه شاهدة على التحولات نفسها التى تحرك الصفوات المعاصرة. تتكون من صغار آل بالير من الذين يقرأون ماركس، ويذهبون معاً لمشاهدة فيلم "الجهنمى"، وأيضاً صغار أسرة بادواز الذين يمارسون حقوقهم وهم

ينتحبون عند مشاهدة فيلم "نتج هيل" هي صدمة أكاد أن أسلم نفسي إليها، لأنه يبدو بوضوح شديد، بالنسبة لهذا الذي يشد الانتباه إلى التسلسل التاريخي أنني لا أوقع هؤلاء الفتية، ولكن في ممارساتي الانتقامية، فإنني أتقدمهم.

رينيه، تمثل الصفوة المعاصرة.

قلت لنفسي وأنا أخرج من سلتى شريحة كبدة العجل للقط: "حسناً، حسناً، لم لا". ثم وأنا أنبش عن لفافة، في كيس بلاستيكي، قطعتين صغيرتين من اللحم الأحمر، ثم أتركها تتملح، كي تنضج في عصير ليمون المنقوع في الكزبرة، وهكذا تتخلق الأشياء.

فكرة عميقة رقم 4

اعتن

النباتات

الأطفال

هناك سيدة دار، تأتي هنا، ثلاث ساعات يومياً، من أجل النباتات، أنها أمى التى تنشغل بها، إنه سيرك لا يصدق، لديها رشاشاتان للسقى، واحد للماء بالسماذ، واحد للماء بدون كالسيوم، ومضخة لها العديد من الأوضاع من أجل تحقيق "الأهداف" فى المطر أو "ضبايات". فى كل صباح أحمر تمر أمام عشرين نبات أخضر فى الشقة وتتعامل معها بخبرتها، وهى قمتهم أمام كثير من الأشياء، مختلفة تماماً عن باقى العالم، يمكنكم أن تقولوا "لا يهم" إلى أمى وهى منشغلة بنباتاتها، فهى لا تعبر أى انتباه، على سبيل المثال: "أعتمد أن أتخدر اليوم وأن أتناول جرعة"، تحصل على إجابة "النخيل الأسترالى يصفر من أطراف الأوراق، والكثير من الماء ليس أمراً جيداً بالنسبة لها".

وهكذا، يمكن أن تمسك أول نموذج: إذا أردت أن تفسد حياتك بقوة عليك أن تتفق مع ما يقوله الآخر، انشغل بنباتاتك الخضراء، لكن هذا لن يتوقف، عندما تسكب أمى الماء فوق أوراق النبات، أرى الأمل يحركها، فهى تعتقد أنه نوع من صمغ البلسم الذى سوف سيتغلغل فى النبات، ويجلب له كل ما هو بحاجة إلى النجاح، مشاية بالنسبة للسماء التى تضعه فى عبوات صغيرة فى الأرض، (فى الحقيقة فى مزيج الأرض - أرضى - الرمل الذى تكونه بشكل خاص لكل نبات فى حديقة باب آل اوتى)، إذن فأمى تغذى نباتاتها مثلما تغذى أطفالها، "الماء والسماذ للنخيل الأسترالى، والفاصوليا

الخضراء، وفيتامين ج لنا، هذا هو قلب النموذج، ركز في الموضوع، أحضر له العناصر الغذائية التي تسرى من الخارج نحو الداخل، وهي تتقاوم في الداخل، فتجعله يكبر ويصير أفضل، لمسة فوق الأوراق وهذا هو النبات المسلم لمواجهة الوجود. تنظر إليه بمزيج من القلق والأمل واعي لهشاشة الحياة، وقلق الحوادث التي يمكن أن تحدث، لكن في الوقت نفسه، هناك رضاء لكل ما يجب، وأن تلعب دورها كمرضعة تحس بالاطمئنان، وأنها في أمن بالنسبة للوقت، وهكذا ترى أمى الحياة، تتابع مشاهدتها التأمرية، وأيضاً غير المؤثرة من لمستها، من يعطى الوهم المختصر للأمن.

هذا أفضل دائماً لو تقاسمنا أمانينا معاً، ولو وضعنا مجموعة في الداخل من أنفسها لنقول إن الفاصوليا الخضراء وفيتامين ج، لو قاما بتغذية الحيوان، فلن تنقذا الحياة، ولا تغذيا الروح.

(10)

قط اسمه جرفيس

دق شابرو باب مسكنى.. شابرو هو الطبيب الشخصى لبيير آرتين، هو رجل عجوز وسيم برونزى تماماً، يتموج أمام السيد مثل دود الأرض، وطوال عشرين عاما لم يقم بتحقيقى، ولم يبد أى اشارة عندما أظهر أمامه، تجربة ظاهرية مهمة، تشتمل على السؤال بعمق فى عدم ظهور الوعى لبعض ما يبدو من وعى الآخرين، فصورتى يمكنها أن تنطبع بالتتابع فى جمجمة نبتون وتشكل انطباعاً مزيفاً إلى شابرو الذى يبدو خلافاً.

فى هذا الصباح، اكتسى شابرو بصيغة برونزية، وجنتاه متورمتان، اليد مرتجفة، والأنف مبلل، نعم، مبلل، شابرو طبيب الأقوياء لديه أنف يتزف، فضلاً عن أنه ينطق اسمى.. "السيدة ميشيل"

لا يخرج هذا ربما من شابرو، ولكن من مخلوق فضائى متحول يعمل فى مجال خدمة المعلومات، لأن شابرو الحقيقى لا يفتقد روح المعلومات التى تتعلق بتتابع ذوات محددات مجهولة. كرر الشكل المستشار لشابرو: السيدة ميشيل، السيدة ميشيل حسنا، لقد عرفنا، فأنا اسمى السيدة ميشيل.

استكمل الأنف المتهدل، الذى يبدو أحمر لكثرة شخير التمخط: "حدث أمر بشع." إذن فهو ينخر بصوت مسموع، عاكساً اللون المفقود الذى لم يأت أبداً، بينما أنا مصدومة من سرعة الحدث، وأنا أرى حركاته العصبية أو تفاحة آدم تتحرك، فيبدو بشكل منفرد، ولكنه بشكل خاص غير مركز. نظرت يمينا ويسارا، المدخل خال، وهذا الـ E.T، صاحب النوايا العدوانية، لقد ضعت.

استعاد نفسه، وهو يكرر:

- مأساة مروعة، نعم، مأساة مروعة، السيد آرتين يموت.

سألت: يموت، يموت حقيقة؟

- يموت حقيقى، يا سيدة ميشيل، يموت حقيقى أمامه 48 ساعة.

قلت مندهشة: لكننى رأيته صباح أمس، كان يبدو أنيق الملبس

- آه، يا سيدتى، آه، عندما يلهث القلب، فهذه مقصلة، فى الصباح

ينطلق المرء كالجدى وفى المساء يكون فى القبر.

- هل سيموت فى بيته، وليس فى المستشفى؟

قال لى شابرو وهو ينظر إلى بنفس السحنة التى تبدو على نبتون عندما

يغادر:

- أووه.. يا سيدة ميشيل، من يريد أن يموت فى المستشفى؟.

لأول مرة، طوال عشرين عاماً، أحسست بموجة عاطفية، من الحنان

ناحية شابرو. قلت لنفسى، بعد كل شئ، فهو انسان، وفى النهاية، فنحن

متشابهان.

استكمل شابرو:

- سيدة ميشيل، أنا مذهول من هذا الإفراط يا سيدة ميشيل، بعد

عشرين عاماً من لا شئ، الكثير من الناس يريدون رؤية السيد قبل.. قبل..

هو لا يريد أن يرى أحداً، لا يتمنى أن يرى سوى بول. هل يمكنك تهدئة

الغاضبين؟

لقد قاموا بإشراكى فى أمرهم، أقول كالعادة، انهم لا يريدون أى

ملاحظة لحضورى إلا لتكليفى بالعمل، لكن بعد كل شئ، مثلما قلت لنفسى،

فأنا هنا لهذا السبب، أدون أيضاً أن شابرو يتكلم بطريقة - تثيرى - هل

يمكنك تهدئة الغاضبين - أنا خاضعة لقواعد اللعبة. تساءلت: يجب أن أتذكر

قطى جرفيس هذا النوع يزعجنى لكن لسانه شهى.

أخيراً من يريد أن يموت في المستشفى؟ يسأل العجوز الوسيم، لا أحد، لا بير آرتين، ولا شابرو، ولا أنا، ولا لوسيان، طارحاً هذا السؤال الذى بلا قيمة، شابرو يجعلنا جميعاً بشر. قلت:

- سأفعل ما بوسعى، لكن لا أستطيع أن أتبعهم سوى فوق السلام وليس أكثر

- لا، لكن يمكنك مواساتهم، أخبرهم أن السيد أغلق بابه ونظر لى فى غرابة.

يجب أن أنتبه أنه انتبه جيداً.. فى الآونة الأخيرة، استرخى هناك حادث للصغير بالبير، هذه الطريقة المضحكة التى تعتمد على **الأيديولوجية الألمانية**، تعكس نصف ذكائه، من محارة يمكن أن تنفخ فى أذنه، رغم أن هناك أشياء مربكة، وهذه لأن شيخاً خرفاً يشرب فى نخب نفسه، ينهار من مظاهر بالية، ويغمى على أمامه، وقد نسيت كل القسوة، أرى فى عيني الشرارة التى تندفق، وأخذ النظرة الحانية لكل البوابين الطيبين الذين يتأهبون لبذل أقصى ما بوسعهم لمتابعة الناس حتى السلم وتلاشى الشكل الغريب لشابرو.

ولمسح كل أثر للتحدى الخاص بى، فإننى سيطرت على عيوى الصغيرة: سألت: "هل هذا نوع من القرض؟" .. قال شابرو لى: "نعم، هو القرض". صمت .. قال لى: شكراً. أجبتة: عفواً. وأغلقت الباب.

فكرة عميقة رقم 5 الحياة كلها خدمة عسكرية

أنا فخورة بهذه الفكرة العميقة، إنها كولومب التي أوحى لي بالعثور عليها. ستكون مفيدة لي مرة على الأقل في حياتها، لا أعتقد أنني قادرة أن أقول ذلك قبل الموت.

منذ البداية، تدور الحرب بيني وبين كولومب، فالحياة بالنسبة لها هي معركة دائمة حيث يجب أن تنتصر وهي تدمر الآخرين، هي لا يمكنها أن تحس بالأمان إذا لم تحطم الخصم وتقلل من قوته ومساحته، عالم فيه مكان للآخرين هو عالم خطر حسب معايير المحاربة.

في الوقت نفسه، فهي في حاجة إليهم من أجل واجب صغير مهم، يجب أن يعترف أحد بقوتها، إذن فهي تريدني أن أخبرها - والسيف أسفل ذقني - أنها الأفضل وأنتي أحبها، هذا يجعلني مجنونة مع الأيام مثل الكراز فوق الكعك.. من أجل سبب غامض فإن كولومب، التي ليست لديها أوقية واحدة من البصيرة، قد فهمت أنني أشك أكثر، في الحياة، أنه الضجيج. أفكر أن هذا اكتشاف توصلت إليه بالمصادفة، ليست في حاجة قط أن تتناها الروح الغريزية، التي يمكن لشخص ما أن تجعله في حاجة إلى الصمت، وأن الصمت يفيد في الذهاب إلى الداخل، وأنه ضروري لهؤلاء الذين لا يهتمون سوى بالحياة من الخارج، لا أعتقد أنه يمكنها أن تفهم لأن الداخل فيها هو أيضاً سديمي وملئ بالضجيج أكثر من خارج الشارع، لكن على أي حال لقد فهمت أنني في حاجة إلى الصمت، إذن، فهي طوال النهار تسبب الضجة وتصيح في الهاتف، وتضع الموسيقى العالية الإيقاع هذا يقتلني تماماً، تفرقع الأبواب وتعلق بصوت عال على كل ما تفعله، ومن بينها أشياء حساسة مثل

تفريش الشعر، والبحث عن قلم في الدرج، باختصار ولأنها لا تستطيع قط أن تغزو الآخر، إلا أنني أتبعها بشكل إنساني دون توقف، فهي تغزو فضائي الصوتي، وتفسد على حياتي من الصباح إلى المساء، لاحظ أنه يجب أن يكون لدى مفهوم حول الإرهاب بالغ الفقر كي أصل إليه، أنا أتجه إلى الناحية التي أكون أرغب في الذهاب إليها دون تراكم في رأسي، لكن كولومب ليست سعيدة أن تتجاهل الواقع، أنها تحولت إلى فلسفة: هي الملعونة هي شخص صغير متعصبة وعصابية تكره الآخرين، وتفضل أن تسكن في مقبرة، حيث كل العالم ميت - بينما أنا، أنا طبيعة مفتوحة، سعيدة، وملينة بالحياة.. إذا كان هناك شيء ما أكرهه، فهو عندما يحول الناس ضعفهم أو اتجاههم إلى التعاطف مع كولومب، أنا محظوظة..

لكن كولومب، منذ بضعة أشهر، ليست سعيدة أن تكون الأخت الأكثر رعباً في العالم، فهي أيضا سيئة المزاج وهي ترتكب حماقاتها المقلقة. أما أنا فلست في حاجة قط إلى ذلك، إنها تمارس تطهيرا عدوانيا على أختها، وأكثر من هذا، فهي تستعرض مآسيها الصغيرة، منذ بضع أشهر صارت كولومب مهووسة بشيئين: الأمر، والامتلاك، أمور مناسبة جدا: من وحوش الزومبي التي كنت أشكلها، أصبحت قذرة، انها تقضى وقتها وهي تصرخ فيّ لأنني تركت الفضلات في المطبخ، ولأن هناك شعراً أسفل الدش هذا الصباح، يعني هذا أنها لا تنشغل سوى بي، كل العالم مزعج من الصباح حتى المساء لأن هناك عدم نظام وفتات، غرفتها عبارة عن سوق لا تطاق، صارت عيادة، كل شيء مريح، لا توجد بذرة من التراب. الأشياء في مكان محدد تماما، وبالسوء حظ السيدة جريون إذا لم تمتثل لها وهي تؤدي أعمال المنزل، كأننا في مستشفى، عند أطراف المدينة لم يعد يزعجني أن كولومب أصبحت مهووسة

تماماً لكن ما لا أتحمّله، أنّها تستمر في لعب دور الفتاة غير التقليدية "كول"، هناك مشكلة لكن كل العالم يفعل مثلها.

استمرت كولومب في الزعم أنّها الوحيدة فيما بيننا التي تتعامل مع الحياة "أبيقورية" أوكد لكم أنه ليست أبيقورية، فهي تأخذ ثلاثة حمامات يومياً، وتصرخ مثل معتوهة لأن مصباح المخدع قد تحرك ثلاثة سنتيمترات.

ما هي مشكلة كولومب؟ لا أعرف، ربما قوة إرادة تحطيم العالم كله، لقد تحولت إلى جندي، بمعنى المصطلح، هي تلمع، تنظف، مثل، الجندي الموسوس بالأوامر والنظافة، انه أمر معروف. يجب النضال ضد عشوائية المعركة، وقذارة الحرب، وكل أنواع البشر التي تتركها وراءها، لكنني أتساءل إذا كانت كولومب ليست حالة نادرة، هل نحن لا نحدد كل الحياة مثلما نفعل في الخدمة العسكرية؟ ونحن نفعل ما يمكن أن ننتظره سواء التمرد أو المعركة؟ البعض ينظف الغرف، والبعض الآخر يسحب الفلانكات، ممضياً الوقت وهو يلعب الكوتشينة، مسافراً، قلقاً، الضباط يأمرّون والجنود يطيعون، لكن لا أحد يحدد مهزلة الأماكن المغلقة: ذات صباح عليه أن يذهب ليموت، الضباط كالجنود، المخابيل مثل الماكربين الصغار الذين يمارسون السوق السوداء في بيع السجائر، أو على مرور.

وعند المرور، أضع لك فرض تحليل القاعدة: كولومب سديمية تماماً من الداخل، خاوية ومتراكمة معاً، تحاول أن تضع الأمر وهي ترتب وتنظف داخلها، مزاح، أليس كذلك؟ لقد استغرق الأمر طويلاً كي أفهم أن الخليلين النفسيين هم مضحكون لمن يؤمن بالمسخ، إنها حيلة كبار العقلاء، في الحقيقة، فهي على باب أول شخص قادم، لكن يجب أن نسمع الحناجر الساخنة التي يمارسها الخليلون النفسيون أصدقاء أمي الذين يمارسون لعبة الكلمات، ويجب أن نتفق أيضاً أن الأغبياء الذين تحضرهم أمي، لأنّها تحكي لكل العالم عن

جلساتها مع محللها النفسى، وكأنها ذهبت إلى ديزنى لاند: جاذبية "حياة أسرتى"، "قصر من الزجاج"، "حياتى مع أمى"، "حياتى بدون أمى"، "مفتاح الرعب"، "حياتى الجنسية"، وأنا أخفض صوتى حتى لا أسمع، وكى أنتهى، فإن ممر الموت "حياتى كامرأة مهووسة".

لكن أنا، ما يخيفنى مع كولومب دائماً هو أن لىّ الإحساس أنها نكرة، كل ما تشير إليه كولومب - كمشاعر - قد تم العزف عليه تماماً بشكل مزيف، إنى أتساءل إذا كانت تحس بشئ ما، ومرات عديدة أثار هذا الخوف فىّ، لعلها شديدة المرض، أنها تبحث بأى ثمن عن الإحساس، وشئ ما أهل للثقة، لعلها تتركب حماقة أرى هنا عناوين الصحف: "نيرون شارع جرنيل: فتاة شابة تشعل شقة العائلة، سألوها عن أسباب فعلتها، أجابت: أردت أن أجرب شعوراً..

حسناً، اتفقنا، أنا أبالغ قليلاً، ثم أنا فى مكان سيئ كى أتخلى عن هوس الاحتراق، لكن وأنا أنتظر استمع صراخات الصباح، لأن هناك وبر القط فوق معطف أخضر، قلت لنفسى: "يا فقيرتى، لقد خسرت الحرب قبل أن تبدأ، سوف تكونين أفضل لو تعرفين".

11 تدمير ثورة المغول

طرقت برقة على باب مسكني، إنها مانويلا التي جاءت تقضى أجازتها النهارية، قالت لي دون أن أكون قادرة على تحديد ما اختلطت به من قوة من استعادة لحن شابرو:

- السيد يموت. هل أنت مشغولة، كي نتناول الشاي الآن؟
هذه الوقاحة في توافق الأزمنة، هذا الاستخدام لفعل الشرط في صياغة نفى دون تصريف الفعل. هذه الحرية التي مارسها مانويلا مع علم النحو لأنها ليست برتغالية فقيرة مضادة للغة المنفى. لديهم نفس رائحة إعفاء التشكيلات التي يتحكم فيها شابرو.

قالت وهي تجلس، وتحرك رموشها:
- قابلت لورا عند السلم، كانت تمسك بالدرازين وكأنها ترغب في النبول، وعندما رأني ذهبت.

لورا هي الابنة الصغرى لعائلة آرتين، فتاة لطيفة. في الزيارات تبدو متوترة قليلاً. أما كليمانص الكبرى، فهي حالة من التقمص المؤلم المسبب للإحباط، متعصبة ومتخصصة في إصابة الزوج والأطفال بالملل حتى في نهاية أيام القداس، والأعياد الدينية، والابتهاال على طرف الصليب، أما بالنسبة لجان فإن بنجامين هو مدمن يتتره فوق الأطلال، طفل، كان غلاماً جميلاً، له عينان ساحرتان، يعدو دائماً خلف أبيه، وكأن حياته معتمدة عليه، لكنه عندما يبدأ في تعاطي المخدرات فإن التغيير يتضح عليه. يتوقف عن الحركة. وبعد طفولة استهلكت في الجرى بدون جدوى وراء العقيدة، صارت حركاته مثل شخص مشوش بدل موقعه بالتتابع، يتوقف فوق السلم، أمام المصعد، وفي

الفناء، منغمساً أكثر فأكثر، حتى ينام أحياناً في حصيرتي، أو أمام مخزن المخلفات، ذات يوم وقف يتأمل أمام أصيص من شاي الورد، الكاميليا الصغيرة، سألته إذا كان في حاجة إلى المساعدة ولم أفكر أنه يشبه نبتون كثيراً، مع هذا الشعر المضفر الذى لا يعتنى به كثيراً، فتركه يطول عبر الزمن، وعيناه الدامعتان فوق أنف مبللة، مرتجفة.

أجابني وهو يؤكد على وقفته الخاصة التى تعكس ما يعتريه: "أوه.. لا".

ألححت عليه: "ألا تريد أن تجلس على الأقل؟"

كرر مندهشاً: "أن أجلس، هه. لماذا؟"

قلت: "كى تستريح قليلاً".

قال بنبرة لاذعة: "آه.. أنت، حسناً، هه.. هه".

تركته في صحبة الكاميليا، وراقبته من النافذة، وخلال لحظة بالغة الطول، نزع نفسه من تأمله للزهور، وبلغ مسكنى بسرعة، وفتحت قبل أن يفشل في القرع.

قال لى دون أن يراى: "سوف أتحرك قليلاً".

كانت أذناه الناعماتان معقدتين قليلاً أمام عينيه:

"هذه الزهور.. ما اسمها؟ سألت، مبغوتة: الكاميليا؟"

كرر ببطء: "كاميليا.. كاميليا، حسناً شكراً يا سيدة ميشيل".

قال ذلك بصوت مكتوم مدهش، ثم أدار كعبيه ولم أره طوال أسابيع، حتى ذلك الصباح من نوفمبر الذى قضاه أمام مسكنى، لم أعرفه طالما أنه سق... نعم، السقطة.. لقد بحنا بكل شئ، لكن شابا يصل قبل الساعة إلى نقطة البداية، وهى نقطة مرئية جيداً، وناضجة لدرجة أن القلب صار فى عناق الشفقة. لم يكن جان آرتين سوى جسد تم تعذيبه ينسحب فى حياة فوق الحافة.. تساءلت بصعوبة كيف قام بأداء الحركات البسيطة التى فعلها أمام

المصعد عندما ظهر فجأة برنار جريله، وأمسك به، ثم رفعه مثل ريشة ووفر على التدخل، كانت لدى رؤية مختصرة عن هذا الرجل الناضج الضعيف الذى يحمل بين ذراعيه جسد طفل مذبوحا، ثم اختفيا فى هاوية السلم. قالت مانويلا:

- لكن كليمانص سوف يأتى، إنه جامد، يتبع دوماً خط أفكارى الصامتة.

قلت:

- طلب منى شابرو أن أرجوه أن يذهب.. إنه لا يريد سوى بول.

أضافت مانويلا وهى تتكلم عن فيوليت جريله:

- من المخزن، أن تتمخط البارونة فى المسحة.

لم أندشش، فحين تأتى النهايات، يجب أن نبلغ الحقيقة، فيوليت جريله ترى أن المسحة من الحرير مثل بيير آرتين، وأن كل إنسان سجين لمصيره، يجب أن نواجهه دون مهرّب جديد، وفى النهاية فإنها هى من أعماقها، وبعض الوهم الذى أراد أن يخترقها محاذياً الخيط الرقيق الذى لا يعطى أبداً الحق فى أن يتساوى المرض بالصحة.

أمسكت كوب الشاي وغصنا فى الصمت، لم نقض قط الصباح معاً، وهذا التحطيم لبروتوكول شعائرننا له منفذ غريب. همست مانويلا: "هذا رائع".

نعم، إنه رائع لأننا نتمتع بطبائع مزدوجة، هى رؤية مخصصة لهذه القطيعة فى أمر أشياء مستقرة والشعائر جربناها معاً، من بعد ظهيرة لأخرى، إن الواقع يتكيس إلى الحد الذى تهبه الحس والوعى، وأن هذا الصباح المنهك اتخذ فجأة كافة قواه. لكن نحن نتذوق أيضاً وكأننا لم نتهياً لهذه الصبحية غير اللائقة، فتأخذ الحركات الآلية شكلاً جديداً، حيث يحتسى ويشرب ويستريح، ويخدم ويمزج كى يعود إلى الحياة، إنه مولد جديد، هذه اللحظات حيث يتبدى لنا وجودنا، بقوة شعائر تدفعنا وبكل المتعة أن نخرقها، إنها أقواس

سحرية تضع القلب عند طرف الروح، لأن هروباً عاتباً، يأتي بالقليل من الخلود، ويخصب الزمن فجأة، فيما وراء ذلك، فإن العالم يزأر أو ينام، وتتوالى الحروب، ويعيش الناس، أو يموتون، وتتهالك أمم، وتظهر أمم أخرى، ستغرق عما قريب في هذا الضجيج وكل هذا الغضب، وفي هذا الدوران والارتداد، يشغل العالم كله، ويتمزق، ويعيد ميلاده، إنه أمر يتعلق بالحياة الإنسانية. وأخذنا نشرب كوب الشاي.

مثل كاكوزو أوكاكورا، مؤلف "كتاب الشاي" الذي يأسف لثورة قبائل المغول في القرن الثالث عشر ليس لأنها جرت وراءها الموت والخسارة، لكن لأنها دمرت، من بينها ثمار ثقافة السونج، الثقافة الأكثر ثراء من بين الثقافات، من الشاي أعرف أنه ليس شراباً دقيقاً، عندما أصبح من الشعائر، فإنه ينظم دقات القلب وقابلية رؤية العظمة في الأشياء الصغيرة، أين يوجد الجمال؟ في الأشياء الكبيرة، مثل الأشياء المحكوم عليها بالموت، أو في الأشياء الصغيرة التي، بدون أى ادعاء، تعرف كيف يغش لحظة في زر الخلود.

شعائر الشاي، هذه السلوكيات المحددة الحركة ونفس التذوق، هذا الإدراك ذو المشاعر البسيطة الموثوق فيه البالغ الصفاء، هذه الرخصة تعطى لكل شخص لديه القليل من الفكة، أن يصبح أرستقراطياً في الذوق، لأن الشاي مشروب الأثرياء، وهو أيضاً مشروب الفقراء، شعائر الشاي هي الفضيلة الغربية للدخول في عبثية حياتنا الحيوانية عبر إيقاع صاف، نعم.. العالم يتآمر في الفراغ، والأرواح الضائعة تبقى الجمال، والمعنى يحوطنا، فحين نشرب كوب الشاي يسود الصمت، ونسمع صفير الرياح بالخارج وأوراق الخريف تتساقط وتتطاير، والققط ينام في ضوء خافت، وفي كل جرعة نتسامى مع الوقت.

فكرة عميقة رقم 6

ماذا نشرب

ماذا نقرأ

في الفطور

وأنا أعرف

من أنا

كل صباح، في الفطور، يشرب أبي القهوة، ويقرأ الجريدة، الكثير من الجرائد، في الواقع، هناك "لوموند"، "لوفيجارو" "ليراسيون" وأحياناً في الأسبوع "لاكسبريس" و"ليشو"، "تايم ماجزين"، ومجلة المتاحف العالمية، لكن أرى أن هذا جيد بالنسبة لقناعات كبرى، عند أول فنجان قهوة تكون "لوموند" أمامه، ويستغرق في قراءتها طوال نصف ساعة، وكى يستغل هذه النصف ساعة، عليه أن يستيقظ مبكراً لأن يومه مزدحم للغاية، ولكن في كل صباح إذا كان لديه اجتماع ما، فإنه لا ينام سوى ساعتين، يستيقظ في السادسة، ويقرأ جريدته وهو يشرب القهوة السادة، وهكذا يبنى أبي يومياً. أقول "يبنى" لأننى أفكر أنه في كل مرة هناك بناء جديد، وكأن كل شئ يتحول إلى رماد أثناء الليل، وأنه يجب أن يبدأ من الصفر، وهكذا يعيش حياته كإنسان في عالماً، يجب - بلا توقف - أن نعيد بناء هويتنا كبالغين، هذا التجمع العابر والزائل بالغ البشاشة، يرتدى ثوب اليأس، وذاته أمام المرأة، يحكى الكذبة التى عليه أن يؤمن بها..

بالنسبة لأبى، فإن الجريدة والقهوة هما الخاتم السحري الذي يحوله إلى رجل له أهميته، مثل قرعة في عربة فاخرة، هذه الأمور ترضيه كثيراً، أنا لا أراه

أبدا هائناً، ومتمددا سوى أمام قهوته من الساعة السادسة، لكن الثمن مدفوع، الثمن مدفوع عندما تعيش حياة مزيفة! عندما تسقط الأقنعة، لأن مشكلة حلت - وهى تبقى دوما لدى الموتى - الحقيقة مرعبة!

أنظر إلى السيد آرتين، الناقد الفلكي في الدور السادس، الذى يحتضر، هذا المساء عادت أمى من التدريب غاضبة مثل عاصفة، وما أن عبرت المدخل، حتى ألقت مراثيها "بيير، آل آرتين يحتضر".. المراثية هى قطي وأنا، طالما أنك تقول أن هذا قد أسفر عن أسطوانة كمبيوتر، فإن أمى التى كان شعرها غير ممشط قليلا، بدت عليها الخيبة، عندما عاد أبى، هذا المساء نظرت نحوه لتعلن له الخبر، بدأ أبى مبعوتا يسأل: "القلب! كيف هذا، وبكل هذه السرعة؟".

يجب أن أقول إن السيد آرتين، هو شرير حقيقى، أبى إنسان عامى يلعب دور الشخصيات الكبيرة، غير مسل، أما السيد آرتين فهو شرير باختياره، عندما أقول "شرير" فلا أعنى أنه سيء النية، قاسي، أو استبدادي، رغم أن به القليل من هذه الصفات، عندما أقول "أنه شرير حقيقى" فأعنى أنه رجل يتجاهل دائماً كل ما يمكن أن يملكه من الطيبة فى داخله، كأن تقول جثة على قيد الحياة، لأن الأشرار الحقيقيين، يكرهون كل البشر، بالتأكيد، خاصة أنفسهم، لن تحس بذلك إلا عندما يكره أحد نفسه، هذا يقوده إلى أن يصبح ميتاً بينما هو فى إطار المشاعر السيئة، ولكنه أيضاً طيب لدرجة أنه لا يحس بالغثيان فى داخله.

بيير آرتين بالتأكيد، شرير حقيقى، يقال أنه كان عميد النقد الفلكي، وبطلا فى عالم الطبخ الفرنسى، إذن، هذا لا يدهشنى، إذا أردت رأيي، فالمطبخ الفرنسى، بدافع الشفقة به الكثير من العبقرية، ومن الأساليب، ومن المنابع من أجل نتيجة بالغة الثقل.. وصلصلة، وحشو، وحلوى تفجر البطن سيئة الطعم،

عندما لا يكون ثقيلاً فالأمر يمشى قدر الإمكان، قد لا غوت من الجوع حين نتناول ثلاث فجلات ومحارتين من نوع جاك بالطحالب، في أطباق مزيفة مع خدم يبدون سعداء أكثر من حفارى القبور، يوم السبت نذهب إلى مطعم بالغ الفخامة مثل "بار نابليون"، حين خرجت العائلة للاحتفال بعيد ميلاد كولومب، التي اختارت الأطباق بنفس الاعتناء أكثر من العادة: مهارات شخص دعى مع الكستناء، حريصة على تناول الاعشاب لاسم غير منطوق، قشدة من الحمرة، مع قطع بحرية كبيرة "منتهى الرعب"، القشدة (سابايون) إنه شعار المطبخ الفرنسى: مهارة تستدعى التخفف، لذا لم أتناول شيئاً قط (كى أوفر ملاحظات كولومب حول فقدان شهيتي) ثم أكل فيليه حمراء بالكارى مقابل ثلاثة وستين يورو (ومعه زهر فظ من القرع أو الجزر تحت السمك) ثم مقابل أربعة وثلاثين يورو التي أجدها الأقل ثمناً في قائمة الطعام: فوندام بالشوكولاتة المرة، سوف أخبركم: بهذا السعر، كنت أفضل الاشتراك السنوى في محلات ماكدو على الأقل، دون ادعاء في التذوق الردى، دون أن أهتم على ديكورات القاعة أو المائدة، عندما يريد الفرنسيون أن يتخلصوا من تقاليد "الإمبراطور" بالسير فوق بساط مغزول ومزركش، فإنهم يستخدمون نموذج مستشفى، يجلسون فوق مقاعد كوروبوزيه (من كوربو كما تقول أمى)، ويأكلون في الأطباق البيضاء ذوات الأشكال القياسية بيروقراطية السوفيتية، ثم يجففون أيديهم في دورة المياه، بمناشف إسفنجية بالغة الرقة، لا تقتص شيئاً.

ليست البساطة هي كما يتصورها البعض، سألتنى كولومب في غضب لأننى لم أنجح في الانتهاء من أول حصبة ماذا تريدان أن تأكلى؟... لم أرد لأننى لا أعرف، لست سوى طفلة صغيرة، ومع ذلك، لكن في مجلتي "مانجا" فإن الأشخاص يبدو عليهم أنهم يأكلون بشكل ما، يبدو الأمر بسيطاً، رخواً،

مقاساً، رقيقاً، نحن نأكل مثلما ننظر إلى لوحة جميلة، أو كأننا نغنى في كورال جماعي، الأكل ليس كثيراً، ولا كافياً، وعليك أن تعيش بنفس المعنى من المصطلح، ربما أنى أخدع نفسى تماماً، لكن المطبخ الفرنسى، يبدو كهلاً ومدعياً، وأن المطبخ اليابانى كما يبدو.. حسناً ليس شاباً، ولا عجوزاً، لكنه خالد، ومقدس.

باختصار فإن السيد آرتين، يحتضر، تساءلت عما يجب أن نفعله في الصباح، كى يعود إلى دوره كشيرير حقيقى، ربما قهوة سادة وهو يقرأ، أو فطور أمريكى مع السجق والبطاطس السوتيه، ماذا نفعل هذا الصباح، قرأ أبى الجريدة وهو يشرب القهوة، متصفحاً بعض الكتالوجات، أما كولومب فهى تشرب القهوة وتسمع إذاعة فرانس أنتير، وأنا أشرب الشوكولاته، وأنا أقرأ مجلة "مانجا"، وفي هذه اللحظة، كنت أقرأ مقال تونجوشى العبرى الذى علمنى الكثير من الأشياء عن البشر.

لكن، بالأمس سألت أمى إن كان بإمكانى شرب الشاى، أمى تشرب الشاى الثقيل في الفطور، والشاى المعطر في الضحى، ولكن أنا لا أرى هذا مربعاً، فيبدو هذا أكثر لطفاً من القهوة، وهى مشروب شرير، لكن في المطعم بالأمس طلبت أمى شاياً بالياسمين، وجعلتنى أتذوقه، ووجدته لذيذاً، فقط "أنا" هذا الصباح، قلت أنه ما أريد أن أشربه، في الفطور، نظرت أمى إلى بدهشة (مظهرها منوم سيئ المفعول)، ثم قالت نعم نعم، لقد بلغت السن الآن.

الشاى، والجربيل ضد القهوة، والجريدة: الأناقة، والغناء ضد الحزن العدوانى لألعاب قوة البالغين.

12 كوميديا شبح

بعد رحيل مانويلا، جربت كل أنواع الانشغالات الجذابة: أعمال منزل، المسح في القاعة، إخراج صناديق القمامة إلى الشارع، تجميع المطبوعات، رى الزهور، إعداد طعام القط، أقدم له شريحة من لحم الخنزير مع جلد خنزير منتوف، ثم أعد وجبتى الخاصة - مخالب صينية باردة بالطماطم، بالحبهان والجبن الحريف - أقرأ في جريدة، أتمدد في مسكنى لقراءة رواية دغماركية جميلة، إدارة المشكلة في القاعة لأن لون.. الابن الاصغر لآرتين، والأكبر كليمانص، بكى أمام مسكنى لأن جرانى لا يود أن يراه.

في الساعة التاسعة مساء، انتهيت وبدأت أحس بالعجز، وأنى منهكة تماماً، الموت لا يخيفنى، أيضاً أقل من بيير آرتين، لكن هذا يجعله غير محتمل، إنه مثير للمشاكل، جلست في المطبخ في صمت، دون إضاءة، تذوقت مشاعر مرارة العبث، وهى تتحرك ببطء، بيير آرتين.. مستبد، وقح، متعطش للمجد والشرف، مناضل دوماً حتى نهاية مطاردة كلمات يصعب الإمساك بها، ممزق بين جاذبية الفن وجوع السلطة..

أين الحقيقة في العمق؟ وأين الوهم؟ في السلطة أم في الفن؟ أليست قوة النقاش قد علمتنا أننا نحمل عرايا إبداع الاتساع بينما نبلغ عن جريمة غرور، وعن تعطش للسياحة التى تحركنا جميعاً، نعم الكل، ومن بينها بوابة فقيرة في مسكنها الضيق، لا تملك أى نوع من السلطة الملموسة، ولا تتبع بروحها أى أحلام خاصة أحلام القوة!

كيف تمر الحياة؟ نحن نزول بكل شجاعة، يوما وراء يوم، نمسك دورنا في هذه الملهاة الشبح، وفي الأولويات التى أمامنا، هناك ضرورة أن تثبت

مشاغلنا وتتداخل أراضينا، مشاغل تخميننا، في الصعود حيث لا نزول عبر سلم ميراث القبيلة، وأن نفسد كل الأساليب التي في إمكاننا، وهي تثار جنسياً، وهكذا نستخدم جزءاً غير خفى من طاقتنا في إخافتنا وأغراءنا، وكلا الأسلوبين يؤكدان أنهما بمثابة الالتماس الأرضي، والميراثي الجنسي الذي يحرك مصائرنا، لكن لا شيء من هذا لم يأت إلى وعينا، نتكلم عن الحب، وعن الخير والشر، والفلسفة والحضارة، وتربطنا بهذه الأيقونات الموقرة مثل القراد المتعطش لكلب ضخم بالغ الحرارة.

أحياناً، أثناء هذا، تبدو لنا الحياة مثل ملهارة شبح، مثلما ننسحب من حلم، نحن نتصرف، خائفين من التأكد من الإنفاق الحيوى الذى يمثل المصادرة البدائية، نحن نتساءل بكل دهشة ما هو الفن، إنه اهتزازات من تكشيرات، وغمزات تبدو لنا فجأة منتهى المعنى، عشنا الصغير الناعم، ثمرة للشقاء طوال عشرين عاماً، عادة همجية بلا فائدة في وضعنا في السلم الاجتماعى، مبرئ بشكل قاس تماماً، وخالد بشكل عابر، من غرور خشن، أما بالنسبة لجذورنا، فنحن نتأملها بعين جديدة ومخيفة لأنه: دون أن نلبسها فإن مشهد إعادة الإنتاج تبدو كأنها قد تبدلت بشكل عميق. لا تبقى سوى المتع الجنسية، لذا نحن نسبح في نهر المأساة الأولى، تتمايل الأشياء وفقاً للألعاب الرياضية بدون الحب لا تدخل في إطار دروسنا التي تعلمناها جيداً.

الخلود يفلت منا.

في هذه الأيام، حيث تنقلب فوق مذبح طبيعتنا العميقة كل الإيمانات العاطفية، والسياسية والفكرية والميتافيزيقية، والروحية، التي تحدث في سنوات التكوين والتربية تحاول أن تطبع فينا، المجتمع، حقول الأرض العابرة، من الموجات الميراثية، وتغوص في عدم المشاعر، حيث يوجد الأثرياء والفقراء، المفكرون والباحثون وأصحاب القرار، والعبيد، والطيبون، والأشرار،

الخالقون، والواعون، ورجال النقابات والمؤمنون بالخصوصية، والتقدميون، والمحافظون، إنهم ليسوا سوى كائنات ميراثية، يمتلكون التفسيرات والابتسامات، المسيرات والحلى، لغات وشفرات، مسجلة فوق البطاقة الوراثية بوسائل أولية، لا تغنى سوى هذا: تمسك دمها أو تموت.

هذه الأيام، ستكون فى حاجة للفن بشكل يائس، سوف تجذب بجمرة، أن تعقد اتفاقاً مع وهمك الروحى، سوف تتمنى بشكل عاطفى أن ينقذ شئ ما المصائر الحيوية من أجل كل الأشعار، وكل العظمة لن تترع ملكية هذا العالم.

إذن، ستشربون كوب الشاى، أو تشاهدون فيلماً لأوزو، كى تنسحبوا من دائرة الألعاب والمعارك التى خصصناها لنوعنا الآدمى، وإعطاء هذا المسرح المثير للعواطف حول علاقة الفن، وأعماله العظمى.

(13)

خلود

في الساعة التاسعة مساءً، أدت جهاز تسجيل الكاسيت لفيلم إخراج أوزو "الأخوات موناكاتا"، إنه الفيلم العاشر لأوزو خلال شهر، لماذا؟ لأن أوزو عبقرى أنقذ مصيرى البيولوجى.

جاء كل شئ مما بحث به يوماً إلى أنجيل. فتاة المكتبة الصغيرة، التى أحببتها دوماً وعرضت علىّ دوماً الأقلام الأولى لفيلم فندرز قائلة آه، هل رأيت فيلم "طوكيو - جا؟" وعندما شاهدت "طوكيو - جا"، وهو فيلم تسجيلى غريب أخرجته أوزو، صارت لدينا رغبة عارمة لاكتشاف أوزو، لقد اكتشفت أوزو، وللمرة الأولى فى حياتى، جعلنى فن السينما أضحك وأبكى كتسليّة حقيقية.

أدت الكاسيت، واحتسيت الشاى بالياسمين، ومن وقت لآخر أقوم بترجيع الشريط لرؤية العالم الوردى العلمانى "القلب على التلفزيون". هناك مشهد غريب.

دور الأب لعبه جيشو روى، الممثل المفضل عند أوزو، الذى اختاره فى كل أعماله، رجل رائع مشبع بالحرارة والحياء، سيموت عما قريب، تحدث مع ابنته ستسوكو عن التزهة، التى قاما بها فى كيوتو، وشربا الساكى معاً. وهذا المعبد ذو الطحالب! والضوء تعلوه بالطحالب أيضاً.. ستسوكو: وأيضاً هذه الكاميليا الموضوعّة بأعلى.

الأب: أوه، هل لاحظت ذلك؟ كم هذا جميل! (وقفه) فى اليابان القديمة، هناك أشياء جميلة (وقفه) هذه الطريقة فى الرصد، كل هذا يبدو لى مفرطاً ومبالغاً فيه.

ويستمر الفيلم، حتى النهاية، هناك هذا المشهد الأخير في حديقة، عندما تتحدث ستسوكو الكبيرة مع ماريكو، أخته الصغيرة الجذابة. ستسوكو: الوجه مشع. أخبرني، ماريكو، لماذا تبدو مرتفعات كيوتو بنفسجية.

ماريكو: (بحبث) حقا، يقال أنها فطيرة، آزوكى.

ستسوكو (مبتسمة).. إنه لون جميل.

في الفيلم، هناك مسألة الحب الفاشل، والزواج المدبر، والنسب، وموت الأب، من اليابان القديمة إلى اليابان الجديدة، وأيضاً الكحول، وعنف البشر. لكن هناك سؤالاً خاصاً لشيء ما يفلت منا، نحن الغربيون، حول الثقافة اليابانية المضيفة، لماذا هذان المشهدان القصيران، وبدون تفسير، لا شيء في الحبكة تفسير يقطعة تلك الانفعالات والأحاسيس وتمسك بالفيلم بين أقواسها التي لا تزول؟..

وهذا هو مفتاح الفيلم.

ستسوكو: الجيد الحقيقي، هو ألا يشيخ المرء رغم مرور الزمن.

الكاميليا فوق طحالب المعبد البنفسجي، لون مرتفعات كيوتو، فنان من الخزف الأزرق، هذه بروز وتفتح للجمال الخالص في قلب المشاعر العابرة ليس هو ما نأمله جميعاً، هل نحن الآخرون، نتحضر من الغرب، ولا نستطيع أن ندركه؟

التأمل في الخلود يتمثل في حركة الحياة نفسها.

يوميات حركة العالم رقم 3 ولكن امسكها إذا!

عندما أفكر أن هناك أناساً ليس لديهم تليفزيون! كيف يتصرفون؟ أنا، قضيت ساعات، أقطع الصوت، وأنظر، وأحس أنني أرى الأشياء مع الأشعة السنية، إذا رفعت الصوت، في الواقع، فسوف ترفعون حزمة التعبئة، الورق الحريري الجميل الذي يغلف لحم خنزير قدر باثنين يورو، إذا نظرت إلى التحقيقات الصحفية التليفزيونية فسوف ترى أن الصور ليست لديها أى رابط مع بعضها والآخر، الشئ الوحيد الذي يربطها هو التعليق، الذي يمر مع تتابع الصور معبراً عن تتابع حقيقى للواقع.

باختصار، أنا أعشق التليفزيون، وبعد الظهيرة رأيت حركة العالم الممتعة: سباق غطس، في الواقع هو عدة سباقات، إنه إعادة عرض بطولة العالم، هناك غطس شخصى مع وجوه مألوفة، أو وجوه حرة، غواصون رجال، أو نساء، لكن بشكل خاص مما أثار اهتمامى، هو ثنائيات الغواصين، وأكثر المآثر الشخصية مع الكثير من الدوران والانقلاب واللف، يجب أن يتزامن الغواصان معاً، أن يكونا على مسافة خطوة معاً، لا، معاً تماماً، متقاربين، في كسور من الثانية.

الأكثر إضحاكاً، هو عندما يكون للغواصين مظهر خارجى مختلف تماماً، فإن قصيرا بدينا على نفس الخط مع زميله العملاق، يقال: لن يلتصق هذا، فمعنى أنهما يمكنهما الرحيل والوصول في الوقت نفسه، لكنهما يصلان، حين نتأكد أن كل شئ في العالم يمكن تعويضه، عندما ينطلق الغواصون بسرعة أقل، يندفعون بقوة أكثر بينما أنا موجودة هنا، أتابع جريدتى، وعندما تقدمت شابتان صينيتان فوق المعطس، لديهما جديلتان سوادان لامعتان، لعلهما تؤأم

بقدر ما هما متشابهتان، لكن المعلق ذكر أنهما ليستا شقيقتين، باختصار عندما وصلتا المغطس، فكرت أن كل العالم عليه أن يفعل مثلى، أن أحبس أنفاسى. وبعده عدة اندفاعات هائلة، قفزتا، الأولى فى كسر من الثانية، إنه أمر رائع، أحسست هذا التميز فى جسدى، يبدو أن هذا عمل من نوع "أعصاب المرايا"، عندما ننظر إلى شخص يؤدي حركة علينا أن نمارسها، فإن أعصابنا تتفاعل كى تعمل، تتفاعل فى رؤسنا دون أن نفعل شيئاً.. غوص أكروباتى، ونحن نأكل الشيبسى، ولهذا نحب مشاهدة الرياضة فى التلفيزيون، باختصار، أن الفتاتين قفزتا، فى البداية حدثت المتعة، ثم حل الخوف! فجأة أحسنا أن هناك تفاوتاً خفيفاً جداً جداً بينهما.

تفحص الشاشة، المعدة المزمومة. ما من شك ان هناك تفاوتاً، أعرف أنه من الجنون أن أحكى أن هذا مثل ذاك، وأن القفزة لا يجب أن تستمر أكثر من ثلاث ثوان بشكل كلى، لكن فقط لأن هذا لا يستغرق أكثر من ثلاث ثوان. ينظر إلى كافة الزوايا وكأنهما تستغرقان قرناً، فالأولى تغطس فى الماء قبل الأخرى! إنه أمر مرعب!

وجدت نفسى أصرخ أمام التلفيزيون: امسكها، امسكها، إذن، أحسست بغضب شديد تجاه هذا التكاسل، غصت فى الأريكة، وقد أصابنى القلق، ماذا إذن؟ ها هى حركة العالم! ميل خفيف يأتى دائماً لإفساد إمكانية التميز؟ قضيت ثلاثين دقيقة على الأقل فى مزاج دموى، ثم فجأة تساءلت: لماذا نريد دائماً أن نمسكها؟ لماذا يبدو الأمر بالغ السوء عندما لا تصبح الحركة غير متلازمة؟ ليس هذا تخميناً بالغ القسوة: كل الأشياء التى تمر، والتى نفتقدها فى حرف الخلود.

كل هذه الكلمات التى علينا أن نردها، هذه الحركات التى علينا أن نفعلها، هذه الإصعاقات اللامعة التى تدفقت، والتى لا نعرف كيف نقبض

عليها والتي تغوص في العدم، راودتني فكرة أخرى، بسبب "عصاوية المرايا" فكرة مرعبة، من ناحية أخرى، فكرة بروسية تصبني بالعصية، وإذا كان الأدب، وإذا كان التليفزيون الذى نشاهده يساعدنى لتفعيل عصاوية المرايا، وللتفاعل القليل مع ارتعاشات الحدث؛ فإن الأدب كان بمثابة التليفزيون الذى يبين لنا كل ما لدينا من إخفاق.

صباح الخير لحركة العالم، هذا كان يمكن أن يكون أمراً مميزاً، ولكنه أصبح كارثة يجب أن نعيشها وتصبح مصدراً للمتعة بالتوكيل والتفويض.

إذن أسألكم: لماذا نبقى في هذا العالم؟.

14 اليابان القديمة

صباح اليوم التالي، دق شابرو جرس مسكني، بدا مأخوذاً، الصوت لم يربكني والأنف جافة، وكان متسمرا، كان أقرب أن يكون شبحاً، قال بصوت معدني: "مات بيير".. رددت: "معذرة. أنا متأسفة تماماً لأن إذا كان بيير آرتين لم يعد يعانى، فيجب أن يتعلم شابرو عن الحياة وهو في حالة موات".

أضاف شابرو بصوت استعراضي:

- سوف يصل مسئولوا الجنازة، أكون ممتنا لك لو تدليهم إلى الشقة.
- بالتأكيد.

- سأعود خلال ساعتين، كي أعتنى بـ "آنا".

ونظر إلى لحظة في صمت. قال:

- شكراً، المرة الثانية في عشرين عاماً.

حاولت أن أتصرف حسبما اعتادت بوابات العمارات، لكنني لا أعرف، لماذا لم تخرج الكلمات، لكن ربما لأن شابرو لن يعود أبداً، أمام الموت تتحطم الغايات، لأنني أفكر في لوسيان، فمن اللياقة أن نتصرف بما لا يهين الموتى.

وهكذا، لم أقل: "أبداً". لكن: "هل تعرف.. كل شيء يأتي في موعده".

يمكن هذا أن يدوى كمثل شعبي، أو حتى أن هذا كلام رده المارشال كوتوزف في "الحرب والسلام" موجهاً إياه إلى الأمير اندريه: "لقد كالمو لي الكثير من اللوم ومن أجل الحرب، ومن أجل السلام.. لكن كل شيء يأتي في موعده.. كل شيء يأتي زمن لمن يعرف الانتظار"

ولسوف أعطى الكثير كى أقرأ هذا النص، الذى أعجبنى كثيراً فى هذا المقطع، أنها الوقفة أثناء قراءة القصيدة توازن الحرب والسلام، هذا الفعل ورد الفعل فى الاستدعاء، مثل المد البحرى فوق الرمل يحمل ويجلب ثمار المحيط، هل هذه نزوة المترجم، يحسن صورة نظام روسى بالغ الحكمة، لقد وجهوا لى الكثير من اللوم والعتاب من أجل الحرب ومن أجل السلام، وأنا أعيد رؤية الانسياب فى الجملة أن أى فاصلة لا تقطع معاناتى فى باب الغرائب دون حقيقة أو أساس، أو أن الجوهر نفسه لهذا النص المتميز يتزع منى دموع الفرح؟

هز شابرو رأسه، برقة، ثم ذهب. مرت بقية الصباح فى كآبة، لم يكن لدى أى تعاطف بعد وفاة المؤلف آرتين، تصرفت كروح متألدة دون أن أدرك السبب. أرى زهرة الكاميليا فوق عشب المعبد. أعيد قطفها دون أمل قائم لكل هذا السقوط الذى هز قلبى المرير.

لقد امتزجت اليابان القديمة مع شقق تتساب منها الألحان السهلة وسعادة شخص يعزف على البيانو مقطوعة كلاسيكية، آه، ساعة رقيقة مرتجلة، تمزق شراع الكآبة والحنين.. فى جزء من الخلود، كل شئ يتغير ويتحول، مقطوعة موسيقية مهربة من قطعة مجهولة، حيث تتدفق المشاعر الإنسانية، أرخى رأسى برقة وأفكر فى الكاميليا فوق عشب المعبد، وفى كوب شاي، بينما الرياح فى الخارج تداعب أوراق الشجر الحياة التى هربت تشبت فى أمل بدون غد ولا مشاريع، مصير البشر يتم إنقاذه من شحوب تتابع الأيام، تحميه وأخيراً يتجاوز الضوء، الزمن ويعانق قلبى المطمئن.

15 واجب الأثرياء

الحضارة، هي العنف السائد، الانتصار لا ينتهى أبداً منذ أول عدوانية بشرية، لأن هذه الأولية تصنعنا، أوليات تبقى فينا، بعض الكاميليا فوق العشب حيث نتعلم كيف تتمتع بها، هذه هي وظيفة كل تأديب وتهذيب، ما هو التأديب؟ هو عرض بدون انقطاع للكاميليا فوق العشب، إنها تصرفات غريزية، لا تتوقف أبداً، وتهدد دوماً التوازن الهش للحياة الآخرة.

أنا كاميليا، فوق العشب ولا شئ آخر، إذا فكرنا في ذلك، فلا نعرف كيف نفسر وحدتى في هذا المسكن الكثيب، مقتنعة منذ فجر وجودى لفراغه. كان من الممكن أن أختار التمرد، وأن ألتخذ السموات شهوداً على ظلم وجود مصيرى، منهكة في منابع العنف التى تخبئها ظروفنا، لكن المدرسة جعلت منى روحاً يقودها فراغ مصيرى إلى الوحدة والعزلة، أعجوبة مولدى الثانى أعدت فى داخلى أرضاً لسيادة الغريزة، طالما أن المدرسة أنشأتنى يجب على أن أخضع لنوايا معلمى، فأصبحت بطاعى وانقيادى صورة متحضرة.

فى الواقع، فعندما يستحوذ النضال ضد عدوانية الأوليات بأسلحتها الخارقة التى هي الكتاب والكلمات، ويصبح التعدى مريحاً، وهكذا أصبحت روحاً مثقفة أستمد من الصفحات المكتوبة، قوة المقاومة، لطبعى الخاصة.

وأيضاً، لقد فوجئت بقوة برد فعلى عندما رن أنطوان بالليل بإلحاح ثلاث مرات على مسكنى، ودون أن يحينى، توعد بعتاب وثرثرة أن يحكى لى عن اختفاء دراجته الصغيرة.. أغلقت الباب فى وجهه، وكأنى قررت أن أقطع ذيل قطى الذى يزجر هناك.

قلت: "لا شئ مثل الكاميليا فوق العشب". وكما كان يجب أن أسمع لليون أن يعود لأحبائه، ففتحت الباب بسرعة بعد أن أغلقته. قلت بصوت لاهث: "معذرة".

نظر إلي أنطوان بالليز بمظهر شخص يتساءل إذا كان يرى جيداً ما رآه، أنه لن يحدث شئ لا يتعين حدوثه فالأثرياء يقتنعون أن حياتهم تتبع خطاً سماوياً، وأن المال موجود بشكل طبيعي بالنسبة لهم. قال:

- نعم، حسناً بأى طريقة، لقد أتيت كى أعطيك هذا من طرف أُمى. ومد لى مطروفاً أبيض. قلت: "شكراً"، ثم أغلقت الباب خلفه لمرة ثانية، وها أنذا فى مطبخى، مع المطروف فى يدى.

سألت ليو: "ترى ماذا لى هذا الصبح؟"

لقد أذبل موت بيير آرتين زهور الكاميليا الخاصة بى.

فتحت المطروف، وقرأت الكلمة الصغيرة المسجلة على ظهر بطاقة زيارة أشد برودة من الحبر، مسجلة على أوراق النشاف التى انسالت بخفة، وراء كل حرف.

"السيدة ميشيل.. هل يمكنك استقبال باقات زهور بعد الظهر؟!.. سوف أمر لآخذها من مسكنك فى المساء.. شكراً مقدماً.. (توقيع مخربش) لم أنتظر أبداً مثل هذا التكتيم فى الهجوم، والتماسك، تركت نفسى أسقط فوق المقعد الأقرب، تساءلت إذا كنت مجنونة قليلاً، هل هذا يترك لى التأثير نفسه، عندما يحدث نفس الشئ معك؟

خذ:

القط ينام. وقراءة جملة صغيرة، لا توقظ فىك أى مشاعر من الألم، ولا أى توهج من المعاناة؟ إنه أمر طبيعى. الآن القط ينام. أكرره من أجل أى غموض لا يدوم: القط ينام.. القط ينام، هل يمكنك أن تستقبل؟.

من ناحية، لدينا هذا الاستخدام الإعجازى الذى يفصل بين الحريات واللغة، فمن الطبيعى أن لا نضع إطلاقاً قبل أدوات الربط، وأن نأخذ بالشكل:

لقد قاموا بعتابى كثيراً، من أجل الحرب، ومن أجل السلام، ومن ناحية أخرى، لدينا انسيال فوق مخطوط لسابين بالير ناقلًا الجملة من فاصلة لتصبح قبضة.

هل يمكنك استقبال باقات الكى بالبخار؟

كانت سابين بالير شخصية مثالية، مولودة تحت شجرة تين فى فارو، بوابة هاجرت حديثاً من بيمتو، لديها نقص عقلى، ورثته من قيم متسامحة أسرية الذى يمكننى أن أصفح من كل قلبى عن هذه اللامبالاة المدانة، لكن سابين بالير شخصية ثرية، سابين بالير هى زوجة لشخصية مهمة كبيرة فى مصنع الأسلحة، سابين بالير هى أم لأحق يرتدى معطفاً أخضر صنوبرياً، ستذهب لبث تفاهة أفكارها الصغيرة فى مجلس وزارة العدل، وسابين بالير هى بالإضافة لذلك ابنة عاهرة فى معطف فراء تمثل فرداً من لجنة القراء لإحدى دور نشر لديها العجيب من المجوهرات.

لكل هذه الأسباب، فإن سابين بالير هى امرأة لا تغفر لها الشهرة والثراء، لمن تفيد الرأفة والغفران فى الحياة، وفريضة القوة فى بواعث الجمال غير صالح للتفاوض. اللغة هذه الثروة الإنسانية، واستخداماتها، هذه التهيئة من الوحدة الاجتماعية مقدسة، تتطور مع الأمن وتحول وتناسى، وتتولد من جديد بينها أحياناً تصبح المخالفة مصدراً لخصوبة كبيرة، فى الواقع ألا نأخذ منها هذا الحق فى اللعب، والتغير، يجب أولاً أن نعلنهم بالخضوع التام نخبة المجتمع، صارت هذه المهمة الشخصية المزدوجة تتعبد وتحترم جمال اللغة، وأخيراً فإن سابين بالير أساءت استعمال تنقيط الحروف فى تجديف أكثر

مهابة، مما هو عليه في الوقت نفسه، شعراء رائعون مولودون في عربات عفنة
ومدن قدرة لديها هذه الموهبة المقدسة التي تنسب إلى الجمال.
إن الأغنياء، أمامهم واجب حقيقي، وإلا فإنهم يستحقون الموت.
إنها النقطة المحددة، لأفكارى غير المهمة التي يدق من أجلها شخص ما
على مسكنى.

فكرة عميقة رقم 7

أن تبني

أنت تعيش

أنت تموت

هكذا تكون النتائج

كلما مر المزيد من الوقت، أصمم أكثر على أن أشعل النيران هنا، دون أن أتكلم عن موضوع انتحاري. يجب أن نضع هذا في الحسبان، لقد أخذت قطعة صابون من أبي، لأنني وبخت أحد مدعويه الذي قال شيئاً كاذباً، في الواقع، فإن هذا هو والد تيبير، تيبير هو صديق أختي، يعد رسالة ماجستير مثلها، لكن في الرياضيات، عندما أفكر في ما يسمى صفوة.. الاختلاف الوحيد الذي أراه بين كولومب، وتيبير هو أصدقائها، جماعة من الشباب "الشعب" هكذا تسميهم ورفاقها الأكثر غباءً، هذا يشرب، وذاك يدخن، أو يتكلم بلهجة أهل المدينة، وهذا يغير من كلمة "صادق" أو أيضاً كل (م. أ) "مديرو الأبحاث" الذين تم تعيينهم منذ عامين الذين تخطوا المستوى القانوني، لا يجب تلويثه مع مديري الموضوعات (كل نفقات الأمس)، لدينا الحق في الواقع أن الشقراء (ج. ب) العاملة بأصول الإنجليزية، شقراء كذلك، ومستوى أعلى: مؤتمر ماريون، إنها إجابة. عندما قال إن الوجود ليس الصفة الأولى لله.. كذلك بعد غلق ملف عالمة الإنجليزية الشقراء كيف تريد أن أفكر، ها هو يردد بكلمة مفهومة، ليس لأنه ملحد فهو غير قادر أن يفهم قدرة علم الإنسان الميتافيزيقي، نعم من وجهتي، هناك القوة الاستثنائية، وليست الحقيقة،

وماريان، هذا القديس القذر، إنه يؤكد على لين العريكة. هه، هذا يبعث على الهدوء.

اللائي البيضاء

على أكمامي الساقطة عندما يمتلى القلب

نحن نفترق

أحملها

كذكرى منك

بدأت في وضع الكريات، في طحالب صفراء لأمي كوكيتشو وأنا أقرأ في مختارات من الشعر الياباني الكلاسيكي يمتلكها أبي، ولا أسمع حديثهما المتدني وبعد، فإن كولومب، وتيبير يظلان وحدهما وبشيران ضجيجا سخيفاً، وهما يعرفان جيداً أنني سأسمعهما مصيبة فاقت الحد، ظل تيبير يتناول العشاء لأن أمي دعت والديه، والد تيبير هو منتج سينمائي، وأمه لديها معرض للفن على رصيف السين، كولومب منبهرة تماماً بوالدى تيبير، ستذهب معهما في عطلة نهاية الأسبوع القادمة إلى فينسيا، إنه تخلص جميل منها، فسوف أعرف الهدوء طوال ثلاثة أيام.

عند العشاء، قال والد تيبير: كيف لا تعرف آل "جو" تلك اللعبة اليابانية المدهشة؟ لقد أنتجت في هذه الفترة اقتباساً من ساشان بطلة جو، إنها لعبة فا - ت - نة - هي المعادل الياباني للشطرنج.. هناك أيضاً اختراع نحن مديونون به إلى اليابان، إنه فا-ت-ف. أذكر لكم!.. ثم بدأ في شرح قواعد لعبة الجو، إنها بغير ذات أهمية، فالصينيون هم الذين ابتكروا الـ "جو"، وأنا أعرف لأنني قرأت مجلة النحو الدينية عن لعبة الجو. اسمها "هيكارو" وليست "جو"، وكلا اللعبتين ليستا معادلين يابانيين للشطرنج.. على كل، فهي لعبة على لوحة، من خلال مواجهة بين خصمين، مع قطع بيضاء وسوداء، إنهما

مختلفتان اختلاف الكلب والقط، ففي الشطرنج يجب أن تقتل كى تكسب، فى الـ "جو" يجب أن تبني كى تعيش، وفى الألعاب الثلاثة بعض القواعد المعلنة عنها من أن ولد غبى وأبله كانا مغلوطين، وهدف اللعبة ليس هو أكل الآخر لكن بناء المزيد من الأراضى الكبرى، قاعدة أخذ أحجار الخصم تقضى بأن يمكن الانتحار وهذا من أجل أخذ حجارة معادية، وليس منع شكلى للذهاب إلى هناك حيث تأخذ بشكل آلى..الخ.

السيد أ ح - ب - ال - عالم - بشرة: "نظام تقسيم للاعبين يبدأ فى واحد كيو، وبعد ذلك يصعد فيها إلى 30 كيو، ثم بعد أن يمر فى أول دان ثم الثانى، الخ

لم أستطع أن أتماسك فقلت: لا، هذا فى النظام المعاكس: يبدأ ب 3 كيو وبعد ذلك تصعد حتى واحد كى. لكن معذرة، أنا لا أعرف - ما - فعلته - أعترض بشكل سيء: "لا يا آنسى العزيزة، أعتقد أننى على حق.. أشرت بالرفض برأسى بينما راح أبى يدعك رموشه وهو ينظر لى، المصيبة أنه تم إنقاذى من تبيير، لكن، يا أبى، إنها على حق.. واحد كيو هو الأقوى، تبيير هو عالم رياضيات، ويلعب الشطرنج والجو. أكره هذه الفكرة، الأشياء الجميلة يجب أن تنتمى إلى الناس الجميلين، لكن دائماً والد تبيير على خطأ، بعد العشاء قال لى بغضب: "لم تفتحي فمك إلا لتسخيف ضيوفنا، ماذا كان على أن أفعل، أن أفتح فمى مثل كولومب كى تقول: "برمجة أشجار اللوز تجعلنى حائرة، وهى غير قادرة أن ترجع إلى كلام راسين، أو أن تتكلم عن رؤية الجمال.. أفتح فمى كى أقول مثل أمى، يبدو أن بينالى العام الماضى كان مخيباً للآمال، إنها تقتل نفسها من أجل معانقتها وهى تتركها تحترق مثل لوحة فرمير.. أن افتح فمى كى أقول مثل أبى "الاستثناء الثقافى الفرنسى هو حيرة نافذة"، فى كلمة قريبة مما قاله فى ستة عشر عشاءً سابقاً، "اليوم فى باريس لن

تجد المزيد من الجبن الجيد" دون أى اعتراض. هذه المرة، مع طبيعته العميقة
كتاجر لمنقوع الصمغ

عندما أفكر فى "جو" فهى لعبة هدفها بناء الأراضى، إنها لعبة جميلة
بقوة، يجب أن تكون هناك أوجه معركة، لكن هذه ليست سوى وسائل خدمة
النهاية، أن تعيش الأراضى، واحدة من نجاحات اللعبة، إنها تثبت أنه كى
تكسب، يجب أن تعيش، وأن تترك الآخر يعيش، والأكثر جشعاً يفقد الجزء
الأكبر: إنها لعبة يجب أن تحقق المزيد دون أن تحطم الآخر، أخيراً فالحياة
والموت ليستا ظروف بناء جيد أو سيء، إنه مثلما قالت إحدى شخصيات
تانيجوشى: أنت تعيش أنت تموت، إنها الظروف، هذه هى حكمة الـ "جو"
وحكمة الحياة.

الحياة، الموت، ليسا سوى نتاج ما ننبته، من يقوم بالعد، هون من يبنى
جيداً، إذن لقد منحت نفسى كرها وإرغاماً جديداً، سوف أتوقف عن عدم
العمل، عن التدمير: حتى كولومب: سأجعلها تعمل أشياء إيجابية، من يقوم
بالعد يظل يعمل حتى لحظة الموت، فى يوم 16 يونيه القادم، أريد أن أموت
وأنا أبنى.

طرق شخص الباب، فوجدت الفاتنة أوليمب سان - نيس، ابنة الدبلوماسى فى الدور الثانى، أآب أوليمب سان - نيس كآثراً، أآد أآا تتمتع بسمات متميزة كى تستمر على قيد الحياة باسم سآيف، خاصة عندما نعرف أنه مضحك ما "إيه.. أوليمب، أستطيع أن أصعد فوق مرتفعاتك" على طول مراهقة، تبدو وكأنها لا تنتهى ، بالإضافة إلى أوليمب سان - نيس لا تتمنى حب الظاهر، تصبح ما يقدمه لها ميلادها، لا تتطلع إلى زواج ثرى، ولا إلى منابع القوة، ولا إلى الدبلوماسية، وأيضاً إلى نجومية أقل، أوليمب سان نيس، تريد أن تصبح طبيبة بيطرية.

صرحت لى ذات يوم فى الإقليم عندما كنا نتحدث عن القطط أمام ممسحة الأقدام الخاصة بى: فى باريس لا يوجد سوى الحيوانات الصغيرة، أريد أيضاً بقرات، وخنازير.

أوليمب لا تتبع أبداً أى سلوك، مثل بعض المقيمين فى العمارة، كى يعنى أآا تتحدث مع البوابة لأنها تربت جيداً مع اليسار. دون رأى مسبق تكلمنى أوليمب لأن عندى قط، وهذا ما يدمجنا نحن الاثنين فى تجمعات ذات مصالح مشتركة، ثمنها العادل هذا الاستعداد الذى وضع الحواجز التى يضعها المجتمع بدون توقف على طول طرقاتنا المضحكة.

قالت لى عندما فتحت لها الباب: "يجب أن أآكى لك ما حدث مع القط كونستيو". قلت لها: "ادخلى. أمامك فقط خمس دقائق".

ليس فقط أمامها خمس دقائق، لكنها سعيدة تماماً أن تجد أن شخصاً
يحدثها عن القط والمآسى الصغيرة للقطط، فطلت ساعة شربت خلالها خمسة
أكواب من الشاي.

نعم، أحب فعلاً أوليمب سان - نيس.

"كونستيو" هو قط صغير، رائع ذو زغب كرامللى اللون، وأصابع
وردية ناعمة، له شارب أبيض، وسيقان بنفسجية اللون، ينتمى إلى أسرة
جوس، ومثل كل الحيوانات ذوات الزغب فهو يميل إلى أوليمب، إلى أقل قدر
من الضراط عند المشى، حسناً، هذا الشئ عديم الجدوى، لكنه عاطفى، عمره
ثلاث سنوات، يموء دائماً طيلة الليل، مما يحطم نعاس ملاكه.

سألت فى لحظة ما: لماذا؟ لأننا منهمكون فى الغطيط، حيث يرغب كل
واحد أن يؤدى دوره بكفاءة.

قالت أوليمب: "إنه التهاب المثانة، التهاب المثانة".

لم تبلغ أوليمب سوى التاسعة عشر، وتنتظر بجنون لا يُحتمل أن تلتحق
بكلية الطب البيطرى، وهى تنتظر وتعمل بلا انقطاع، وتأسف تماماً وهى
تستمتع بالشروع التى تضر بحيوانات العمارة، والوحيدة التى يمكنها أن تختبرها
بالتجربة. كما أنها أعلنت لى تشخيص التهاب المثانة.

هتفت بكل حماس: "التهاب المثانة".

تهتدت، وقد لمعت عيناها: "نعم، التهاب مثانة الصغير المسكين، بتبول
فى كل مكان- واستعادت أنفاسها قبل أن تشرع فى الأحسن - كان بوله
يتزف بشكل ضعيف!

يا الهى، كم أن هذا رائع، قالت أن هناك دماً فى بولها، الأمر سرعان ما
تمت معرفته، لكن أوليمب ترتدى ملابسها بشئ من الانفعال، وقد حملت
مستولية المصطلح الطبى بشكل خاص أحسست بالسعادة، وأنا أسمع مثل هذا

الكلام، هناك شئ قليل الزيف في البول.. وبالنسبة لى فإنها جملة خلاقة ترن بقوة فى الأذن، وأستدعى عالما فريدا يتسلى به من الأدب. لهذا السبب، فإننى أحب قراءة التعليمات الطبية والالتزام بدقة، المصطلح العلمى الذى يعطى معنى القسوة، رعشة البساطة وأستدعى حيزاً زمنياً، فيه يغيب المجهود نحو الجمال، والمعاناة الخلاقة وجذب بلا نهاية وبلا أمل فى الآفاق البعيدة السامية.

أكمّلت أوليمب: "هناك مبحثان مختلفان بالنسبة لالتهاب المثانة، أن تكون جرثومة معدية أو فشل كلوى، لقد جربت مثانته أولاً، كى أتتحقق أنها لم تبدأ فى الاحتباس".

قلت مندهشة: "احتباس".

شرحت أوليمب: "عندما يكون هناك فشل كلوى فإن القبط لا يمكنه التبول، فإن مثانته تمتلئ، وتشكل نوعاً من "الاحتباس البولى" يمكن أن تحبسها حين تجس البطن، لكن ليست هذه هى الحالة ولا يبدو عليها أنها تتألم عندما كنت أفحصها فقط، فهى تستمر فى التبول فى كل مكان".

لديّ فكرة عن غرفة معيشة سولانج جوس التى تحولت إلى فراش عملاق ملئ بالكاتشب، لكن بالنسبة لأوليمب فالأمر لا يعدو أن يكون خسارة مضاعفة. لقد قامت سولانج بعمل تحاليل للبول. "كونستانتو" ليس لديه شئ، ليس هناك فشل كلوى، وليست هناك جرثومة داخلية فى مثانته الصغيرة كالفسق، ليس هناك علاج بكتريولوجى مطروح، وعلى هذا ورغم كل المضادات للالتهابات، ومضاد للتشنجات والمضادات الحيوية، فإن "القبط" كان عنيداً. سألت: "ماذا به إذن؟"

قالت أوليمب: "لن تصدقنى، إنه مصاب بالتهاب مثانة لا ينتقل بالعدوى بين الخلايا". قلت بشكل مفتتن ومغرى: "يا الهى. ما هذا؟" .. أجابت أوليمب ضاحكة:

- حسناً، كأن تقول أن القط مصاب بهستيريا معدية، هذا يعنى أن التهابات المثانة لا تنقل العدوى دون أى سبب طبي محدد. باختصار عندما تضغط، فإنها تصاب بالتهابات المثانة، بالضبط مثلما عند النساء.

تساءلت بصوت عال:

لكن لأى سبب تضغط؟ فإذا كان كونستانتو فى حياته اليومية حيوان كسول، فليس هذا سوى مصطلحات بيطرية مزعجة تتضمن أن ندلك له المثانة، وبدافع الضغط.

- قال الطبيب البيطرى، القط وحده يعرف.

- من ناحية أخرى، قال لها بول جوس انها بدينة، لا أعرف، هذا يعنى انه لا أهمية.

- وكيف نعتنى بها؟

قالت أوليمب وهى تمزح مثل البشر، نعطيها بروزاك.

قلت: بدون سخرية.

أجابتنى: بدون سخرية.

لقد أخبرتكم جيداً. أنه قط يعانى من نفس المتاعب التى تصيب النساء المتحضررات، لا يجب أن تجعلها تصرخ بإهانة على العدوى من الإنسان من كائن أليف برئ، بل على العكس، فالقوة العميقة تنسج مصائر الحيوانات، ونفس الشهية، فنحن نعيش، نفس المتاعب، التى نعانيها.

قالت لى أوليمب:

- على كل حال، هذا يجعلنى أفكر عندما أعتنى بالحيوانات التى لا

أعرفها

ثم قامت، واستأذنت برقة.

- حسناً، شكراً، يا سيدة ميشيل، لا أقدر على الكلام عن كل هذا إلا معك.

قلت لها: "العفو، يا أوليمب، كم أسعدني هذا".
وتأهبت لإغلاق الباب، وهي تقول لي:
- آه، هل تعرفين، أن أنا آرتين سوف تبيع شقتها، أعني أن يكون لدى السكان قسط، هم أيضاً.

آنا ارتين تبیع!

قلت إلى لیو: "آنا آرتین تبیع!"

أجابنی أو علی الأقل أحسست بهذا: "وماذا؟"

أعیش هنا منذ سبعة وعشرين عاماً، لم تغیر أى شقة أسرها، لقد تركت العجوز السيدة موريس مكانها إلى الشابة السيدة موريس أو شئ من هذا القبیل، أما بالنسبة لآل بادواز، وآل جوس، وآل روزن فإن آل آرتین قد وصلوا فی نفس الوقت الذى وصلنا فيه، لقد أصابتنى الشیخوخة معاً، أما بالنسبة لآل بروجلی، فهم هنا منذ وقت طویل جداً، يشغلون نفس الأماكن، مما أعرف ما هو سن السید المستشار، لكنه شاب، يبدو عجوزاً، ورغم أنه عجوز، فإنه يبدو شاباً.

كانت آنا آرتین هی الأولى - فی فترتی كبوابة - التى باعت ممتلكاتها وغیرت اسمها بشكل فضولی هذا المنظور أخافنى، هل أسكن منذ بدايتى الخالدة داخل منظور تغیرت فرضياته، وغرقت فی نهر الزمن، منذ أن كنت دارسة، نحن نعیش كل يوم كأننا یجب أن نولد من جدید غدا والبنایة القمامة فی 7 شارع جرنیل، تتحرك - صباحاً بعد صباح - إلى وضوح الخلود تبدو لی فجأة مثل جزيرة صغيرة تناوشها العواصف.

قوة مزعزعة، أمسكت سلتی ذات العجلات تاركة لیو هناك، وهو یزجر خفیفاً، یوجهنی بخطوة مترنحة نحو الممشی، وعلى جانب شارع جرنیل، ثم شارع بك، موثق عقود رابط الجأش لهذا الورق المقوى المستعمل، نظرت إلى جیجن نظرة قریبة، كأننى وقعت فریسة لعنكبوت.

قال لى وهو يضحك ويمزح: "حسنا، الأم ميشيل، مازالت قطتك مفقودة".

هناك على الأقل شئ لا يتغير: جيغن متشرد، منذ بضع سنوات يقضى الشتاء هنا، فوق هذا الورق المقوى الحقيقى، فى زى فخيم قديم يعطيه الإحساس أنه مفاوض روسى من نهاية القرن، وهو يرتديه، عابراً الزمن بكل دهشة. قلت له كالعادة: "يجب أن تذهب إلى المتزل، سوف يكون الليل شديد البرودة".

برطم: "آه، آه، إلى المتزل، أريد أن أراك أنت هناك، الجو هنا أفضل".
مررت فى طريقى، ثم تملكى الندم، وعدت إليه.
أريد أن أقول لك.. ان السيد ارتين مات هذه الليلة.
سألنى جيغن، وقد بدا اللمعان فجأة فى عينيه، موجهها خرطوميه مثل كلب صيد ومؤخرة طائرة الحجل: "الناقد؟"
- نعم، نعم، الناقد، توقف قلبه فجأة.
كرر جيغن، وقد بدا عليه التأثر تماماً: "آه أخرق، آه إنسان أخرق".
سألت، كى أقول أى شئ: "هل تعرفه؟"
كرر المتشرد: "آه أخرق، إنسان أخرق، هل يجب على الأفضل أن يرحلوا أولاً!"

خاطرت أن أقول، مبعوثة بدوران الذى تأخذه الأشياء. أجاب جيغن:
- أيتها الأم ميشيل هناك شباب، لم يفعلوا مثلما فعل. آه، الأخرق
"كرر" سوف أفقد هذا الشخص التسامح.
- هل أعطاك شيئاً ما، ربما مبلغاً لعيد الميلاد؟
نظر جيغن إلىّ، وهو ينفخ، ويصق أسفل قدميه.
- لا شئ، فى عشر سنوات، ولا مليون، ماذا تعتقد آآه، لا شئ يقال.

- إن سماء المقدسة، لم تفعل شيئاً، لم تفعل شيئاً أبداً.
هذا التبادل الصغير يقلقني، وبينما أمسح ممر الممشى ملاً جيّجاً داخلي
بكل الأفكار، فأنا لم أقرض قط الفقراء ذوى النفوس الكبرى تحت ادعاء أنهم
فقراء، ولكن بسبب ظلم الحياة، لكن أعتقد أنهم على الأقل يجمعهم حقد
الملاك الكبار، لقد هداني جيّج وعلمي ذلك: "إذا كان هناك شيء فإن
الفقراء يكرهون بعضهم، إنهم فقراء آخرون". في الواقع، فهذا ليس عبثاً.
اجتزت الممشى بشكل مباشر، متجهة إلى ركن الأجبان، اشترت جبناً
حريفاً وقطعة صغيرة من اللحم.

18 ريابينين

عندما أكون خائفة، فإننى أبحث عن ملجأ. لست فى حاجة إلى السفر، وأذهب لألحق بأفلاك ذاكرتى الأدبية، تكفى أن أمارسها، لأن هذا أكثر نبلا، أليس كذلك، وأكثر تسليية فى الصحة، أى أكثر تأثير لذيد من الأدب! هانذا إذن فجأة أمام معرض الزيتون، وأنا أفكر فى ريابينين، لماذا ريابينين؟ لأن جيغن يرتدى ردنحوت متها لك به رقعة طويلة مزدانة بالأزرار منخفضة من الخلف.

مما جعلنى أفكر فى ريابينين، فى "آنا كارنينا"، ريابينين، مفاوض فى الغابة يرتدى الردنحوت، جاء إلى منزل ليفين الأرستقراطى الرفيق كما يرم عقد بيع مع ستيبان أوبلونسكى الأرستقراطى الموسكوفى، المفاوض أقسم بكل الآلهة أن أوبلونسكى كسب الرهان بينما اقمه ليفين بسلب صديقه فى الغابة يساوى ذلك ثلاث مرات، المشهد سبقه حوار سأل فيه ليفين أوبلونسكى إذا كان قد قام بعد الأشجار فى غابته.

هتف الرجل: كيف أعد هذه الأشجار أشبه بعد الرمال فى البحر! عكس ليفين حجته معلقا: "كن واثقا أكثر أن ريابينين قد عدها". أتذكر بصفة خاصة كل تفاصيل هذا المشهد، أولا لأنه دار فى بوكروفسكرى، فى الريف الروسى، آه.. فى الريف الروسى. هناك هذا السحر الخاص جدا.. ببقع متوحشة متوحدة مع الإنسان بواسطة قوة هذه الأرض التى صنعناها جميعا.. المشهد الأجل فى "آنا كارنينا" يدور فى بوكروفسكوى، ليفين حزين ومكتئب محاولا نسيان كيتى، إنه الربيع، أنه يذهب إلى الحقول يحصد مع فلاحيه، يبدو له الواجب أولا شديد القسوة والخشونة، وفيما بعد،

يصرخ عالياً، وعندما قادى الفلاح العجوز إلى خط ينظم عمله، راح الحصاد يستعيد نشاطه من جديد، سقط ليفين منهكاً، لكن في مرة ثانية فُض العجوز، مستريحاً واستعاد الخط مساره، أربعون شاباً يقومون بالحصاد، يتقدمون نحو النهر، بينما الشمس تشرق، ويزداد الجو حرارة شيئاً فشيئاً، وقد تبللت أذرع وكتفا ليفين بالعرق، لحساب التوقف ومعاودة العمل، فإن حركاته أولاً يسارية ومؤلمة تؤدي بأسلوب سهل شيئاً فشيئاً.. طراوة تبعث السعادة غطت فجأة على ظهره، مطر الصيف، تخفف حركاته وتعرقل إرادته، دخل في تحول خفيف يعطى للتميز مشهداً آلياً وداعياً، دون تفكير أو حساب، ويحرك الغلط نفسه بينما ليفين يبتهج لهذا النسيان في الحركة التي تسبب السعادة، وتحدث دهشات غريبة لمجهود الإرادة.

وهكذا نجد اللحظات الجميلة لوجودنا، متخفية من عبء القرار، تتماوج النيات فوق بحارنا الداخلية، تحضر أفعال الآخر في حركاتنا المتعددة، ونحن نعجب دائماً بالإرادة المتميزة، أى سبب آخر يمكننى أن أكتب عنه، هذه اليوميات الساخرة لعجوز تشيخ إذا لم تمسك الكتابة نفسها بفن الحصاد؟ عندما تصبح الخطوط خالقها، عندما أتواجد، أصير مثل مجهول إعجازى، تولد الجمل فوق الورق التي تقرب من إرادتى، وتفسخ رغماً عني على الورق، تعرفنى ما لا أعرفه ولا أؤمن به، أتمتع بهذه الولادة بدون ألم لهذا الوضوح غير المحدد، أتابع بدون جهد ولا يقين، بسعادة الدهشات المخلصة، ريشة تقودنى وتحملنى.

وهكذا أدخل بكل وضوح وبنسيج داخلى، فى نسيان ذاتى محاصراً للمتعة، أذوق السعادة فى الوعى الهادئ لمشاهدى.
أخيراً، صعد إلى العربة، ربابيين شكا بقلب مفتوح إلى تابعه على طريقة السادة المهذبين.

سألت بشجاعة: "وبالنسبة لمسألة الشراء يا ميكائيل اجناتيتش؟"

أجاب المفاوض: "هيه.. هيه.."

مثلما نتحاسب بسرعة، من الظاهر ومن الوضع، وذكاء الكيان..
ريابتيين الذى كان يعد رمال البحر، مضحك حاذق. ويدوى لامع، لم يعالج
الأحكام التى يحملها على شخصيته، ولد ذكياً ومنبوذاً، انجد لا يجذبه، فقط
يلقيه فى الشارع مع وعد الاستفادة، والمنظور أن يذهب كى يسلب بأدب
سادة نظام غبى يكن له الاحترار، لكنه لا يعرف كيف يفرمله، وهكذا أنا..
بوابة مسكينة، مهمة بغياب الأبهة - لكنها خاضعة لنظام يتصاعد بمهابة -
أهكم بكل رقة، كل يوم وبضمير داخلى لم يدخل فيه أحد من قبل.

فكرة عميقة رقم 8

إذا نسيت المستقبل

فأنت تخسر

الحاضر

اليوم ذهبنا إلى شانو لرؤية مامي جوس (أم أبي) التي تقيم في دار المسنين منذ أسبوعين، ذهب أبي معها عندما استقرت هناك، ذهبنا جميعاً، مامي لا يمكنها أن تعيش وحدها في مثل هذا المنزل الكبير في شاتو: فهي تقريبا عمياء، ولديها التهاب مفاصل وغير قادرة تقريباً على المشي، أو أن تمسك شيئاً بيديها، هي خائفة من الوحدة، أطفالها لـ أبي، وعمى فرانسوا، وعمتى لور، حاولوا أداء العمل مع ممرضة خاصة، لكنها لم تتمكن من البقاء أربعاً وعشرين ساعة، دون أن تعد صديقات مامي اللاتي كن أيضاً في منزل المسنين، وبدا هذا حلاً طيباً.

منزل معاش جدتي، هو شيء ما، أتساءل كم يتكلف في الشهر، غرفة جدتي واسعة ومشمسة وبها أثاث جميل، وستائر بديعة، وصالة صغيرة، وبانيو من الرخام، واندبهشت أُمى وكولومب أمام البانيو الرخامي، وكأن هذا هو الأقل أهمية بالنسبة لجدتي أن البانيو من الرخام وأن أصابعها من الخرسانة.. زيادة على أن الرخام قبيح، لم يقل أبي شيئاً مهماً، أعرف أنه يحس بالذنب لأن أمه تعيش في دار المسنين، لن تذهب دون أن نأخذها معنا؟ قالت أُمى عندما اعتقدتا الاثنان أنني لم أسمع "لكني أسمع كل شيء، خاصة ما لا يخصني"، ردد أبي "لا، سولانج، بالتأكيد له.. وذلك بصوت يعني أن يقول: "أفعل، مثلما أفكر في العكس وأنا أقول "لا، لا" بمظهر ملول ومستسلم، زوج طيب يستسلم، وهكذا حفظت الدور.. أعرف جيداً هذه النبوة عند أبي، إنها تعني

"أعرف أنني جبان ولكن لا أجد علي أن أقول ذلك لنفسى" .. كما قالت أمى وهى توازن بغضب ممسحة فى الحوض، بمجرد ما تكون غاضبة وجادة يجب أن تلقى شيئاً ما.. ذات مرة، ألقت بالقط كونستانتو، ألم تعودى ترغين فى استعادة ذلك وهى الممسحة وتحركها تحت عيني أبى الذى قال "على كل.. لقد حدث ذلك، طالما أن كلمة "جبان" تساوى طاقة عشرة".

أنا سعيدة أن جدتى لم تأت لتعيش معنا، فى مساحة أربعمئة متر مربع. لن تكون هناك مشكلة، أجد أن العواجز لديهم الحق فى أن نكون لهم بعض الاحترام، ومع ذلك، أن تكون فى منزل العجائز، بالتأكيد هو منتهى الاحترام، وعندما نذهب إلى هناك فهذا معناه "لقد انتهيت" أنا لم أعد شيئاً، كل العالم يفهمون ذلك، ومن بينهم أنا.. لا تنتظر سوى شيئاً واحداً، الموت، هذه النهاية الحزينة للملل، لا، السبب الذى من أجله أرغب أن تأتى جدتى عندنا - حتى وإن كنت لا أحب جدتى - فهى عجوز قذرة، بعد أن كانت شريرة شابة، أجد هذا أيضاً أنه غير عادل: خذ مثلاً، عندما يصبح المرء عجوزاً جداً، وأنه لم يفعل سوى الخير من حوله، أو أنه يعرف كيف يخلق الحب، ويمنحه ويأخذه، فهو ينسج العلاقات الإنسانية الحساسة، زوجته ماتت، أطفال لا يملكون أى نقود، لكن هم أيضاً يملأهم الأطفال الذين يجب أن يولدوا وتتم تربيتهم، بالإضافة إلى أنهم يسكنون فى أطراف فرنسا، يضعونهم فى دار المسنين قريباً من قرية حيث ولدوا، وحيث لا يمكن لأطفاله الحضور لرؤيته مرتين فى العام، ودار المسنين للفقراء حيث يجب أن يشاركه أحد غرفته، وحيث يزداد معدل التهام الطعام، وحيث يناضل الشخص ضد ثقته فيما يتكبد فى اليوم نفسه الذى يخرج متألماً من دار المسنين، خذ الآن جدتى كمثال، فهى لم تقم شيئاً فى حياتها سوى مجموعة كبيرة من حفلات الاستقبالات، والابتسامات، والمكائد، والمصاريف الخفية، والخبيثة.. وأعتبر أن لديها الحق فى غرفة غنج،

صالَة خاصة، وأصداف سان - جاك للغداء عند الظهر، هل هذا هو الثمن الذى ندفعه فى الحب، نهاية الحياة، دون أمل فى اختلاط قذر؟ هل هذه هى مكافأة فقدان الشهية الفعالة، بانيو من الرخام فى بناية مهشمة!

إذن، أنا لا أحب جدتى التى لم تحبى كثيراً، على العكس فهى تعشق كولومب أكثر مما أفعل، فهى تترقب الميراث، أما أنا فلم أترقب أبداً هذه المسألة، أعتقد أن هذا اليوم فى شاتو سيكون مليئاً بالإمكان، وكولومب وأمى تستمتعان بالبانيو، وأبى الذى يبدو عليه أنه التهم مظلته، وعواجز يتجففون ويغنون فى الممرات مع كل حقن متواصل، مجنونة "مصابة بالزهايمر" قالت كولومب دون أن تضحك!، التى تسمينى "كلارا جميلة".. صرخت ثانيتين بعد أن قادت كلبها لتوها وهى تمد لى خاتمها الماسى الضخم، كمحاولة للهروب! كما أن موظفى البيت أيضاً لديهم سلسلة إلكترونية يضعونها حول المعصم، عندما يحاولون إخراج الحامل من دارها، يتجهون نحو الاستقبال المنهزم "الجبان"، ومن يحتج بقوة ليس أمامه سوى الذهاب إلى معسكر الاعتقال "الجولاج"، يطلب أن يتكلم إلى المدير بحركات غريبة حتى يلصقونه بمقعد متحرك.. السيدة التى وخزت خصمها العابر تغيرت بعد الغداء، أضفت صفة الهروب على هيئتها، فستان فقط مع دوائر تملأ الثوب كله، عملى جدا كى يتسلى الأسوار. باختصار فى الساعة الثانية بعد البانيو، وقواقع سان جاك، والهروب الاستعراضى لأدمون دانت، كنت مؤهلة لمواجهة اليأس.

لكن فجأة تذكرت أننى قررت أن أبنى، وليس أن أهدم، نظرت حولى وأنا أبحث عن شئ إيجابى، وأنا أتجنب النظر إلى كولومب، لم أجد شيئاً، كل هؤلاء الناس الذين ينتظرون الموت لا يعرفون كيف يتصرفون، ثم تحدث معجزة، لقد أعطتنى كولومب الحل. نعم، كولومب، عندما رحلت، بعد أن عانقنا جدتى ووعدناها أن نعود قريباً، قالت لى أختى: "حسناً، جدتى تبدو

مرتاحة في مقرها، أما الباقي.. سوف نتعجل النسيان بسرعة شديدة، لنناقش موضوع التعجل بسرعة شديدة، إنه سيكون حقيراً ونركز على فكرة "النسيان بسرعة شديدة".

على العكس، يجب ألا ننسى الموضوع، لا يجب أن ننسى كبار السن ذوى الأجساد المتهالكة، هؤلاء العواجز المشرفون على الموت، والشباب الذين لا يريدون التفكير في هذا حينئذ، يرسلون بالولدين العجائز إلى دار المسنين، بعناية وأن نصحب آباءهم دون فضيحة ولا ارتباك، وجو السعادة في الساعات الأخيرة التي يجب أن نستغلها في الأعماق وإن في الملل والمرارة والتكرار، يجب ألا ننسى أن الجسد ينهك وأن الأصدقاء يموتون، وأن كل شئ سوف يُنسى وأن النهاية تصبح وحيدة، ولا ينسى أيضاً أن هؤلاء العواجز كانوا شباباً، وأهم كانوا في سن العشرين يوماً ما وأصبحوا في الثمانين في اليوم التالي.

كولومب تؤمن أنها يمكن أن "تتعجل النسيان" لأن هذا بعيد بالنسبة لها، منظور الشيخوخة عندها لن يصل أبداً إليها.. أما أنا، فأدركت أن الحياة تمر في اللا زمن، ونظرت إلى البالغين حولي، وهم في عجل تحت ضغوط حلول الأجل متلهفين اليوم الحاضر، لا يفكرون في الغد.. نحن نخشى الغد، لأننا لا نعرف كيف نبني الحاضر، وعندما نعرف كيف نبني الحاضر، فإننا سوف نحكى ما يمكن أن نفعله غداً، هذا فاشل لأن غداً ينتهى دائماً بأن يصبح اليوم، هل تصدقون هذا؟

إذن، لا يجب أبداً أن ننسى هذا، يجب أن نعيش هذه الحقيقة وأننا سنشيخ، ولن يكون هذا جميلاً، ليس جيداً ولا مبهجاً، وأن نقول أن الآن هو الذى يهم بناء الآن، أى شئ، بكل ثمن، بكل قوة، دائماً واعين في ذهننا أن

دار المسنين يتم تجاوزها، وهي كيان خالد ان نحفر خطوة خطوة في الجبل
العالي، وأن نجعله نوعاً من كل خطوة يصنع قليلاً من الخلود.
المستقبل، يفيدني في بناء الحاضر مع مشاريع حقيقية للإحياء.

من قواعد اللغة

(1)

منتهى الصغر

في هذا الصباح، قدم لى جاسينت روزن المالك الجديد لشقة آل آرتين نفسه، إنه يدعى كاكورو أو شئ من هذا القبيل، لم أسمع جيداً لأن السيدة روزن كانت تتكلم دائماً، وكأنها تضع حشرة في فمها، انفتح باب المصعد في هذه اللحظة الثمينة كي تترك الممر إلى السيد بالير الأب، وقد كسى جسمه كله بالملايس أحياناً بشكل عابر، وابتعد عني بخطوته المرتجة والمهتزة بتعجل صناعي.

الساكن الجديد هو سيد في الستينيات من العمر، بالغ الحضور، وشديد اليابانية، كان قصيراً نحيفاً، الوجه مجعد لكنه مضبوط، تنم هويته عن شخص طيب، لكنني أحس أيضاً أنه صاحب قراره، مبهج، وذو ارادة قوية. بالنسبة للوقت، فهو صبور دون أن يحرك حاجبه استياءً إزاء الشرثرة المستيرية لجاسينت روزن، وكأنه دجاجة أمام جبل من الحبوب. ردد كلماته الأولى، والوحيدة بفرنسية مرتجلة: "صباح الخير يا سيدتي".

حمل على ظهره ملابس البوابة القديم. الأمر يتعلق بمسكن جديد، بحيث أن قوة العادة لا تجبر ولا ترغم، مع بقية حماقتي، التي يجب أن أبذل بها مجهودات خارقة خاصة. أهدق إذن في "نعم، نعم، نعم" واهية في إجابة جاسينت روزن العنيدة المجنونة.

"سترين إلى السيد شيئ ما "شيا" موضع الخدمة - هل يمكنك أن تشرحي للسيد شيئاً ما "شيا" عن توزيع البريد؟ - سوف يأتي عمال الديكور يوم الجمعة، هل يمكنك أن ترصد شيئ "شيا" ما للسيد بين العاشرة، والعاشرة والنصف" .. الخ.

لم يبد السيد شيئاً ما أى قلق، وانتظر بأدب جم وهو ينظر لى بابتسامة رقيقة. اعتبرت أن كل شئ مر بسلام، ليس هناك سوى انتظار أن تكمل السيدة روزن وأستطيع أن أعود إلى عرينى. ثم هكذا. سألتنى الدجاجة:

- لم يتم تنظيف المسحة الذى أمام باب آل ارتين. هل يمكنك أن تخفى هذا؟

لماذا يجب أن تتحول الملهاة دوماً إلى مأساة؟ بالتأكيد. يحدث لى أن أستخدم الخطأ رغم أن هذا أشبه بسلاح. سألت شابرو كنوع من التعبير عن أساليبي الغريبة: "هل هو نوع من السداد؟" لست حساساً للغاية بحيث أن الابتعاد لمسافة قصيرة تفقدنى عقلى، يجب أن أحب الآخرين ما يسيطرون به على أنفسهم، من ناحية أخرى، فإن جاسينت روزن وحشرتها فى فمها قد ولت إلى بوندى فى دريزاين العمارات فى أقفاص السلم غير النظيفة، ولدى بالنسبة لها تسامحات. ليس لدى بالنسبة للسيدة يمكنكم - فاصل لغوى - استقبالتها.

ومع ذلك، فهذه هى المأساة: ارتجفت بشكل خفى فى اللحظة نفسها، حيث ارتجف السيد "شئ ما" أيضاً، بينما التقت نظراتنا، ومنذ هذه الحصة المتناهية الصغر من الوقت، حيث، لم أكن متأكدة، فنحن أخوان فى اللغة فى المعاناة المتصلة التى تمسنا، وتجعل أجسادنا ترتعد، وتظهر للنور اضطراباتنا، نظر السيد "شئ ما" إلى بعين مختلفة. عين بالمرصاد، وهكذا تكلم إلي:

- هل تعرفين آل ارتين؟ قيل لى انها أسرة غريبة جداً.
أجبت على حراستى:
- لا، أنا لا أعرفهم بشكل خاص، إنها أسرة مثل بقية الأسر هنا.
قالت السيدة روزن التى بدت قلقة بشكل واضح:
- نعم، أسرة سعيدة.
تمتت كى أتخلص من المهمة:
- أنت تعرفين أن كل الأسر السعيدة متشابهة، لا شئ يقال.
قال وهو ينظر لى بشكل غريب، وفجأة، رغم أن النظرة جديدة،
سعلت:
- لكن لكل أسرة تعيسة طريققتها.
أجل، أقسم، لقد سعلت - لكن بشكل غير ظاهر، لقد أفلت منى
الأمر، إنه أمر أقوى منى، لقد فقدت السيطرة على نفسى.
البؤس لا يأتى وحده أبداً. اختار ليو هذه اللحظة بالذات كى يدخل
بين سيقاننا، وهو يمرق بمودة فى ممر السيد "شئ ما" قال لى:
- عندى قطان، هل أستطيع أن أعرف ما اسم قطك.
أجابت جاسينث روزن نيابة عنى "ليو" وهى تترج ذراعها تحته..
وتشركنى دون أن تنظر لى، وكأنه تدله نحو المصعد، بكل الرقة المتناهية، وضع
يده فوق مقدمة ذراعاه، وحركها فى رقة، قال لى.
- شكراً يا سيدتى
وترك نفسه تحمله دواجنه.

(2) فى لحظة امتنان

هل تعرف ماذا يعنى "الإخفاء"؟ جعله علماء النفس ثمرة المناورات الداخلية الماكرة. لوعى خفى. يا لها من نظرية صحيحة. فى الحقيقة فإن الإخفاء هو العلامة الأكثر لمعاناً لقوة إرادتنا الواعية: "عندما تتعارض مشاعرنا، فإننا نستخدم كل الخدع للوصول إلى النهايات".

قلت إلى ليو التى استعادت إحياءها:

-يجب أن نؤمن أنى أريد أن أنزع قناعى. أقسم، ان أأمر مع العالم كى أبلغ رغبتى.

"كل الأسر السعيدة متشابهة، لكن كل الأسر التعيسة طريقته" هى الجملة الأولى فى رواية آنا كارتينا، والتى لا أعرف هل قرأتها، وأنا البوابة المثالية، وهى أيضاً لا تتفق معى.. أنتفض بالمصادفة، عند الجزء الثانى من هذه الجملة، فى لحظة امتنان، دون أن تعرف أنها جاءت من تولستوى، لأنه إذا كان الصغار حساسين دون أن يعرفوا الأدب العظيم، لا يمكن أن تزعم فى ارتفاع الرؤية، حيث يمكن للمثقفين أن يضعوها.

قضيت يوماً أحاول إقناع نفسى أنى مهووسة بدون سبب، وأن السيد "شئ ما" الذى يكتفى بحمل حافظة معبأة بشكل كاف كى يشتري الدور الرابع عنده موضوعات أخرى، وانشغالات أكثر من انتفاضات باكرينيسية من بوابة متخلفة.

ثم، فى نحو الساعة السابعة، طرق شاب بابى، قال لى بكل وضوح
ظاهر:

- صباح الخير يا سيدتي، اسمي بول نيجوين، أنا السكرتير الخاص للسيد أوزو.. (ومد لي بطاقته).. هذه غمرة هاتفى المحمول، هناك فنيون جاءوا يعملون في شقة السيد أوزو، ونحن لا نريد أن يشكل هذا عبئاً من العمل الإضافي، أيضاً، عند أقل مشكلة، استدعنى وسوف آت بأسرع ما يمكن.

سوف تعلق على هذه المنطقة من العقدة حيث الكوميديا الإسبانية مجردة من الحوارات كي نعرف أن الخطوط الصغيرة تتابع لفعل ما يشاء ما استقل رأيه في الكلام. كان يجب أن يكون لديها شئ مثل: "أنا مبتهجة يا سيد". ثم: "حسناً، لن أخفق في هذا"، لكن لا يوجد أى إعلان جهراً.

هو ليس في حاجة إلى الإرغام أي صامتة، لدي الوعي أن فمي يمكن أن يكون مفتوحاً، لكن لا يخرج منى أى صوت، وأنا مشفقة على هذا الشاب الوسيم، مرغم أن يتأمل ضفدعة ترن سبعين كيلو تسمى رينيه.

عند هذا الحد من اللقاء، فالعادة إن الشخص الرئيسى المحرك سأل:

- هل تتكلم الفرنسية؟

ابتسم بول نيجوين لي وانتظر. في مقابل مجهول "هرقلي" أستطيع أن أقول شيئاً: في الحقيقة، فإن هذا أولاً نوع من: الجرنوبل. لكنه ينتظر دائماً بنفس التفاني الرائع: قلت بصعوبة شديدة، وبصوت يعكس شكله الأشبه بيول برايتنر:

- السيد أوزو؟

قال لي: نعم، السيدة أوزو، هل تجهلين اسمه؟

قلت بصعوبة: نعم، لم أفهمه جيداً، كيف يكتب هذا؟

قال لي: أوزو، وتنطق الواو.. مثل "و".

قلت: آه.. حسناً، إنه ياباني.

قال لي: فعلاً، يا سيدتي، السيد أوزو ياباني.

أخذ أجازته بلطف، أطلقت عليه تحية المساء من أعماقي، وأعدت
إغلاق بابي، وأنا أهبط فوق مقعد ليو المتكسر.
السيد أوزو، تساءلت إذا كنت في حلم مجنون، مشير، ميكيا فيلي
للأحداث، أمطاره متقطعة، وختامه في قميص نوم مع قط سمين فوق القدم،
ومنبه منضبط على محطة إذاعة فرانس الثقافية.
لكن نحن نعرف - في الأعماق - أن الحلم واليقظة ليسا من نفس
البذرة، ومن خلال كشف إصغاء الإدراك الحسي، أعرف بكل تأكيد أنني
متيقظة.
السيد أوزو! هل هو ابن المخرج الياباني السينمائي أم ابن أخيه، أم
قريبه من بعيد، حسنًا.

فكرة عميقة رقم 9

إذا كنت سيدة عدوة
معكرونة في بيت آل الادروية
لا تعتقدى
انك يمكن أن تردمى
ما وراءه

الرجل الذى عاد لشراء مسكن آل آرتين هو يابانى، يسمى كاكورو أوزو!، هذا شريانى. كان يجب أن يموت هذا قبل أن أموت! إثنى عشر عاماً ونصف في حاجة إلى الثقافة، وأن يبقى يابانياً، يجب أن يعد حقايبه.. حقاً إن هذا غير عادل.

ولكن أنا أرى - على الأقل - الجانب الإيجابى للأشياء: إنه هنا، حسناً هنا، ثم نحن أجرينا أمس حديثاً بالغ الأهمية. فى البداية، يجب أن أقول أن كل الذين يقيمون هنا مجانيين تماماً من السيد أوزو، أمى لا تتكلم إلا عن ذلك، وأبى يستمع إليها، كالعادة، إنه يفكر فى شئ آخر عندما يبلبل فى الأعمال الصغيرة للعمارة.

مستحدثنا للتاريخ 70 شارع الجرنل، جاءت السيدة بروجلى لتناول الشاى فى المتزل، نحن نسكن فى الدور الخامس، فوق الشقة السابقة لأسرة آرتين وأيامها الأخيرة، كانوا جميعاً يعملون ولكنها أعمال ضخمة: من الواضح أن السيد أوزو قرر أن يغير كل العالم، انتابته الرغبة لرؤية التغيرات، فى عالم يقوم على الآراء البالية مثل انزلاق الحصوة فوق مهبط الشاطئ الصخرى يفتقد إثارة نوبات قلبية متتابة، وعندما يفجر أحدهم الجبل،

باختصار فإن السيدة بروجلى كانت ترغب بشدة أن تلقى نظرة على الدور الرابع، نجحت فى أن تدعوها أمى عندما قابلتها الأسبوع الماضى فى البهو. وهل تعرف الحجة؟ إنها غريبة، السيدة بروجلى هى زوجة السيد بروجلى، مستشار الدولة الذى يسكن فى الدور الأول، انضم إلى مستشارية الدولة فى عهد "جيسكار ديستان" وهو شخص محافظ لا يطلق أى تحية على مطلقى السراح، تسميه كولومب: الفاشى العجوز، لأنها لم تقرأ أبداً ما يتعلق بالقوانين الفرنسية، يعاملها أبى كنموذج مثالى من الأفكار السياسية، زوجته تؤكد: هو حائك، سواء من اللؤلؤ، شفاه مزومة.

وعدد كبير من الأطفال الصغار، هناك طفلان صغيران وشخصان رسميان، جريجوار أو ماريما، حتى هذه، فإنها تحب أمى بالكاد. وهى اشتراكية، حيث الشعر مصبوغ، والحذاء مدبب من الأمام، لكن فى الأسبوع الأخير باغتتنا وكأن حياتها متعلقة بذلك. كنا فى البهو، عاندين من التبضع وكانت أمى تبدو فى أحسن حالاتها، لأنها عثرت على مفروش من الكتان الملون الخيط بمبلغ مائتى وأربعين يورو. هنا، اعتقدت أنى أصابتنى ملوثات سمعية، وبعد تحية "صباح الخير يا سيدى" كالعادة، قالت مدام بروجلى لأمى: "لدي شئ ما أريد أن أسألك فيه"، وكأن هناك شيئاً أصابها بألم فى فمها، قالت أمى وهى تبسم "لكن أرجوك. هذه حفيدتى، زوجة إتيان لم تكن فى أفضل حال وأعتقد أنه يجب أن تتناول ترياقاً "حقاً؟" قالت أمى وهى تبسم أكثر "آه. أوه، أنت ترين، نوع من المحلل النفسى" بدت السيدة بروجلى كأنها حلزون فى وسط الصحراء ولكنها تماسكت رغم ذلك، قالت أمى "نعم، أرى جيداً، فيما يمكننى أن أكون مفيدة، يا عزيزتى؟" حسناً. قلت "إنك تعرفين هذا النوع من.. أخيراً.. هذا النوع من التقارب. اذن أحب التحاور معك..؟". لم تعد أمى إلى ثروتها الطيبة: مفروش من الكتان الخيطى، منظور لقطع كل علمها على

التحليل النفسى، والسيدة بروجلى تجعلها ترقص من سبع أحجية - آه، نعم، حقاً، يوم جميل! رغم ذلك فهى لا تستطيع أن تقاوم، لأنها تعرف جيداً أن الأخرى تريد أن تأتى، أمى لديها جانب ريفى فى إطار فكرى، لم تفعلها رغم ذلك، كانت تعرف جيداً أنه فى اليوم الذى سوف يهتم فيه آل بروجلى بالتحليل النفسى، سيغنى الديجوليون الأغنية الدولية. صار فجأة اسمى "نقطة الدور الخامس موجودة فوق الرابع"، كمانشيت للسيدة بروجلى حسن النوايا، واتساع روح الاشتراكيين سبق أن حدثت إزعاجات صغيرة.

لكن الإرادات الطيبة، يا عزيزتى، هل تودين أن أمر عليك. ذات مساء كى نتناقش؟ سألت.. بدت الأخرى باضطراب وحيرة وحدة تحتسب لهذا الحدث المفاجئ، تماسكت بسرعة كسيدة مجتمع، وقالت "لا، لا، لا أريد لك عناء التزول، سوف أصعد إليك"، كان لأمى رضاؤها الصغير، لم تصبر قالت: حسناً، أنا هناك بعد الظهيرة. لماذا لا تأتين لتناول فنجان قهوة فى الخامسة مساء؟

كان حفل الشاى رائعاً، تصرفت أمى كما كان يجب: خدمة الشاى الذهبى المقدم من أمى والفراشات الخضراء والوردية، وقرص الحلوى باللوز والسكر من محل لاديويه، ورغم ذلك السكر المستدير "علامة الشمال" فإن السيدة بروجلى قضت ربع ساعة رائعة فوق البسطة السفلى، بدت وكأنها مرتبكة قليلاً لكنها تبدو راضية بدت عليها الدهشة. أيضاً أعتقد أنها تخيلت عندنا بوجهة أخرى، لقد عزفت لها أمى كل التوليفات الموسيقية بطرق رائعة، وأحاديث عالمية متضمنة تعليقاً رائعاً عن بيوت القهوة الجيدة، قبل أن تميل رأسها جانباً بطريقة عاطفية وتقول: "إذن، سيدتى العزيزة لقد فعلت ما بوسعك لحفيدتك؟" "هم. آه، نعم" قالت الأخرى التى نسيت تقريباً حجتها وتسعى الآن كى تجد شيئاً لتقوله، حسناً إنها مكتوبة، وهذا هو الشئ الوحيد

الذى فتح عليها بها، لقد مرت أُمى بسرعة خارقة، وبعد كل هذا الكرم، حان الوقت لتقديم الفاتورة، كان للسيدة بروجلى الحق فى درس داخلى حول الفرويدية، متضمناً بعض الطرائف الفاضحة حول العادات الجنسية للمسيح وحواريه "مع مقطع حول ميلانى كلاين" وزخرفة بعض المراجع حول نية التعليم الفرنسى الشمولية، تصرفت السيدة بروجلى كمسيحية ملتزمة، وأطالت المواجهة بنوع من صلابة مدهشة، وهى مقتنعة بقضاء عقوبة الفضولية بنفقة قليلة.

لأسباب مختلفة، وعلى المائدة، فى المساء، قالت أُمى: "السيدة بروجلى هى متعصبة، ليكن، لكنها تستطيع أن تكون فاتنة".

باختصار، أدهش السيد أوزو العالم، قال أوليمب سان نيس لكولومب (التي تكن لها كرها وتسميها القديسة - الخبيثة للخنازير" .. أن هناك قطين تشتاقر رغبة فى مشاهدتهما. لم تكف جاسينت روزن فى كتابة تعليقات عن الوصول إلى الدور الرابع، لقد وضعها هذا التحول فى كل مرة، إنه يسحرنى أيضاً ولكن ليس للأسباب نفسها، وهذا هو ما حدث.

ركبت المصعد مع السيد أوزو الذى ظل معلقاً بين الدورين الثانى والثالث لمدة عشر دقائق لأن كناساً أغلق باب المصعد الحديد قبل أن يمتنع عن ركوبه ونزوله على السلم. فى هذه الحالة يجب أن تنتظر أن يأخذ شخصاً ما ذلك فى حسبانته، أو أن هذا سوف يستغرق وقتاً طويلاً، ويجب إثارة الجيران بالصياح، ولكن أن نحاول مع ذلك أن نبقى محترمين، ليس هذا سهلاً، فلم يصبح أحد منا، ولدينا الوقت لنقدم أنفسنا ولنتعارف، ستكون كل السيدات ملعونات كى تكن فى مكانى، أنا سعيدة لأن جانى اليابانى.. سعيدة أن أتكلم طبعياً مع سيد يابانى حقيقى، لكن بشكل خاص ما يعجبنى أفضل هو مضمون الحديث. قال لى فى البداية: أمك أخبرتنى أنك تدرسين اليابانية فى المدرسة، ما

هو مستواك؟" .. أعطيت إشارة في الممر أن أمي هي أيضاً تشير اهتمامها ثم أجابت باليابانية: "نعم يا سيد، أنا أعرف قليلاً من اليابانية لكن ليس جيد جداً"، قال لي باليابانية "هل تريد أن أصلح لك اللهجة؟" وترجعت كل ذلك في الحال إلى الفرنسية، الآن، لقد قدرت. الكثير من الناس يقولون: "أوه، أنت تتكلمين بطلاقة، حسناً، رائع!" إذن كان يجب أن أعرف النطق كالبقرة، براح أجبت باليابانية: "أرجوك يا سيدي صحح نطقي"، وقال لي دائماً باليابانية "ناديني كاكورو" أجبت باليابانية "أجل كاكورو - سان" .. رحنا نضحك ونمزح، وأصبح الحديث بالفرنسية ممتعاً ومثيراً للعاطفة، قال لي لنوه: "أنا أهتم كثيراً ببوابتنا. السيدة ميشيل. أريد رأيك"، كنت أعرف الكثير الذين يحاولون أن يجروا أنفي، لا شيء، لكن كان هناك فرانكو، أضاف:

"أعتقد أنها ليست كما يعتقدونها".

كانت اللحظة التي انتابني الشكوك في أفكارها، من بعيد، هي بوابة جيدة، ومن قريب.. حسناً، من قريب.. هناك شيء ما غريب، كولومب تكرهها وتفكر أنها نفاية بشرية، بالنسبة لكولومب، فهي على كل سقط متاع الإنسانية رغم أن هذا لا يتفق مع ضخامة ثقافتها، وضخامة ثقافة كولومب، هو القوة الاجتماعية أكثر من صانعة القمصان آيس.

السيدة ميشيل.. كيف تقول؟ انها تتنفس الذكاء. ومع ذلك فهي تكابر، هه، إنها تفعل ما بوسعها كي تلعب دور البوابة، وكى تبدو ضعيفة، لكن أنا، لقد لاحظتها، حين كانت تتكلم مع جان آرتين، عندما تتكلم مع نيتون في ظهر ديان، عندما كانت تنظر إلى نساء البناية، اللاتي يمررن أمامها دون تحيتها، السيدة ميشيل، لديها أناقة قنفذ، من الخارج، فهي تبدو مليئة بالأشواك وكأنها قلعة حقيقية، ولكن لدي اليقين في الداخل، أكثر دهشة من

القنفاذ، وهى حيوانات صغيرة كسولة بشكل كاذب، وحيدة بشكل عنيف وأنيقة بشكل متوحش..

حسناً. هذا يعنى أننى أعترف بذلك، أنا لست نافذة العقل. إذا لم يحدث شئ ما. كنت سأرى نفس الشئ الذى يراه العالم كله. بوابة هى فى أغلب الوقت سيئة المزاج، لكن حدث شئ ما لم يحدث منذ وقت طويل وغريب أن سؤال السيد أوزو قد طرح فى موعده. منذ أسبوعين، أنطوان بالير قلب سلة السيدة ميشيل بينما كانت تفتح بابها، أنطوان بالير هو ابن السيد بالير رجل الصناعة فى الدور السادس.

نوع من الذين يطرحون عظات أخلاقية من الباب بطريقة حكم فرنسا، ويبيع السلاح للمجرمين الدوليين، الابن أقل خطورة لأنه غبى بشكل حقيقى ولكنه لا يعرف أبداً: الأذى، هو رأس مال الأسرة، باختصار، أنطوان بالير قلب سلة السيدة ميشيل، البنجر، مرتجعات الصحف، وصابون مارسيليا، مروراً بالأشياء التى كانت على الأرض، لاحظت كتاباً، أقول لاحظت لأن السيدة ميشيل أسرعت بجمع كل شئ سقط على الأرض، وهى تنظر إلى أنطوان بغضب "لم يأخذ فى اعتباره ظاهراً أن يحرك إصبعه الصغير، ولكن أيضاً بنقطة قلق. هو لم ير شيئاً: ولكن أنا لم أكن فى حاجة للمزيد من الوقت كى أعرف ماذا كان الكتاب. أو نوع الكتاب فى سلة السيدة ميشيل، لأنه كان مليئاً بنفس النوع فى مكتب كولومب منذ أن تعلمت الفلسفة. إنه كتاب للناشر فرين، الناشر المتخصص فى الفلسفة العالمية، ماذا تفعل بوابة بمثل هذا الكتاب من الناشر فرين فى سلتها؟ هو حقاً السؤال الذى لم أطرحه.. بل على العكس إنه لأنطونيو بالير.

قلت إلى السيد أوزو: أعتقد هذا أيضاً.. والجيران، نحن مررنا بسرعة بعلاقة أكثر حميمة، مثل علاقات المتآمرين، لقد غيرنا مشاعرنا حول السيدة

ميشيل.. السيد أوزو أجدين أنه يراهن أنها أميرة خفية وباحثة وتفرقنا وتواعدنا لتتفرغ للبحث.

هذه هي فكرتي العميقة لليوم، أنها المرة الأولى التي أقابل شخصاً يبحث عن الناس ويرى ما وراءها، يبدو هذا مبتذل ولكن أعتقد - رغم ذلك - أنها عميقة، لم تر إبداعاً وراء يقيننا، والأكثر خطورة أيضاً، لقد تخلينا عن اللقاء، ولم نفعل شيئاً سوى أن نلتقى بأنفسنا دون أن نتعارف في هذه المرايا الدائمة، إذا وضعنا في الحساب، إذا أخذنا في وعينا، أننا لا ننظر أبداً لأنفسنا في الآخر، وأنا وجدنا في الصحراء، سوف نصبح مهاويس، عندما قدمت أُمى أقراص الحلوى باللوز والسكر من عند آل لاديريه إلى السيدة بروجلي، فإنها روت لنفسها قصة حياتها ولم تفعل سوى أن عضت منقذها الخاص، وعندما شرب أبي قهوته وقرأ صحيفته. تأمل في مرآة مقعرة على طريقة كوى. عندما تكلمت كولومب عن مؤتمرات ماريان، فإنها طعنت في رد فعلها، وعندما يمر الناس أمام البوابة، لا يرون سوى الفراغ لأنه ليس هم.

أنا، أتوسل القدر الذى حالفنى الحظ لأن أرى أبعد من نفسى، وأن التقى بشخص ما.

(3) تحت القشرة

ثم مرت بضعة أيام، ومثل كل ثلاثاء، جاءت مانويلا إلى مسكني، كان لدى الوقت، قبل أن تغلق بابها، سمعت جاسينت روزن التي تتحدث مع الشابة السيدة موريس أمام مصعد يعرف السكان الأوليين.

قال ابني أن الصينيين شرسون! بدت كأنها أرغمت السيدة روزون أن لا تقول "الصينيون"، لكن "الصونيون". (1) حلمت دوماً "زيارة الصيون" فذلك أكثر أهمية من الذهاب إلى الصين، أعلنت لي مانويلا صاحبة الخدين الورديين والعين اللامعة:

- لقد صرفت البارون، والباقي معه.

تظاهرت بمظهر البراءة، تساءلت:

- نعم؟

صاحت مانويلا وهي تنظر لي بجحود:

- لكن السيد أوزو!

يجب أن أقول إن العمارة منذ أسبوعين لم تشهد سوى انتقال السيد أوزو إلى شقة المرحوم بيير آرتين، في هذا المكان المتجمد، وهي الخبوسة في مرآة السلطة، والفراغ، ووصول ساكن جديد، والوقائع غير الملموسة، التي حدثت تحت أوامر وتعليمات الختريين في عدد بالغ الحساسية جعلت نبتون نفسه يتخلى عن فتورهم جميعاً - هذا الوصول، أثار ريحا من الشجن والرعب المختلطين. لأن الجاذبية معترف بها للاحتفاظ بالتقاليد والرفض المنطقي والنتائج لكل ما هو قريب أو بعيد، تشير الرغبة من جديد، مثل المباهاة في أعمال الديكور، وشراء مكبرات الصوت أو تعسف أطعمة صاحب المطعم والجدل

حول عطش أكثر عمقاً، مثبت في خيوط لكل أرواحها التي أعماها الملل: هذا هو الجديد. وأيضاً 7 شارع جرنيل سوف يهتز طوال أسبوعين بإيقاع ذهاب عمال الدهان وإياهم، والنجارين، والسباكين، وصناع المطايخ، وموزعي الأثاث، والسجاد، والأجهزة الإلكترونية، انتهاءً بناقلي الأثاث الذين استأجرهم السيد أوزو كي يتغير الدور الرابع تماماً مما بعث الرغبة في زيارتهم، آل جوس، وأسرة بالير لم يعودوا يستخدمون المصعد واكتشفوا قوة جديدة، يتسكعون في الدور الرابع التي يجب أن نتظر خروجهم من شقتهم، وبالتالي، العودة إليها، صاروا ذا موضوع.

كانت برناديت بروجلي، قد أثارت الفضول بتناول الشاي عند سولانج جوس بينما تصرفت جاسينت روزن كانت تتصرف عن رضى كى تعطى إلى سابين بالير طرداً وضع في مسكنى، وكانت سعيدة أنها فلتت من عمل مرهق، سلمت لها مرغمة بالرياء الخبيث.

لأننى وحدى من بين الجميع، كنت أتجنب بكل اعتناء السيد أوزو، كنا نتقابل في المدخل، لكنه كانت دائماً معه صحبة، وكان يقوم بتحقيق بأدب، كنت أرد عليه بمثلها، لا شئ عنده يضر بمشاعر أخرى، كالملاطفة، وعطف غير مكترث، لكن الأطفال تصرفوا خارج اللياقة، المادة الحقيقية التي يتكون منها البشر، كان رادارى الداخلى يصيبه الجنون فجأة، ويخبرنى أن السيد أوزو كان يحترمنى ويقدرنى بانتباه الحليم.

أثناء ذلك، كان سكرتيره يوفر له كافة الواجبات التي تتطلب الاتصال بى. أراهن أن بول نجوين لم يكن يتأخر في انتظار وصول السيد أوزو وممارسته لكل ما هو أصيل، كان أجمل الشباب في آسيا، كان أبوه فيتنامى الأصل، حيث اكتسبت الامتياز والصفاء الغامض، ومن أوروبا ومن أمه "روسية بيضاء" أخذ القامة الطويلة، وخديه السلافيين، وأيضاً العينين الواضحتين

المجملتين بخفة، وفيه تتراوح الرجولة والرقّة، وتتضح تركيبة جمال الذكر ورقة الشرق.

عرفت أصله، بعد ظهيرة ثقيله في منتجع حيث رأيته مشغولاً للغاية وهو يدق على بابي كي يخبرني بالوصول المبكر غداً لجماعة من موزعي البضائع، اقترحت عليه فنجان شاي فوافق بكل سهولة، وجلسنا نتحدث في استرخاء لذيذ، يبدو شاباً وسيماً، وكفئاً، كان قد أخذ من كافة الأرباب، كأننا يمكن أن نحكم عليه، ونحن نراه ينظر الأعمال، دون أن يبدو عليه أى إهمالك أو تعب. يرجع ذلك إلى ما يتسم به من هدوء، سوف يصير مجرداً من التعاطف.. عندما غادر مسكني، شكرني بحرارة، تأكد لي أنني نسيت نفسي معه، حتى فكرة الإخفاء التي كنت عليها.

الآن أعود إلى أخبار اليوم.

لقد رفت البارون، والباقي معه.

لم تخف مانويلا نشوقها وافتتاحها، تركت أنا آرتين باريس، وقد أقسمت إلى فيوليت جريه أن توصيها بالمالك الجديد، السيد أوزو، واحترام رغبات الأرملة الذي اشترى بضاعة ونزع قلبه، لقد وافق على استقبال الناس، وأن يتحاور معهم، استطاعت أسرة جريه مسنودة من آنا آرتين، أن تجد مكاناً مختاراً في منزل طيب، لكن فيوليت داعبت جنون الأمل بالبقاء هناك، وحسب كلماها الخاصة، فإنها قضت أجمل سنوات حياتها. قالت إلى مانويلا:

- السفر مثل الموت، أخيراً، لا أتكلم إليك يا ابنتي، يجب أن أحل لك كل المشاكل.

قالت مانويلا التي تبنت نصيحتي، وهي تتصرف كأنها سكارليت منذ أن شاهدت فيلم "ذهب مع الريح":

- تحل مشاكل تاتانا.. لقد رحلت أما أنا فبقيت!

- هل يستأجرك السيد أوزو؟
- لن تخمى أبدا. إنه يستأجرني ساعتين، ويدفع مثلما يدفع أمير.
- ساعتان! كيف ستتصرفين؟
أجابت وهي في منتهى السعادة سأترك السيدة بالير، ألا أعتني بالسيدة بالير ولكن لأنه يجب أن أسرف الأشياء الجيدة، كررت:
- نعم سأترك السيدة بالير
- رددتها مرة أخرى.
احتفظنا بلحظة صمت، هذا التنامي من الشعور الجميل، قلت، وأنا
أحطم ثنائينا:
- سوف أعد لك الشاي، شاياً أبيض، للاحتفال بهذا الحدث.
قالت مانويلا: "آه، لقد نسيت، سوف أحضره لك"، وأخرجت كيس
نقود من سلتها مصنوعاً من ورق الحرير الكريمي.
رحت أربط شريط القטיפه الأزرق، في الداخل، فاكهة مؤلفة من تين
وعنب ولوز من الشيكولاتة السوداء، تبرز مثل الماس الداكن، قالت مانويلا،
وهي تخرج الفناجين، ثم تجففها مجدداً:
إنه يدفع لي اثنين وعشرين يورو في الساعة، لا، دون أن يرجو بأدب
ليو أن يذهب لاكتشاف العالم. اثنان وعشرون يورو! هل تصدقين؟. الآخرون
يدفعون ثمانية، عشرة، أحد عشر! إنه أكرم من السيدة بالير، إنها تدفع لي
ثمانية يورو وتترك سراويلها القذرة أسفل السرير.
قلت لها مبتسمة:
- لعله يترك سراويله القديمة تحت السرير.
قالت مانويلا التي فكرت فجأة:

- إنه ليس من هذا الطراز، أتمنى أن أعرف كيف يتصرف. على كل حال، فهناك الكثير من الأشياء الغريبة بأعلى، هل تعرفين، أن هناك الكثيرين من النبلاء الذين يرتوون، ويثون.

تتكلم مانويلا عن كرامات السيد أوزو، الكبيرة جداً، بصيغة شيقة ومجردة من هذه السمات المزعجة التي تثير مشاعر غير ملائمة، بدوا لى أثناء حركاتهم فى المدخل أنهم جاءوا من قرية أخرى، فى أبواق مليئة بالضجة، حيث تتضح الرؤية الهاربة لغاية بعيدة. أجابت مانويلا:

- لم أتخيل أن مهندسى الديكور يفعلون ذلك، هدموا كل شئ، وأعادوا بناءه.

بالنسبة لمانويلا، فإن مهندس الديكور، هو كائن أثيرى يضع الوسائد فوق الأرائك الباهظة الثمن، يتراجع إلى الخلف خطوتين معبراً عن إعجابه بما يحدث. قالت لى قبل أسبوع: إنهم يضربون الحوائط ضربات شديدة. النفس قصير، وإنهم يصعدون درجات السلم أربعاً أربعاً بمكنسة غير مناسبة، هل تعرفين.. إنه رائع، الآن، أريدك أن تزوريها. تساءلت وأنا لا أخلع روح هذه التزوة الخطيرة عن مانويلا.

- ما أسماء هذه القطط؟

قالت وهى تصف ليو بشكل مذهل:

- آه، إنهم رائعون، بالغو الرقة وهم يمشون بلا أى ضجة، يتصرفون هكذا.

ثم جرت بيدها بتموهات غريبة.. أعدت سؤالاً:

- هل تعرفين أسمائهم الصغيرة؟

- القطعة اسمها كيتى، ولكننى لم أتوصل لاسم القط.

سقطت حبة عرق بارد بسرعة ملحوظة، بطول العمود الفقري،
الححت:

- ليفين؟

- نعم، هو ليفين، كيف عرفت؟ عبوس الحواجب.

- إنه ليس ثورجيا، أليس كذلك؟

- لا، الثورى، هو لينين، لينين، هو بطل رواية روسية شهيرة، كيتى هى
المرأة العاشقة.

أكملت مانويلا التى تهتم بالروايات الروسية المهمة:

- لقد عبر كل الأبواب، الآن هى تتزلق، حسناً، صدى هذا إنه أمر
عملى أكثر، أتساءل لماذا لا يفعلون هذا، نحن نكسب الكثير من الأماكن،
وهو أقل ضجيجاً.

ولأن هذا حقاً، فإن مانويلا، مجدداً باندفاع وافتعال، أثارت إعجابي،
ولكن هذه الملحوظة أثارت فى نفسى مشاعر حساسة لأسباب أخرى عديدة.

(4)

فتات تكسير واتصالية

أمران مرتبطان بأفلام أوزو.. الأول يكمن في الأبواب المتزلقة نفسها، منذ الفيلم الأول، "مذاق الأرز بالشاي الأخضر" فإنني مفتون باتساع الحياة اليابانية، وهذه الأبواب المتزلقة الراضية فلق الفضاء تتزلق برقة فوق قضبان خفية، لأننا عندما نفتح الباب، نحول الأماكن بطريقة حقيرة. نحن نلطم الاتساع ونحرق ضرراً بسبب نسب سيئة. إذا فكرنا فيه جيداً لا شيء هناك أكثر فجاً من الباب المفتوح. في الغرفة التي توجد فيها، تدخل مثل مجموعة طفيليات إقليمية تحطم وحدة الفضاء، في الغرفة المجاورة، هي تسبب ضعفاً. صدع مفتوح فضلاً عن أنها تكون غيبية ضائعة، في طرف جدار يفضل أن يكون داخلياً، في كلتا الحالتين، فإنها تشوش المساحة دون رأى معاكس آخر سوى الحق في الدوران، يمكنها أن تتأكد، مع ذلك، مؤكدة من سوابق أخرى. الباب المتزلق يتجنب العقبات، ويعظم الفضاء، دون أى تعديل متوازن. يسمح بالتحويل، عندما يفتح فإن مكانين يتواصلان دون إساءة، وعندما ينغلق فإنه يعطى لكل واحد اكتمال القسم والاتحاد، ويتمهي دون تدخل. تبدو الحياة هنا نزهة هادئة، عندما تتضح عندنا في جناح طويل من الضغوط، قلت إلى مانويلا:

- حقاً، إنه عملي أكثر وأقل قبحاً.

جاء السبب الثاني من مشاركة الأفكار أن الأبواب المتزلقة تؤدي بي إلى أقدام النساء، في أفلام أوزو، نحن لا نأخذ في الحسبان عدد الخطوط، حيث أن ممثلاً يدفع الباب يدخل إلى الدار ويخلع حذاءه. النساء بشكل خاص هن في سلسلة هذه المشاهد موهبة خاصة، إهن يدخلن كي يزلقن الباب بطول

الحائط. يخطين خطوتين سريعتين تؤدي بهما أسفل المساحة التي تتكون من غرف المعيشة، وتخلع الحذاء دون تعليق الأحذية المجردة من اللاكيه. وفي حركة سيقان مناسبة ورائعة، تدور حول نفسها صاعدات المصطبة التي تحني الظهر. ترتجف الجونلات بخفة، وثنية الركبتين.

مطلوب للارتقاء حتى تكون مليئة بالطاقة، ومحددة، يتبع الجسم ألمه في نصف دائرة من الأقدام، التي تتبعها بتسكع محطم بشكل جاد، كأن العلاقات تعرقها روابط.

عندما نمشي نحن الغربيون، ولأن لدينا ثقافة نريدها هكذا، فإننا نحاول الاستمرار في حركة نحسها، دون إدراك، ما نؤمن به هو جوهر الحياة: الفعالية دون عراقيل والنتائج المناسبة الظاهرة. في غياب القطيعة القفزة الحيوية التي تتم، هنا، فإن الفهد المتحرك هو معيارنا، هذه الحركات تصنع إيقاعاً، لا يمكن أن نميز هذه عن ما قبلها. وتبدو لنا عداء المتوحش الأكبر، أشبه بحركة وحيدة وطويلة لتعبر بالرمز كمال الحياة العميقة، لكن عندما تحطم النساء اليابانيات بخطواتهن المبتورة يتأثر انتشار الحركة الطبيعية، وعندما يجب علينا أن نثبت الألم الذي يمتلك الروح لحركة الطبيعة، المهانة. إنها تولد فينا بهجة غريبة، وكأن القطيعة تولد المتعة، في هذه الإهانة يوجد إيقاع مقدس للحياة، في هذه الخطوة المتناقضة، في الوليد الممتاز للتناقض، نمسك نموذجاً للفن.

إذن، مندفعة خارج طبيعة نريدها أن تستمر وقد صارت بواسطة عدم استمراره جاحداً ومحيراً، فإن الحركة تحدث بالإبداع الجمالي أن الفن هو الحياة، ولكن بايقاع آخر.

فكرة عميقة رقم 10

قواعد اللغة

طبقة للوعي

تؤدي إلى الجمال

في الصباح، أستغل الوقت دوماً كي أستمع إلى الموسيقى في غرفتي، تلعب الموسيقى دوراً مهماً في حياتي، فهي التي تسمح لي أن أتحمّل.. حسناً.. إذا كان هناك من يحتمل فهي أختي، أمي، المدرسة، آشيل فرييه هو الأخ الأكبر، الخ. الموسيقى، ليست سوى متعة للأذن مثل التدقيق أو الرسم للعيون، إذا سمعت الموسيقى في الصباح، فليس هذا أمراً عارضاً، لأن هذا يعطي نبرة اليوم. إنه أمر سهل للغاية، وفي نفس الوقت من الصعب شرحه: أعتقد أنه يمكننا اختيار أمر جتنا، لأن لدينا وعياً له طبقات متعددة وهناك وسيلة للوصول إليها على سبيل المثال. كي أكتب فكرة عميقة، يجب أن أضع نفسي في حالة خاصة جداً، وإلا ما أتت الأفكار والكلمات، يجب أن أنسى وأن أكون في نفس الوقت باللغة التركيز، لكن ليس هذا شأنًا إراديًا، إنها عملية آلية تتحرك أو لا، مثل أن يحك المرء أنفه أو أن يمشي للخلف.

وكي تحدث الآلية، فليس هناك أفضل من قطعة موسيقى صغيرة، على سبيل المثال إذا أردت الاسترخاء أجد شيئاً ما يجعلني أبلغ نوعاً من المزاج العالي، أو أشياء لم تحدث لي فعلاً، حيث أنظر إليها كأنني أنظر إلى فيلم "طبقة الوعي مجردة" بشكل عام بالنسبة لهذه الطبقة فإنها موسيقى الجاز، أو شيء أكثر تأثيراً من نفس النوع ولكن أكثر طولاً في تأثيره، لـ "أن نقول بوضوح عاش جهاز الـ MP3".

في هذا الصباح، استمعت إلى موسيقى جلين ميللر قبل أن أتوجه إلى المدرسة، يجب أن نؤمن أن الأمر لا يستغرق وقتاً طويلاً. وعندما نشعل الحريق، فقدت كل ارتباطي، في حصة اللغة الفرنسية مع السيدة ميجر التي هي نقيض الحى، طالما عندها أوصال، ترتدى اللون الوردى.. أحب الوردى، وأجد أن هذا اللون معالج بشكل ظالم. مثل لعبة طفل، أو امرأة متزينة بأعلى زينة على الرغم أن اللون لون رقيق ولطيف، والخطورة أنه موجود بكثرة في الشعر الياباني، لكن اللون وردى للسيدة ميجر يبدو قليلاً مثل المربي والخنزير، باختصار في هذا الصباح كانت عندي حصة فرنسية معها فهي كالشجرة والعمل المرهق، بلغ السيل الزبى، الفرنسية مع مدام مجريه تتلخص في سيل من التدريبات الفنية. تمارس قواعد اللغة أو قراءة النصوص معها، يقال إن نصاً قد كتب كي يمكن التعرف على هوية الأشخاص: الراوى، الأماكن، التقلبات المفاجئة، أزمنة النص الخ. أعتقد أنه لم تألق الفكرة أن نصاً هو قبل شئ مكتوب كي يُقرأ أو لإثارة الانفعالات عند القارئ، ونحن لا نطرح قط الأسئلة من طراز "هل تحب هذا النص/ هذا الكتاب؟"، هذا هو دوماً السؤال الوحيد الذى يمكن أن يعطى معنى لدراسة وجهات النظر القصصية أو بناء النص..

دون التكلم عن واقعة أن أفكار التلاميذ الداخلية هي أكثر انفتاحاً على الأدب من تلاميذ الليسيه، أشرح لنفسى: فى سنى هذا، مهما كان أن نتكلم عن بعض الأشياء بالعاطفة ونوفر الأجيال الجيدة، عن الحب والتمرد، والشهوة لكل ما هو جديد، الخ. فإن لدينا الفرص للوصول إليها، مدرس التاريخ لدينا، السيد ليرمى، يعرف كيف يجمعنا فى محاضرتين وهو يشير لنا بصور من النوع الذي نمزقه بأيدينا أو شفاهنا، ونحن نطبق الشريعة الإسلامية لأنهم سرقوا أو دخنوا. ومع ذلك، فهو لم يفعلها فى فيلم الرعب. إنه أخاذ،

ونسلم كلنا بانتباه المحاضرة التي تلى ذلك، التي تضع في الحسبان ضد جنون البشر، وليس بشكل خاص ضد الإسلام، إذا كانت السيد ميجر قد جعلته من الصعوبة أن تقرأ بنفس الصوت بعض أشعار راسين (ليبدأ اليوم ولينتهى اليوم، دون أن يتمكن تيتوس من رؤية برنيس)، كانت ترى أن المراهق في الأساس هو شخص ناضج بالنسبة للمأساة العاطفية.. في اللبسيه، يبدو الأمر أكثر صعوبة، سن الرشد رغم أنه، يكون هناك حدس لعادات الشخصيات الكبرى، نتساءل أى دور وأى مكان سوف نرث في هذه المسرحية، ثم يفسد شيئاً ما، فإن القمقم ليس بعيداً.

في هذا الصباح، عندما أضيفت إلى الأعمال المرهقة المعتادة بدرس أدبي دون أدب، ودرس لغة دون ذكاء في اللغة، برهنت عن مشاعر بلا أهمية، لم أستطع أن أتماسك، مدام ميجر وضعت نقطة فوق الوصف للمدح بحجة أن موضوعات الإنشاء الخاصة بنا قد أحبطت تماماً، ما يجب عليك أن تكون قادرة عليه منذ فترة، من المستحيل أن نرى تلاميذ بلا داء في القواعد.. أضافت وهي تنظر إلى آشيل جران فرنيه، لا أحب آشيل، ولكن هنا أنا أتفق معه عندما طرح سؤاله. أجد أن هذا يطرح نفسه، لقد نسي أستاذ الأدب الرفض، هذا يصدمني مثل راع نسي الخرفان، ولكن فيما تفيد قواعد اللغة؟.. تسأل: "يجب أن تعرف ذلك؟"، أجب سيدتي: "هل يجب أن أدفع كي أعلمك إياه..". "لا"، أجب آشيل بكل صفاء لمرة واحدة، لا أحد يمكنه أن يشرح لنا.. أطلقت السيدة ميجر تنهيدة من نوع: "هل يجب أن أحمل أيضاً أسئلة غريبة".. وأجاب: "هذا يفيد في الكلام الجيد والكتابة الجيدة"

هنا، اعتقدت أن عندي أزمة قلبية فلم أسمع بمثل هذه الحماسة، ومن هنا لا أريد أن أقول إن هذا كذب، أريد أن أقول إن هذا حق حقيقي. تقول للمراهقين الذين يعرفون الكتابة والقراءة أن القواعد، لهذا كأن نقول لشخص

ما أنه يجب أن نقرأ تاريخ دورة المياه عبر القرون كي نعرف البول والبراز.. إنه أمر خال من معنى! وقد أشارت لنا عن أمثلة، إننا في حاجة إلى أن نتعرف على أرقام الأشياء في اللغة؛ كي نستخدمها.. إذن، لماذا لا، إنها مُعدة - على سبيل المثال - لمعرفة تصريف فعل في كل الأزمنة، وتفادي الأخطاء الكبرى التي تثير العار أمام كل الناس في عشاء عالمي، لقد جئت إليكم مبكراً، ولكنني سلكت الطريق الخطأ، أو من أجل كتابة دعوة في الأنظمة، وأن نلحق بحفل راقص صغير في قصر فرساي، نعرف نظام الاتفاق مع صفة الموصوف، سوف نوجز. صديقي العزيز، هل تود الحضور إلى فرساي هذا المساء؟.. تأثرت كثيراً، بالماركيزة جران - فرنيه، لكن إذا صدقت السيدة ميجر يعتقد أن في هذا يفيد قواعد اللغة. نحن نعرف أن نقول كيف تصرف فعلاً قبل أن نعرف أنه فعل، إذا ساعدت المعرفة، فلا أعتقد - رغم ذلك - أن هذا سيكون أمراً فحاشياً.

أنا أعتقد أن القواعد هي طريق الدخول للجمال، عندما نتكلم، عندما نقرأ، وعندما نكتب. نحس جيداً عندما تكون جملة جميلة، ونحن نقرأ جملة واحدة، نحن قادرون على التعرف على كل ما هو جميل وعلى أسلوب جميل، لكن عندما نمارس قواعد اللغة، فإننا ندخل إلى بعد آخر من جمال اللغة، نمارس قواعد اللغة يعني أننا نحملها، ننظر كيف حدث ذلك، نراها عارية تماماً بشكل ما. وهذا شيء رائع؛ لأننا نتساءل: كيف أن هذا رائع. كم أن هذا فاشل بشكل جيد، كم أن هذا صلب، عبقرى، ثرى، ماهر!.. لا شيء يعرف أن هناك أنواعاً عديدة لكلمات ويجب أن نعرفها ونحن ننجز استخدامها وإمكاناتها المتاحة سينقلني هذا، أجد أنه ليس هناك شيئاً أكثر جمالاً، على سبيل المثال فكرة قاعدة اللغة. إن هناك أسماء وأفعالاً، عندما ستملك هذا، سيكون لك قلب يعبر عن نفسه، هذا رائع، أليس كذلك؟ أسماء، وأفعال.

ربما، للوصول لجمال اللغة والقواعد الظاهرة، هل يجب أن نضعها في حالة من الوعي الخاص؟ عندى حس يمكنى أن أحسه دون أى مجهود، أعتقد أن هذا يتم عند بلوغ العامين، وأنا عندما أسمع البالغين، وقد فهمت مرة واحدة، كيف تكونت اللغة. دروس القواعد كانت بالنسبة لى تأليفا لتاريخ لاحق وربما تفسيرات لغوية، هل يمكن أن نعلم التحدث والكتابة للأطفال، ونحن نطبق قواعد اللغة إذا لم يكن لديهم هذا التنوير الذى تحصلت عليه؟ غموض فى انتظار كل كلام السيدة ميجر عن الأرض التى يجب أن نتساءل عن أى قطعة موسيقى يجب أن نضعها أمام تلاميذها.. ها هم يمكنهم أن يضعوها فى إطار قواعدى.

قلت إلى السيدة ميجر: "لكن أبدا، إنه غلط تماما!" حدث صمت طويل فى الفصل، لأنه كالمعتاد لم أفتح فمى، ولأنى كنت قد اختلفت مع المدرسة.. نظرت إلى فى دهشة، ثم بدت عليها الدهشة مثل كل المدرسين عندما يشعرون أن الريح تدور نحو الشمال، وأن الفصل الصغير العجوز يدرس صفة الموصوف، يمكن أن يتحول إلى محاكمة لأساليبهم التربوية: "ماذا تعرفين يا آنسة جوس؟" هل سألت أُمى بنبرة خشنة، يمسك الجميع أنفاسه عندما تكون الأولى فى الفصل غير مسرورة، إنه سيئ لجسم المتعلم، خاصة عندما يكون سمينا، وهذا الصباح كانت ألعاب سيرك بالسعر نفسه:

"كل العالم ينتظر أن يسمع نهاية المعركة، ويتمنون أن تكون دامية".

قلت "حسنا، عندما تقرأ جاكوبسون، يبدو واضحا أن القواعد هى وسيلة، وليست هدفا. هذا مدخل للبناء وجمال اللغة، ليس فقط حيلة تفيد فى حيلة! "حيلة"! كررت بعينين حاضرتين بالنسبة للآنسة جوس، القواعد تكون حيلة!

إذا استمعت جيداً إلى جملتي، عليها أن تفهم أن الأمر ليس حيلة بالنسبة لي، ولكن أعتقد أن الرجوع إلى جاكوبسون قد أفقدها الدواسات، دون أن تأخذ في الحسبان الذين يضحكون بسخرية ومن بينهم كاتيل مارتين، دون أن نفهم شيئاً فيما قلته، ولكن في الإحساس بقطعة جليد في سيبيريا، موضوعه فوق مدرسة اللغة الفرنسية البريئة..

في الواقع، فأنا لم أقرأ جاكوبسون قط، أنت تفكر جيداً "إنني ربما أشك، أفضل القصص المصورة رغم ذلك، أو الأدب"، ولكن صديقة لأمي وهي مدرسة في الجامعة تكلمت عن جاكوبسون بالأمس بينما كانت تكتب على الآلة الكاتبة في الساعة الخامسة وهي تتناول جبناً بقرانيا وزجاجة نبيذ أحمر.. لقد حدث لي ذلك هذا الصباح.

في هذه اللحظة، أحسست بالشفقة تجاه السيدة ميجر، ثم أنا لا أحب العقاب النفسي، هذا لا يشرف أحداً قط، دون أن نأخذ في الحسبان أنه ليست لدي الرغبة أن أحداً سوف يبحث عن معرفتي لجاكوبسون، وأبدأ في الشك في واقع الذات.

إذن، تقهقرت ولم أعد أقول شيئاً، لقد شربت طوال ساعتين من الصمغ، والسيدة ميجر أنقذت جلدها كمدرسة، ولكنها عندما تركت الفصل أحسست بعينيها الصغيرتين القلقتين اللتين تتبعاني حتى الباب. وفي طريق البيت، تساءلت: "للأسف فإن الفقراء روح. إنهم لا يعرفون لا الذعر ولا جمال اللغة".

(5)

شعور لطيف

لكن مانويلا الحساسة لخطى النساء اليابانيات، تبحر هنا نحو مجالات أخرى.

قالت: "آل روزن تعد طبقاً لأنه ليس هناك مصباحان متشابهان".

سألت مندهشة: "حقاً!"

أجبت: "نعم، حقاً، وماذا؟ عند آل روزن هناك شئ مزدوج، لأنهم

خائفون من الخطأ، أنتم تعرفون القصة المفضلة للسيدة؟"

قالت مفتونة بعلو المنظر، أو بالحديث الذى يسوقنا إلى "لا".

أثناء الحرب، كان جدها الذى خزن من كل الأشياء فى كهفه، أنقذ

أسرته وهو يخدم ألمانيا، كان يبحث عن بكرة خيط كى يحبك زراراً فى زيه

الرسمى، إذ لم تكن لديه هذه البكرة.

صوت حيوان، وكل الآخرين معه، وماذا لو تؤمن أو لا تؤمن، فى هذه

السقيفات والكهف. كل شئ كان مزدوجاً، هل جعلها هذا أكثر سعادة؟ هل

كان يرى أن الأفضل فى الغرفة أن هناك مصباحين متشابهين؟

قلت: "لم أفكر مطلقاً فى هذا، حقاً، إننا زينا دخائلنا بإسراف".

سألت مانويلا: "كيف هذا؟"

- بالتكرار.. مثلما حدث لأسرة آل آرتين، نفس المصاييح والزهريرات

المزدوجة، فوق المدخنة، نفس مقاعد القوتيه المتجانسة فى كل جانب من

الأريكة، مائدتان منسقتان، وسلسلة من الأوعية المتشابهة فى المطبخ..

أجابت مانويلا:

-الآن جعلتني أفكر، ليس هذا إلا للمصاييح، في الواقع ليس هناك شيئاً متشابهاً عند السيد أوزو، حسناً، يجب أن أقول إن هذا يولد شعوراً لطيفاً.

تساءلت:

-هل هو تعليق لطيف؟.

فكرت لحظة، والجهة مجمدة.

لطيف مثل بعض الأعياد، عندما نأكل كثيراً، أفكر في هذه اللحظات التي غادر فيها الجميع.. زوجي وأنا، ذهبنا إلى المطبخ، أعد مرققة من الخضروات الطازجة، وأقطع عيش الغراب نئ رقائق، آكلنا مرقتنا وعيش الغراب بداخلها، لدينا الشعور أننا نخرج من عاصفة، وأن كل شيء صار هادئاً.

-لسنا خائفين من أخطائنا نحن سعداء في اللحظة الحاضرة.

-تحس أن هذا أمر طبيعي، ومثل هذا نأكل.

-يمكن أن ننتهز ما عندنا، لا شيء متضارب، احساساً بعد الآخر.

-نعم، لدينا أقل لكننا ننتهز أكثر.

-من يمكن أن يأكل أشياء كثيرة في مرة واحدة.

-حتى المسكين السيد آرتين.

قلت وأنا أتذكر الواقعة فجأة:

-لدى مصباحان متلاءمان فوق مائدتي الليل منشقتان.

قالت مانويلا:

-وأنا أيضاً.

وهزت رأسها. ربما نحن مرضى، بقوة بالغة.

قامت وقبلتني واتجهت إلى مسكن آل بالير في عناء وعبودية.. بعد رحيلها بقيت جالسة أمام فنجاني الفارغ، بقي شحاذ، أقرض أسناني بكل شراهة أمام ابتسامة غيرت أسلوب القضم الداخلي، مثل تذوق نكهات جديدة..

وأنا أفكر ملياً، وأتذوق السمات في غير زمانها لهذا الحديث، هل عرف أبدا الخادومات والبوابات اللاتي يقسمن الساعة والوقت، مجهزاً الحس الثقافي للديكور الداخلي، سوف تفاجأون لما يقوله الناس الصغار، إنهم يفضلون قصص النظريات، الأقدمون ذوو المفاهيم، والصور والأفكار، هذا لا يمنعهم من التفلسف، أيضاً هل نحن حضارات مقضومة بالفراغ وأنا لا نعيش سوى في عذاب الافتقاد؟.. ألا نستمتع بما تمتلك أو بأحاسيسنا عندما نتأكد للاستمتاع أكثر؟ ربما أن اليابانيين يعرفون أننا لا نتذوق المتعة إلا لأننا نعرفه سريع الزوال ووحيد، وراء هذا المعرفة، هل هم قادرون عن أن ينسجوا حياتهم. تكرارا يترعوني مرة واحدة من فكري، الملل يولد يوماً من التشابه، وهذا هو باب مسكني يقرع.

(6)

وابى

إنه جَوَّال يلعك العلكة، مثل الفيل، بحكم القوة، وبالسعة الفكية، هذه العلكة
تضغط عليه، سأل:

-السيدة ميشيل؟

دس لى لفافة فى يدى، سألت:

-لا شئ نوقع عليه.

ثم اختفى.

إنها لفافة مستطيلة مليئة بأوراق الكرافت، مثبتة بواسطة دوّبار من
النوع الذى يستخدم فى إغلاق حقائب البطاطس، أو ترك فى الشقة سداة
من الفلين لتسلية القط، أو لمضايقته فى التمرين الوحيد الذى يعيه، فى الحقيقة
هذه اللفافة من الخيوط جعلتني أفكر فى التغليف الحريرى لمانويلا، لأنه رغم
هذا النوع فإن الورق يبدو خشنا، أو على الأصح متفنا فى الأبهة، هناك فى
عناية ترجع إلى أصالة المفاهيم العليا، شئ ما من التشابه والعمق الكامل. نحن
نسجل أن تكوين المفاهيم النبيلة يتشكل بدءاً من الابتذال الأكثر خشونة،
الجميل هو المعادلة، وهو فكرة عليا تظهر أيدى جوال مجتر.

الجمال، إذا فكرنا فيه قليلا بجدية، فهو ليس سوى مبادرة مطبقة فى
طريق المعادلة، وهو نوع من طريق الساموراى بنية الأشكال الأصلية، لقد
قمنا بربط أنفسنا بمعرفة المعادلة، وهى فى كل لحظة من الوجود، تسمح لنا أن
نمسك كل ما به من صفاقها فى هذه الفرص النادرة، حيث كل إيقاع نستمتع
به.

أنا لا أتكلم عن هذا النوع من الجمال المطروق في الفن، الذي هو مثلى، ملهم بعظمة الأشياء الصغيرة. الهروب حتى جوهر القلب. هناك، الآن الملابس اليومية، تتدفق ضمن ترتيب الأشياء العادية، واليقين الذي يجب أن يكون هكذا، من مفهوم "هكذا جميل".

فككت الخيوط ومزقت الورق، إنه كتاب، طبعة جديدة، جميلة بالجلد البحرى، بحبة ضخمة "وماي" جدا.. باليابانية تعنى كلمة "وابي" شكلاً ممسوح الجمال، سمة من الجاذبية المقنعة بخشونة، لا أعرف بالضبط إن كان هذا هو المعنى، لكن هذه الحزمة هي "وابي".. أكيد وبلا نزاع. وضعت نظارتي، ورحت أتصفح عنوان الكتاب.

فكرة عميقة رقم 11

شجرة بتولة

علمتني اننى لا شئ

وأنى مدين للحياة

بالأمس أعلنت أُمى عند العشاء، وكأن هذا دافع أن تصب الشامبانيا دفعات، أن عشر سنوات انطوت على بدايتها للتحليل، واتفق الجميع على أن يقولوا أن هذا - ع - ج - يب! لا أرى أن التحليل النفسى من أجل منافسة المسيحية فى حب الآلام المستمرة. هذا ما لم تقله أُمى، لقد استمر الأمر عشر سنوات وهى تتعاطى المضادات ضد التوتر النفسى، ولكن بشكل ظاهر، فهى لم تعتقد أى رابطة، أما أنا فأعتقد أن هذا ليس لتخفيف الألم النفسى الذى تتناول من أجله مضادات التوتر، ولكن من أجل تحمل التحليل النفسى. عندما تروى جلساتها كانت تضرب برأسها على الحائط القريب، أما الشاب، فإنه يتمم "همم" على فترات وبشكل منتظم، وهو يكرر نهايات الجمل، لقد ذهبت إلى بيت لونتير مع أُمى.: "همم، أمك؟" "أحب الشكولاتة كثيرا": "همم.. الشكولاتة؟". فى هذه الحالة، أستطيع أن أكرر التحليل على نفسى فى اليوم التالى، وإلا فإنه سيجرب عليه علاجات حول "العلقة الفرويدية" التى تتفق بشكل عكسى مع ما يؤمن به - ليس بالغاز رمزية - ولكن يتعين أن تفسر شيئاً ما جذاباً، بالنسبة لى، فهو ليس قيمة فى ذاته، فهناك أذكاء وهناك باقات، وهم كثيرون، وهناك الكثير من القمامة وأيضاً الكثير من الأفخاخ الواضحة. سوف أقول تفاهة ولكن، الذكاء فى حد ذاته ليست له أى قيمة أو أى أهمية، هناك أشخاص بالغو الذكاء كرسوا حيواتهم فى مسألة جنس

الملائكة، على سبيل المثال، لكن الكثير من الأذكاء لديهم نوع من الاعتقاد أنهم يتخذون الذكاء كغاية، لديهم فكرة واحدة في الرأس: أن تكون ذكياً هذا هو الغباء، وعندما يتم اتخاذ الذكاء كهدف، فإنه يتم توظيفه بشكل غريب: البرهان أنه موجود لا يتمثل في العبقرية والبساطة، ما ينتج عنه، ولكن في ظلمة تعبيره..

إذا رأيت الأدب الذى ترويه أمى فى اجتماعهما، فهذا نموذج.. إنه يغلق المرفوض، حيث يتجاوز الواقع كثيرا من الرياضيات ونظريات مشكوك فيها، حتى النصوص التى تقرأها كولومب "إنها تعمل فى محل جويوم أوخان، خريجة مدرسة الفرنسيسكان فى القرن الرابع عشر" أقل مهابة مثل أن تقول: من الأفضل أن تكون راهباً مفكراً من تصبح مفكراً معاصراً.

وعلاوة على ذلك، كان اليوم الفرويدى، بعد الظهيرة، رحت آكل الشيكولاتة، أحب الشيكولاتة كثيرا، وهذا بلا شك الشئ المشترك الوحيد مع أمى وأختى. وأنا أقرمش إصبعاً منها بالبندق، شعرت أن إحدى أسناني تفلق، أذهب لأرى نفسى فى المرآة، وأؤكد بكل قوة أنى فقدت ثنية من سننى، هذا الصيف فى كويمبر فوق الدرب، وقعت بعد أن تعثرت قدمى فى حبل، وانكبست نصف سنتيمتر، ومنذ ذاك راحت السنة تتفتت من وقت لآخر، باختصار لفقدت سننى الصغيرة، جعلنى هذا أسخر لأننى أتذكر ما تحكى لى أمى عن حلم كانت تحلم به دوماً: أنها فقدت أسنانها. إنها أسنان سوداء تسقط الواحدة تلو الأخرى، وهذا ما قاله محللها النفسى بالنسبة لهذا الحلم:

"سيدتى العزيزة، كل فرويدى أخبرك أن هذا حلم يسمى بعلم الموت، كم هذا غريب، أليس كذلك، وليست هذه سذاجة التفسير "اسنان تسقط = الموت، المظلة + قضيب الذكر، الخ، كأن الثقافة لم تكن قوة كبيرة، من الإيحاء

والإشارة التي لا تتماشى مع واقع الأشياء. إنه السلوك الممنوع يرسخ السمو
الفكرى، يقول ذلك عالم فرويدى، حول التبحر البعيد أن هذا يعطى الانطباع
أن يبغاء يتكلم".

لحسن الحظ، ومن أجل أن أسترجع نفسى، اليوم ذهبت إلى كاكورو
لتناول الشاى والتهام الجاتوه بالبندق اللذيذ.. هذا الرجل الرقيق للغاية، جاء
كى يدعونى وهو يقول لأمى: "لقد تعارفنا فى المصعد، وقد أجرينا حديثاً رائعاً،
ما زال بيننا". قالت أمى مندهشة: "آه، حسناً.. حسناً، أنت محظوظ، فابنتى
لا تتكلم مطلقاً معنا".

تساءل كاكورو: "هل تريدان أن تأتى لتناول فنجان شاى، وسوف
أقدم لك قططى؟" ..

وبالتأكيد، ماما التى طمعت تستطيع أن تمتلك القصة قد وافقت بكل
ملاطفة كانت أعدت خطط الدعوة إلى بيت الثرى اليابانى، يجب أن أقول إن
أحد الدوافع هو الافتتان المشترك، بالنسبة للسيد أوزو تتمثل فى أنه بالفعل
بالغ الشراء "كما يبدو" باختصار. لقد ذهبت لتناول الشاى معه وتعرفت على
قططه. حسناً، فى هذا المخطط لم أكن مقتنعة بأسرتى لكن بهذا الكاكورو
الأنيق على الأقل، استعرضت وجهة نظرى عن الكاكورو الذى أبلغنى أنه
يؤمن بالإشعاع وحساسية شجرة بلوط.

واستمر الحديث حول تعريف الذكاء، سألنى إذا كان يستطيع أن
يسجل رأيي حول فروته: "إنه ليس هبة مقدسة، بل هو السلاح الوحيد
للقیادات".

ثم عدنا إلى السيدة ميشيل، فكر أن قطه يسمى ليو على اسم ليو
تولستوى، واتفقنا أن نقول أن بوابة تقرأ تولستوى وأعمالاً من الناشر فرين،

ليست كياناً عادياً، كانت لديه عناصر موفقة كي يفكر أنها تحب آنا كارنينا كثيراً، وقرر أن يرسل لها نسخة، وقال: "سوف نرى رد فعلها".

لكن لم تكن هذه هي فكرتي العميقة هذا اليوم، لقد جاءت من جملة نطق بها كاكورو، كنا نتكلم عن الأدب الروسى الذى لم أكن أعرفه بالمرة، شرح لى كاكورو ما يحبه فى روايات تولستوى، أنها "روايات عالمية" وأن هذا يحدث فى روسيا، فى هذا البلد حيث هناك شجر البتول، فى كل ركن من أركان الحقول.. وفى أبان حملة نابليون، صار على الطبقة الراقية أن تتعلم الروسية لأنها لم تكن تتكلم إلا الفرنسية، حسناً، إنه من ثروة الكبار.. ولكن هذا من الخير، كاكورو، يتصرف بكل أدب، هذا الموقف من واحد يعطى للآخر الشعور بأنه موجود، حسناً، فى الحقيقة، فإن روسيا الروس الكبار، فإننى لا أراها سيئة، هل يتكلمون الفرنسية؟

فى الوقت المناسب لم أفهم جيداً لماذا كنت حساسة لأشجار البتول، تكلم كاكورو عن الريف الروسى، وأشجار البتول المرنة والصاخبة، وأحسست بنفسى خفيفة، خفيفة..

بعد ذلك، وأنا أفكر قليلاً، فهمت بشكل جزئى هذه الفرجة المفاجئة عندما كان كاكورو يتكلم عن شجر البتول الروسى، إنه يعطينى الإحساس نفسه عندما نتكلم عن الأشجار، لا يهم أى شجرة: التليو فى فناء المزرعة، الكستناء خلف الصومعة القديمة، أشجار الأرز الكبرى التى اختفت الآن، الصنوبر التى أحنتها الريح معها الخ، هناك الكثير من الإنسانية فى هذه المقدرة على جنى الأشجان، الكثير من الحنين للدهشات الأولية، الكثير من القوة أن تحس باللا معنى فى صدر الطبيعة..

نعم، هكذا: استدعاء الأشجار، وعظمتها المختلفة، والحب الذى يجلبه
لا يعلمنا كم نحن متطفلون أشرار نرحف فوق سطح الأرض لأننا مدانون فى
الوقت نفسه بالحياة، ولأننا قادرون على معرفة الجمال الذى لا يفرض علينا.
تكلم كاكورو عن أشجار البتول، وقد نسى المحللين النفسانيين وكل
أنواع الأذكىاء الذين لا يعرفون ماذا يفعلون بذكائهم، أحسست فجأة بقوة
أننى قادرة أن أمسك الأشياء الكبيرة الجميلة بنفسى.

مطر الصيف

(1)

خفاء

وضعت نظارتي وأنا أقرأ الخط الغامض للعنوان
ليو تولستوى، أنا كارنينا
مع بطاقة.

سيدتي العزيزة

تكريماً لقطك

بكل المودة

كاكورو أوزو

إنه مشجع دائماً بأنه اهتدى من جنون العظمة الخاص به.
لقد رأيت بدقة وخلعت القناع.
الرعب فرج بي.

قمت بشكل آلي، ثم عاودت الجلوس، وأعدت قراءة البطاقة.

شيء ما ينتقل بداخلي، نعم، لا أعرف ماذا أقول، لدي إحساس
مضحك أن مقياساً بداخلي سوف يحل مكانه آخر، هذا لا يحدث لك قط؟
هذا يجعلك تحس بتحركات داخلية بأنك غير قادر على وصف الطبيعة، لكن
هذا ذهني ومكاني يحدث في آن واحد، ثم انتقل.

تحية لقطتك مع حالة من لا تصديقه غير متصنعة، سمعت ضحكة صغيرة
أشبه بالقهقهة تنطلق من حنجرتي، إنه مقلق، لكنه غريب.

تحول باندفاع خطير - كل الاندفاعات خطيرة عند الذين يعيشون
بوسائل حياة خفية - سأبحث عن ورقة وعن ظرف وعن قلم جاف "برتقالى"
وأكتب.

"شكراً.. ليس هناك داع".. البوابة

خرجت إلى البهو بحذر الهنود الحمر "السيو".. لا أحد، ودست
الرسالة في صندوق السيد أوزو، وعدت إلى مسكنى بخطى خفية - طالما أنه لا
يوجد روح تعيش - كنت منهكة وغصت في الكرسي ذي المقعدين،
وإحساس بأن العمل منجز.

انتابنى إحساس قوى للشيء. للشيء.

هذا الاندفاع الغبى، بعيداً عن أن يضع الحد لامرأة طريفة، يتم
تشجيعها بمائة ضعف، إنما غلطة استراتيجية كبرى. هذا الطبع الخفى بدأ
يسرى بأعصابى.

أمر بسيط. لا أفهم موقعه، البوابة سوف تقع في إطار المعنى، وأيضاً:
أنت ارتكبت خطأ. سأعيد لك هديتك.

وبدون بهرجة، وبشكل مختصر ومحدد، خطأ في المرسل إليه.

ماكر وبشكل محدد: لا أعرف القراءة.

أكثر اعوجاجاً: قطى لا يعرف القراءة.

حاذق: شكراً. لكن هدايا رأس السنة ستفتح في شهر يناير.

وأيضاً، صيغة إدارية: رغبة في الشكوى استقبال بفتح المدارس.

وبدلاً من أى شئ، تدللت باستظراف وكأننا صالون أدبى:

"شكراً كان لا يجب".

وانتفضت من المقعد واتجهت نحو الباب.

تنهدت بصوت عال ثلاث مرات، وعبر الزجاج رأيت بول نجوين
الذى يحمل الرسائل، يتجه نحو المصعد. أحسست بالضيق. اختيار واحد هو:
الموت. مهما حدث، فأنا لست هنا، لا أعرف شيئاً، لن أجيب، لا أكتب، ولن
أخذ أى مبادرة.

مرت ثلاثة أيام، على التوالي، واقتنعت بما قررت، ألا أفكر أنه غير
موجود، ولكنى لم أكف عن التفكير فيه، لدرجة أننى لم أنس مرة واحدة إطعام
ليو الذى كان آنذاك أقرب إلى الصامت الرقيق.
ثم فى نحو العاشرة طرق بابي.

(2)

عمل الحس الكبير

فتحت. وقف السيد أوزو أمام مسكني، قال لي:
- سيدتي العزيزة، أنا سعيد أن رسالتى لم ترعجك.
انفعلت برعشة لا أعرف شيئاً وأجبت وأنا أتماسك، وأحس بالعرق
ينساب على كاجاموس.
- نعم، نعم، أهه.. لا
استرددت عواطفى المثيرة ببطء ثم أجبت بصوت بطئ:
- حسناً، حسناً.
ابتسم لي برقة.
- السيدة ميشيل. لم آت إلى هنا لتشكرينى.
قلت وبى شئ من الحمية: (دعها تموت على الشفاه). الذى فيه اقتسم
الفن مع فيدرا، وبرنيس، وهذا المسكين ديدون.
قال: "جئت أرجوك أن تتناولى العشاء معى مساء الغد، وستكون أمامنا
الفرصة أن نتكلم عن أذواقنا المشتركة".
رددت بشكل مختصر: "هيه".
أكمل بكل بساطة: "عشاء وسط الجيران".
أكملت رغم التشوش فى رأسى:
- وسط الجيران؟ لكنى البوابة.
- من الممكن أن نمتلك صفتين فى آن واحد.
يا أمناء العذراء، ماذا أفعل؟

هناك دائماً الطريق السهل، رغم أنني أنفر من اتخاذه، فإنه لم يكن لدى أطفال، ولا أشاهد التلفزيون، ولست مؤمنة، وكل المشاعر التي تمتلك الناس أن الحياة تبدو لهم سهلة، الأطفال يساعدون في تأجيل الواجب، المؤلم أن نواجه أنفسنا، والأطفال الصغار يدركونها بعد ذلك، التلفزيون يلهي عن التعب اللازم لبناء مشاريع بداية من لا شيء في وجودنا العاثر. كما أنها تغش العيون بأنها تفرغ العقل من المشاعر الكبيرة، الله أخيراً يهدى مخاوفنا كندييات، والمنظور غير المحتمل للذاتنا التي تنتهي في يوم ما، وأيضاً دون مستقبل ولا أنساب وأصل يوحى بطابع الوحوش، الوعي الكوني، بالسخرى واللامعقولية، في يقين النهاية.

واستباقاً للشعور بالفراغ، يمكنني القول بأنني لم اختر طريقاً سهلاً، ورغم ذلك سعت بشكل جيد.

- لا ! شكراً أنا مشغولة.

- هذا هو الإجراء الأكثر دلالة، يوجد الكثير من التغيرات المصقلة.

- هذا رائع بالنسبة لك ولكن عندي مفكرة وزير "مصدق قليلاً".

- خسارة. سوف أرجل إلى ميجيف غدا "رائع".

- آسف ولكن لدى أسرة "ارشيقي"

- قطي مريض، لا أستطيع أن أتركه وحيداً "بعاطفية".

- أنا مريضة، أفضل البقاء بالغرفة "مثير للوقاحة".

واستعدت في النهاية بالقول:

- شكراً ولكن لدي الكثير من الناس هذا الأسبوع.

بدا الصفاء الدامث على السيد أوزو واقفاً أمامي في الزمن ثغرة بارقة

خاطفة السرعة.

(3) خارج الزمن

أسفل الكرة الأرضية تسقط الندوف.
أمام عيني ذاكرتي، في مكتب الأنسة معلمتي، حتى فصل العظماء للسيد
سيرفون: تتجسد الكريات الزجاجية الصغيرة.. عندما كنا نستحق كان لدينا
الحق في تدويرها، وإمساكها بباطن اليد، حتى سقوط الندفة الأخيرة تحت
قدمي برج إيفل المدهون بالكروم.
لم يكن عمري سوى السابعة عندما عرفت أن الأنشودة البطيئة
للأجزاء الصغيرة المندوفة تمثل ما يحسه القلب أثناء الفرحة العظيمة، تباطئت
المهلة وتوسعت.
يخلد الباليه في عتاب الصدمات، وعندما نزلت آخر ندفة أدركنا أننا
نعيش خارج الزمن الذي هو علامة على التنوير الضخم، وأنا طفلة كنت
أتساءل دوماً إن كنت سأعيش لحظات مثيلة، وأن أدخل في قلب البطء مع
رقصات الندوف العظيمة، وهأنذا أخيراً، أنزع رعشة الزمن الرخو.
هل يحس هذا بالعرى؟ ملابسك المتروعة خارج جسمك، تبقى الروح
مع ذلك مترعجة من التزين. ولكن دعوة السيد أوزو فجرت في داخلي
الشعور بهذا العرى الشامل الذي هو أيضاً هو عرى الروح الوحيدة، المحاطة
بمالة من الندوف، تجعل قلبي الآن مثل احتراق لذيذ.
نظرت إليه.. ألقى نفسي في المياه السوداء، العميقة، الباردة، الخارجة
عن الزمن.

(4)
عنكبوتى

تساءلت بعد الظهيرة نفسها مع مانويلا:

- لماذا، لكن لماذا، حب الله؟

قالت لى وهى تضع طاقم الشاى:

- كيف هذا؟ إنه رائع للغاية؟

تشاءبت:

- أنت تمزحين.

قالت: "يجب أن نفكر بشكل عملى، الآن، لا تتصورى أنك ستذهبن بهذه التسريحة غير اللائقة".

ثم استكملت حديثها وهى تنظر إلى بعين خبيرة:

- هل لديك فكرة عن مفاهيم مانويلا فى مادة تصفيف الشعر! هذه

السيدة الأرستقراطية القلب هى سيدة بروليتارية.. الشعر، مجعد، مبروم،

منتفخة، ثم ترش بخلاصة المادة العنكبوتية الشفافة، فالشعر حسب مانويلا يجب

أن يكون بناءً هندسياً أو لا يكون.

قلت وأنا أحاول لا أتعجل: "سوف أذهب إلى الكوافير".

نظرت إلى مانويلا بشكل مشبوه، سألت:

- ماذا سترتدين؟

بعيداً عن فساتينى طوال الأيام، فساتين البوابة المتنوعة، ليس لدى

سوى نوع من المونج الأبيض لحفلات الزفاف، مدهون بالنفثالين، إنه الشوب

اللاهوتى الأسود المحزن أستخدمه فى مناسبات الدفن النادرة التى أدعى إليها،
قلت:

- سوف أرتدى ثوبى الأسود.
- سألت مانويلا وهى تنحنى أرضاً: "فستان الدفن".
- ليست عندي غيره.
- إذن، يجب أن تشتري.
- لكنه ليس سوى عشاء.
- أجابت المربية الفظة التى تطرق فى مانويلا:
- أعتقد هذا، لكنك لن تلبسى للعشاء عند الآخرين.

(5)

دانتيل وزخارف نسائية

وبدأت الصعوبات: من أين نشترى فستاناً؟
بشكل عادى، فإننى أشتري ملابسى حسب التساهيل، ومن بينها الأحذية،
الملابس الداخلية، وتريكو الجلد، فكرة المحاولة تحت أعين فتاة شابة فاقدة
الشهية فى الحياة، تحمل حقيبة، أدارت رأسى المحلات دائماً، يريد البؤس أن
يكون الوقت متأخراً، أملاً فى البيع والتسوق حسب الوقت.
لا تكونى سوى صديقة وحيدة ولكن اختارها جيداً.
فى صباح اليوم التالى، زارتنى مانويلا فى مسكنى، تضع غطاءً للملابس
التي قمتها لى بابتسامة نصر.

تزيد مانويلا عنى فى الطول خمسة عشر سنتيمتراً، وتزن أقل منى عشرة
كيلو جراماً، أرى امرأة وحيدة من أسرتها يمكن للملابسها أن تناسبنى، إنها
حماتها، الراهبة آماليا التي تشغف بدهشة بالدانتيل والزخارف النسائية، رغم
أنها ليست لها روح لحب الغرائبيات، الطريقة البرتغالية فى الزركشة، تنم عن
روكوكو: حالة تخيل تخلو من الرقة، فقط هذيان التجمع، الذى يجمع الفساتين
فى قمصان نوم محزمة، وأقل قميص فى مسابقة احتفالية.

أنتم تعرفون إذن كم أنا قلقة، هذا العشاء الذى يعلن نفسه مصلوباً،
يمكن أيضاً أن يكون من فارس، قالت مانويلا بالضبط:

- سوف تكونين أشبه بنجمة سينما.

بدت عليها الشفقة: أنا أمزح

وهى تترع الغطاء عن فستان بهيج انتزعت منه كل زخارفه سألت وأنا
أفحصها:

- من أين حصلت على هذا؟

وبمجرد النظر، فهي حسنة القامة، وبرؤية العين أيضاً هذا فستان غالي الثمن، من الجبردين، والصوف الذى يبدو بالغ البساطة، بياقة قميص وأزرار من الأمام. بالغ البساطة وشديد الأناقة، نوع الفستان الذى ترتديه السيدة بروجلى.

قالت مانويلا بشكل ملائكى: "ذهبت مساء أمس عند ماريا".

ماريا هي حائكة برتغالية تسكن قريبا من منقذتى، لكن هذه أفضل من مواطنة بسيطة، كبرت مانويلا وماريا معا فى فارو، وتزوجتا من اثنين من سبعة إخوة من أسرة لوبيز، وتبعتهما فى فرقة موسيقى إلى فرنسا حيث أنجبتا أطفالهما بشكل عملى فى نفس الوقت، خلال بضعة أسابيع متقاربة. وامتلكن قطا مشتركا وذوفا متشابها للحلويات اللذيذة.

سألت: "هل تعنى أن هذا الفستان ملك شخص آخر؟"

أجابت مانويلا بتكشيرة صغيرة: "نعم، ولكن أنت تعرفين، فهي لن تخبرك، المرأة ماتت فى الأسبوع الماضى، من هنا وحتى يضع فى الحسبان أن هناك فستاناً عند الخياطة.. أنتم تعرفون وقت العشاء عشر مرات مع السيد أوزو".

كررت مرتعة: "هل هو فستان امرأة تعيسة. لا أستطيع أن أفعل ذلك".

سألت مانويلا وهى تدعك رموشها: "لماذا هذا؟ هذا أفضل مما لو كانت على قيد الحياة، تخيلى أنى أدت واجبا. يجب أن تقومى بالكى بالبخر وأن تجدى العذر، دعى القلق".

كانت النفعية عند مانويلا شيئا كونيا، ربما يجب على أن أهلك الإلهام باعتبار أن الموت يعنى العدم.

احتججت: "لا أستطيع أن أفعل هذا".
قالت مانويلا وهي تنطق الكلمة وكأنها تستسيغها بروحانية: "ماذا فى الأمر؟ ماذا تريدین؟ هل أصابك ألم؟"
قلت: "لكن هذا الأفضل من شخص ما وآخر، لا أستطيع أن أتاسب معها".

هتفت: "لكنها ميتة، وأنت لم تسرقها، سوف ترتبکین هذا المساء".
عندما بدأت مانويلا فى الحديث حول اختلافات علم الدلالة لم يكن أمامها سوى أن تحاول.

قالت لى ماريا أن هذه امرأة بالغة الرقة، لقد وهبت الفساتين ومعطفاً أنيقاً ماركة البلاجا، لا تستطيع أن ترتديها لأنها صارت بدينة.. هنا قالت إلى ماريا: "هل يمكن لهذه أن تكون مفيدة لك؟ أنت ترين أنها امرأة بالغة الرقة".
البلاجا هو نوع من حيوان اللاما، مختلف فى صوفه المتناسك جدا، وعلى الرأس المزدانة باللباظ.

قلت بقليل من اللين: "لا أعرف، أحس أننى أسرقه من امرأة معينة".
نظرت إلى مانويلا فى غيظ.
- أنت ترتبکین، أنت لا تريدین، هل تريدین أن تصنع فستانها، المرأة المسكينة؟

لم يكن هناك سبب لهذا، قالت مانويلا وهي تغير الحديث، وبكل جاذبية:

- إنها ساعة السيدة باللبر.
قلت: "سوف أقضى هذه اللحظة معك".
أعلنت وهي تتجه نحو الباب، وهي تنتظر:

-سوف أذهب إليه، جريه، اذهبي إلى الكوافير وسأعود بعد ساعة لأراك.

دققت في الفستان لحظة، متشككة فيه، علاوة على التكتم الشديد حول فستان امرأة ميتة، أشك أنها تترك عليّ أثر فظا، فيوليت جريه هي سيدة مثل بير آرئين وهي من الحرير، وأنا من فوطة المائدة، تشكل مع مطبوعات موف أو أزرق بحري.

وضعت البرهان عند عودتي.. تنبهت أنني لم أشكر مانويلا.

يوميات حركة العالم رقم 4

إنه غناء جماعى جميل

بعد ظهر الأمس، كان كورال المدرسة فى مدرستى بالحقى الشرى، كان هناك حفل كورال، لم ير أحد أن هذا مثير، جاهد كل الناس للذهاب إلى هناك، ولكن الحفل اختير بعناية، السيد تريانون، مدرس الموسيقى، ثلاثى غنائى عند البوابة، سبب نجاح الكورال أنه السيد تريانون بنفسه، شاب، جميل، يشدو أغنيات وألحانا من الجاز القديم أكثر من الألحان الحديثة، أوركسترا الفصل، كل العالم لم يتطلع إلى الكورال المتكون من 31 فرداً يغنون أمام تلاميذ المدرسة، لقد تمت دعوة أبناء الأطفال المنشدين لأن دون هذا سيكون هناك الكثير من الناس، امتلأت صالة الرياضة بالضوضاء، وسط عاصفة من الحماس.

بالأمس إذن، ناحية صالة الرياضة ذات الخشب الصغير، تصرفت السيدة ميجر كعادتها، يوم الثلاثاء بعد ظهيرة فى الساعة الواحدة، كنا فرنسيين تحت قيادة السيدة ميجر تجمعنا كلمة حلوة كبيرة، بذلت كل ما بوسعها كى تتبع اللحن وهى تصفر مثل عصفور عجوز.. حسنا، وصلنا إلى صالة الرياضة، كل الناس أخذت أماكنها على أحسن ما يكون.

كان على أن أقف أمام وخلف وإلى جوار الناس، أستمع إلى حوارات ضعيفة "ستريو، محمول" موضوعة، محمول، من مع من، محمول المدرسين الذين لا جدوى منهم، محمول، أمسية كانيل، ثم دخل المطربون وسط الهتاف، يرتدون الزى الأحمر الموحد، مع عقد البايون للغلمان، وفساتين طويلة، لها حمالات للفتيات، السيد تريانون يجلس فوق مقعد بدون مسند، وقد أولى ظهره

للحفل، يرفع نوعاً من العصي، يخرج منها ضوء أحمر في الطرف، وما إن ساد الصمت حتى بدأ كل شيء.

في كل مرة، يبدو الأمر معجزة، هؤلاء الناس، كل هذا القلق، كل هذه الأحقاد وكل هذه الرغبات، وكل هذه الاضطرابات، كل سنوات المدرسة، لوقاحتها وأحداثها الصغيرة والعظيمة. مدرسوها وتلاميذها المخلطون، كل هذه الحياة التي اندمجنا فيها تصرخ، وتبكي، وتضحك، ثم توقف قطيعة وآمالاً حانية، وفرص ضائعة، كل شيء اختفى فجأة عندما بدأ أعضاء الكورال في الغناء..

تعتقد مسيرة الحياة في الغناء، ساد فجأة انطباع أخوي، وتكاتف عميق، الحب يشعشع فوق قبح الحياة اليومية في تجمع رائع، كانت وجوه المطربين وضاحة. لم أر آشيل جران فرنيه "الذي له صوت تينور رائع" ولا ديورا ليمور ولا سيجولين راسيه ولا شارل سان سوفور، رأيت كائنات إنسانية تندمج في الغناء.

في كل مرة، يبدو الأمر متشابهاً، وددت البكاء، كانت حنجرتي مزمومة، بذلت ما بوسعي كي أسيطر على نفسي، لكن لمرات، كانت هذه هي الحدود، أستطيع أن أتماسك عن النحيب، إذن عندما يكون هناك موقع، أنظر إلى الأمر وأحس أنه مؤثر جداً، إنه جميل للغاية، بالغ القوة، نتواصل معاً، لست نفسي، أنا جزء من كل ينتمي إليه الآخرون أيضاً. تساءلت دائماً في هذه اللحظة لماذا ليست هذه قاعدة الحياة اليومية بدلاً من أن تكون لحظة استثنائية للكورال.

عندما توقف الكورال، هدأ الجميع، الوجوه مشرقة، المغنون مشعون، الأمر رائع للغاية. أخيراً، تساءلت إذا كانت الحركة الحقيقية للعالم، ليست سوى غناء.

(6) انتعاش

هل تصدق أننى لم أذهب أبداً إلى الكوافير. وعندما تركت القرية إلى المدينة اكتشفت أن هناك مهنتين تبدوان لى بالغتي الضالة فى ما يمكن أن يقدمها مكتب إلى شخص عليه أن يحقق ذاته، فأنا أعتبر اليوم أن باعة الزهور ومحلات الكوافير ليست أبداً متطفلة، وتعيش من التطور الطبيعى الذى يحدث لكل شئ، مما يتكامل مع قوة منصفة، وتولد منتجات عطرية أحس بها وحدى فى الحمام مع زوج من المقصات الجيدة.

سألت وأنا أشير إلى الخلاقة:

- من يقص لك شعرك هذا. مقابل مجهود مرعب.

رحت أبوح لها بعناية تسريح شعرى كخادمة.

سحبت، وحركت كل جانب فى أذنى خصلتين بطول قياسى، أجابت

وهى غير منشرحة، وهى تدخر العار الواجب أن أتكلم بنفسى:

- أخيراً، لا أريد أن أسأل. الناس لا تحترم أحداً، أرى هذا كل يوم.

قلت: أريد فقط انتعاشاً.

- لم أكن أعرف ماذا يعنى هذا، إنه رد كلاسيكى من المسلسلات

التليفزيونية التى تعرض بعد الظهر، ومزدحمة بشابات وضعن الماكياج بشكل

جيد، وجدن أنفسهن بشكل متنوع عند الكوافير أو فى مركز قاعة التدريبات

الرياضية.

قالت: "انتعاش، لا يوجد ما يثير الانتعاش! كل شئ أنجز، يا سيدتى!"

نظرت إلى رأسى بنظرة انتقادية، تبعثها بصغير خافت.

- لديك شعر جميل، انه هكذا، يجب أن نطلق شيئاً ما

في الحقيقة، فإن كوافيرتي فتاة جميلة، تمتلك حنقاً تتمثل شرعيته بشكل خاص من الجلوس في ذاتها، ولأنه من الجميل أن تستعيد السيناريو الاجتماعي الذي يلزم كل منا، فقد اهتمت بي بكل رقة وفرحة.

ماذا يمكن أن نفعل بحفنة من الشعر شذبناه كي يكون له معنى الاتساع، وسط أفكارى القديمة حول قص الشعر، ناحتة كتلة من الصخر لتأخذ شكلاً يعكس مفهومي لأوعية الشعر المحدد.

انتهت بأن قالت، وهي تبارك عملها، بكل رضاء ظاهر:

- لديك شعر جميل حقيقي، إنه كثيف وحريري، لا يجب أن يقصه أى أحد.

هل يمكن للكوافيرة أن تحولنا إلى هذا الحد؟ أو من بذلك في انعكاسي الخاص في المرأة، الكاسكيت السوداء المسجونة في وجهي، قلت بمجرد أنه أصبح خفيفاً بشكل واضح حول وجه ليس أبداً دميماً، أعطاني هذا شكلاً محترماً، وجدت نفسي، في مظهر مزيف، سيدة رومانية. قلت وأنا أتساءل كف نختلس هذا الجنون غير العابي بنظرات المقيمين: "إنه رائع".

ليس مدركاً أن الكثير من السنوات التي تتوالى، قد فشلت فوق مقعد من الرمل بضربة.

عدت إلى منزلي وأنا أحدد الحوائط بفرحة غير مسموعة، لا أصدق أحداً، لكن يبدو لي أن ليو ينظر إليّ بشكل غريب، اقتربت منه، ضرب أذنه للخلف، علامة الغضب أو الحيرة.

قلت له: "هيا، ألا تحب؟" .. قبل أن أتأكد أنه يتنفس بشكل ارتعاش ما حوله الغسيل، بالشامبو أفسد الحامى وأغرقه.

وضعت وشاحاً فوق رأسى، وأفرغت فى كأسى كل الانشغالات
العاطفية التى تتمثل فى تنظيف واعى للأزرار اللامعة فى مقصورة المصعد.
إنها الساعة الثانية إلا عشر دقائق، وخلال عشر دقائق خرجت مانويلا
من عدم السلم كى تأتى لتفحص المهام التى تم الانتهاء منها.
لم يكن لدى الوقت أن أتوازن، نرعت وشاحى وخلعت ملابسى
بسرعة، وارتديت ملابس البوابة البيج التى تنتمى إلى امرأة ميتة، وطرقت
الباب.

(7)
مزينة مثل زهرية

قالت مانويلا: وواه.. طظ.
نبرات صوتية وألفة مماثلة في فم مانويلا، التي لم أسمعها تنطق قط بكلمة مبتدلة،
كم هو جميل أن يصيب النسيان أبوها، رمى إلى الكاردينالات، لكن أين إذن
هذه القذارة من السلطة الدينية؟.

قلت: "لا تسخرى من نفسك"
قالت: "أسخر من نفسي؟ آه يا رينيه. أنت رائعة".
وبكل اختلاج، جلست، أضافت:
- امرأة حقيقية.

هذا هو ما يقلقنى.
قلت وأنا أعد الشاى: "سوف يكون شكلاً سخيلاً وأنا أصحبك
للعشاء هكذا. مزينة مثل زهرية".

قالت: "أبداً. إنه أمر طبيعي، نحن نتعشى، ونحن نلبس، كل الناس ترى
هذا أمراً طبيعياً".

قلت وأنا أضع يدي فوق رأسي، وأنا أحس بنفس الصدمة في مس شئ
ما هوائي: "نعم، لكن هذا".

قالت مانويلا وهي تدعك أهدابها، وأنا أهبش سلتها بالدربزين
المصنوعة من ورق الحرير الأحمر:

- لقد وضعت شيئاً ما فوق رأسك، بعد ان صار كل شئ خلفه
مسطحاً.

قالت: "فراء الراهبة".

- نعم، لننتحدث في شئ آخر.

سألت: إذن؟

تنهدت:

- آه، إذا رأيت هذا، اعتقدت أنها سوف تصاب بأزمة قلبية.

قلت:

- السيدة بالير، أنا آسفة، لكننى لن أستطيع الحضور..

لم تفهم، كان يجب أن أقول ذلك مرتين! إذن جلست، وقالت لى:

"لكن ماذا أفعل؟"

توقفت مانويلا، وتراجعت للخلف ثم قالت:

- إذا قالت: لكن ماذا سأفعل بدونك؟ لديها الفرصة أن أضع روزى،

اللهم إلا إذا قلت: السيدة بالير، يمكنك أن تفعل ما تريد، أكاد أن أج... .

قال الأب: "سلطة دينية مفلسة".

روزى هى واحدة من بنات أخت مانويلا العديديات، أعرف أن هذا

يعنى أن مانويلا تغنى عند العودة لكنها وسيلة نجاح مثمرة من 7 شارع جرينل

يجب أن تظل وسط أسرة - أيضا تدخلت روزى، وهى تتبأ بيوم عظيم.

- يا إلهى، ماذا سأفعل بدون مانويلا.

قلت لها وأنا أبتسم: "ماذا سأفعل بدونك؟"

وانسابت الدموع من أعيننا فجأة.

سألت السيدة مانويلا، وهى تجفف وجنتيها بمنديل كبير أحمر، على

طريق مصارع الثيران:

- هل تعرفين ماذا أعتقد، لقد تركت السيدة بالير، انها علامة، سوف

تحدث لها تغييرات جوهرية.

- هل سألتك لماذا؟

قالت مانويلا: "هذا هو الأفضل، لم تجرؤ، التربية الجيدة، مرات، إنها مشكلة".

قلت: "لكنها سوف تتعلم بسرعة جداً".

نفخت مانويلا بقلب رقيق: "نعم، لكن هل تعرفين؟" .. ثم أضافت:
"خلال شهر سوف تقولين: هذه لؤلؤة. روزى الصغيرة مانويلا: لقد مررت
يدك بشكل جيد، هذه الثرية.. مغارة إذن!"

قال الأب بعصبية وبلكنة إنجليزية: "سلطة داعرة".

قلت: "ورغم ما حدث، فنحن صديقتان".

نظرت كل منا إلى الأخرى، ونحن نبتسم، قالت مانويلا:

- نعم، مهما حدث.

فكرة عميقة رقم 12

هذه المرة سؤال

حول القدر

وكتابات الأولى

بالنسبة للبعض

وليس للآخرين

أنا غبية قليلاً: إذا أشعلت النار في الشقة، فإن هذا يغامر أن أخسر كاكورو، وأن أعقد وجود الشخص الوحيد البالغ، الذي يبدو لي جديراً بالاحترام رغم أن ذلك غير مناسب بالمرّة، لكن إشعال النيران هو رغم ذلك أمر مشروع تمسك به.. اليوم عقدت لقاءً عاطفياً، ذهبت إلى كاكورو لتناول الشاي، كان هناك بول، السكرتير، دعانا كاكورو، مرجريت وأنا، عندما قابلنا في المعرض أنا وأمى، مرجريت هي أعز صديقاتي، نحن في نفس الفصل منذ عامين ومنذ البداية، كان هذا ضربة حظ، لا أعرف إذا كان لديك أدنى فكرة عما تعني مدرسة في باريس اليوم، في الأحياء الفخمة، لكن بكل وضوح ليس هذا اشتهاً للأحياء بشمال مارسيليا. لعله أكثر مضاعفة لأنه حيث توجد الأموال توجد المخدرات..

الأصدقاء الستون السابقون لأمى يسخرون مني بذكرياتهم المبتهجة، والغليون الشيشائي، في المدرسة (شعبي رغم ذلك. كان أبي وزيراً في الجمهورية)، يمكننا شراء كل شيء: أحماض، كوكا ممتعة، الخ. عندما أفكر في الزمن حين كان المراهقون يرمون يافاتهم في دورات المياه، فهذا أشبه بطعم الخبيزة، زملاء المدرسة يغرقون في المتعة مثل يزدرو وميشوكو. والأكثر أنه في

ساعة مبكرة. هناك في الدور السادس (حسنا، ليس كثيرا كبعض الأشخاص لا أكثر) لقد كانت هناك علاقات جنسية أولا، أعتقد أن الجنس قتل الحب، هو شيء مقدس، لا أناذى بروجلى ولكن إذا عشت إلى ما بعد البلوغ، سيكون لدي قلب أحقق به أعجوبة مقدسة، ثانيا مراهق يلعب دور البالغ يبقى رغم ذلك مجرد مراهق، أن يغرق ذات ليلة، والنوم يسدل عليك الستار في العالم الداخلى، إنه مثل الاعتقاد التنكرى يصنع منك هنديا.. ثالثا: رغم أن له مفهوما غريبا عن الحياة فهو يريد أن يصبح بالغا، وهو يحرك كل ما هناك نحو كارثة في عالم البالغين.. أرى أُمى تطلق النار على المعارضين وعلى المنوعات، إنه أمر يخصنى طيلة العمر ضد هذا النوع من الجوهر.

أخيراً، فإن المراهقين يعتقدون أنهم صاروا بالغين وهم يقلدون البالغين الذين يظنون كبارا ويهربون عبر الحياة. إنه أمر مثير للعواطف، لاحظوا أنى لو كنت كانيل مارتن، زميلته في الفصل، فإننى سوف أسأل عما سأفعله بأيامى ابتداءً من مخدراتى. ومصيرها المكتوب على جبينها طوال خمسة عشر عاما، زوج ثرى، سوف تززع من زوجها الذى سيبحث في نساء أخريات عما يرضيه، زينة باردة، وزوجة تافهة، سيكون دائما غير قادر أن يعطيها أى قدر من الحمية الآدمية والجنسية، سوف تبذل آنذاك كل طاقتها في المنزل ولأولادها، كنوع من الانتقام اللاواعى، سوف تجرب أن تستنسخ، وسوف تفعل، وستلبس بناتما مثل المحظيات المتميزات، وتلقى بهن بين أحضان أول محمول يأتى، وستكلف أبناءها بغزو العالم، مثل أبيهم، الذى يخدع نساءه مع البنات الضائعات.. هل تعتقد أنى شريد؟ عندما أنظر إلى كانيل مارتن، وإلى شعرها الطويل الأشقر المدخن، وإلى عينيها الزرقاوين، وإلى تنورتها القصيرة الأسكتلندية. وثنيات التى شيرت الحديثة وسمرتها الرائعة، أو كذلك أنى سوف أراها بجلاء وأن هذا قد حدث.

أما الآن فكل غلمان الفصل يسيل لعابهم أمامها، وقد أصابهم الوهم بهذا التكريم تجاه المراهقة الصغيرة بمثابة الاستهلاك الأنثوى التي تمثل كل العرفان بالجميل لسحرها الشخصي، أنت تعتقد أنني شريرة، أبدا، هذا يجعلني أعاني أكثر، وأصاب بالألم، إنه مؤلم بالنسبة لها، عندما رأيت مرجريت للمرة الأولى.. مرجريت من أصل أفريقي.. إذا كان اسمها مرجريت، فليس هذا لأنها تسكن "أوتي"، بل لأن هذا اسم زهرة، أمها فرنسية وأبوها من أصل نيجيري من ميناء أورساي، لكنه لا يشبه أبدا الدبلوماسيين الذين نعرفهم، إنه رجل بسيط يبدو أنه يحب ما يفعله. ليس مجنوناً أبداً.

هي فتاة جميلة مثل النهار، مرجريت هي الجمال مجسداً، بشرة، ابتسامة شعر الأحلام، ابتسمت طيلة الوقت عندما غنى لها أشيل جران - مزينة (ديك الفصل)، في اليوم الأول.. "ميلسا ملونة ابييزا تعيش دائما مجردة الملابس"، أجابها لتوه، ومع ابتسامة عريضة: "آلو، ماما بوبو.. كيف تفعل هذا بي وأنا لست جميلة".. هذا عند مرجريت، هناك شيء ما أعجب به. ليس هذا سهم مفهوم الاتجاه، أو موضوعيا. لكنها لديها حس الرحيل غير المسموح. إنها موهبة، أنا، أنا ممثلة للتفكير أما مرجريت، فهي مفارقة أولية، كنت أتمنى أن أكون مثلها. أنا، أجد هذا الرد في خمس دقائق متأخراً للغاية وأقيم الحوار في رأسي..

تقول كولومب، أن مرجريت عندما جاءت إلى المنزل لأول مرة، قالت لها "مرجريت.. هذا جميل. إنه اسم جدتي" أجابتها من هنا وهناك، على الأقل ليس هذا اسم العصفور، ظلت فاعرة الفم، كولومب، إنها شهية! كان عليها أن تجتر طوال ساعات، أمام الإجابات السهلة لمرجريت وهي تحكي لنفسها أن كل شيء يحدث بالصدفة، لكنه أمر مريب.. رغم ذلك: نفس الشيء تكرر، عندما قالت لها جاسنيت روزن، الصديقة الحميمة لأمي، لا يجب أن

يكون قص الشعر سهلاً، شعر مثل شعرك. المرجريت أشبه بلبؤة في السافانا، أجابت: أنا لم أفهم ما قالته السيدة البيضاء.

صار حوارنا المفضل مع مرجريت هو الحب، ما هذا؟ كيف تحب؟ من؟ لماذا؟ أفكارنا تتباعد، بشكل حاد، لدى مرجريت رؤية فكرية عن الحب، لأنني رومانتيكية. إنها ترى في الحب ثمرة اختيار عقلي "من نوع www.mosgouits.com بينما أنا أمثل طرفاً لغريزة لذيدة. نحن على العكس على اتفاق على شيء: الحب. يجب ألا يكون وسيلة، يجب أن يكون هدفاً.

موضوعنا الآخر في الحوار عن الصفاء هو استعراض مادة المصير، كانيل مارتين، الإهمال والخداع من زوجها، زوج ابنته إلى ممول. وشجع ابنه على أن يخون زوجته، وأن ينهي حياته في شاتو في غرفة إيجارها 8 آلاف يورو في الشهر، آشيل جيرار فرنيه: أصبح مصاباً بالبطولة بين العلاج في عشرين عاماً، واستعادة الحقائق البلاستيكية التي يمتلكها أبي، أن يتزوج من شقراء ملونة. يتبنى ابنا فصامياً وفتاة عصابية، أصبحا سكيرين، مات من سرطان الكبد في الخامسة والأربعين، الخ.

وإذا أردت نصيحتي، فإن الأمر أكثر رعباً، ليس سوى أن تلعب هذه اللعبة: أن هذه ليست لعبة.

دائماً ما نتقابل في بهو القاعة، مرجريت، وأمي، وآن.. قال كاكورو: عندي أبناء أخى الصغار الذين أتوا إلى بيتي بعد هذه الظهيرة، هل تريدون اللحاق بنا؟.. قالت أمي: "نعم، نعم بالتأكيد".. قبل أن يكون لدينا الوقت لنقول أوف، نحس بدنو ساعة نزولها إلى الدور الأسفل، إذن لقد ذهبنا، ابنة شقيق كاكورو تدعى يوكو، إنها ابنة أخته إليز التي كانت أيضاً ابنة أختها ماريكو في الخامسة من العمر، إنها أجهل الفتيات على الأرض، رائعة، ومع

هذا، ترقزق، وتغرد، تنظر إلى الناس بنفس الشكل الطيب، منفتحة على شقيق جدها، لقد لعبنا الاستغماية، وعندما عثرت عليها مرجريت في صندرة المطبخ، ضحكت لأنها تبولت في كيلوها، ثم أكلنا كعكة الشيكولاتة وهي تتناقش مع كاكورو. تسمعنا وتنظر إلينا برقة، بعينيها الواسعتين (والشوكولاتة حتى رموشها).

عند النظر إليها، تساءلت: هل سوف تصبح إيفا مثل الأخريات؟ حاولت أن أتخيلها قبل عشرة أعوام، مقززة في حذاء طويل وسيجارة ذات ميسم، وأيضاً بعد عشر سنوات أخرى في معقمة داخلية، في انتظار عودة أولادها وهم يلعبون لعبة عريس وعروسة باليابانية، ولكن هذا لن يدوم. أحسست بسعادة بالغة، إنها المرة الأولى في حياتي التي أقابل فيها شخصاً مصيره لم يتحدد بعد، شخص ما طريقه في الحياة يظل مفتوحاً، شخص ملئ بالطراجة والبساطة، تساءلت: "أوه. نعم، يوكو، أرغب أن أراها تكبر". وأنا أعرف أن هذا ليس سوى وهم مرتبط بشبابها لأنه ليس أحد من أطفال أصدقائها، ومن والدي الذي لم يقبل هذا الشعور قط. قلت أيضاً أن كاكورو يجب أن يكون على هذه الشاكلة، عندما كنت صغيرة، تساءلت إذا كان أحد - في تلك الفترة - قد نظر إليه مثلما أنظر إلى يوكو، بكل متعة وفضول، وأنا أنتظر أن أرى البايون يخرج من شرنقته وهو جاهل، يبوح عن دوافع أجنحته. إذن، طرحت سؤالاً، لماذا، لماذا هؤلاء وليس الآخرون؟ وأيضاً سؤال آخر: وأنا؟ هل مصيرى يتضح في جبهتي، إذا أردت أن أموت، لأنني أصدقه. لكن، إذا كان في عالمنا، فإنه يتحقق إمكانية أن تصبح مما لم تكن عليه.. هل سوف أتمكن من ممارسة حياتي في حديقة أخرى غير حدائق أبوي؟

(8)

بالجحيم

في الساعة السابعة، ميتة أكثر من حية، توجهت نحو الدور الرابع، وأنا أصلى أن أتمكن من تحريك مفاصلي، حتى لا أقابل أحدا. بهو المدخل حاد، والسلم خالي، والسلة أمام شقة السيد أوزو فارغة.

هذا الخواء الصامت الذي يجب أن يغمرني، يملأ قلبي، حدس مظلّم، انتابني رغبة عارمة في الهروب، بدا لي مسكني المظلم فجأة، أشبه بمأوى ناعم ومشع، وانتابني إحساس بالحنين وأنا أفكر في ليون القابع أمام التليفزيون الذي لم يبد لي أبدا ظالما، وبعد كل ذلك، ماذا أفقد؟ أستطيع أن أدور حول نفسي، وأنزل السلم، وأعود إلى مسكني، لا شيء أكثر سهولة، لا شيء يسقط أسفل المعنى، على عكس هذا العشاء الذي يمس اللامعقول.

ضجة في الدور الخامس تسقط فوق رأسي، تقاطع أفكاري.. من الخوف بدأت في التنفس تلقائيا - يا له من امتنان - ودون أن أتفهم الحركة ضغطت الجرس بكل عصبية. ليس هناك وقت لامتلاك القلب الذي يخفق، انفتح الباب. استقبلني السيد أوزو بابتسامة عريضة، قال لي بتبسط غير ملحوظ:

- عمت مساء يا سيدتي.

يا للجحيم. بدت جلبة الدور الخامس محددة، أن شخصا يغلق الباب،

قلت:

- أسعدتم مساء.

وشجعت مضيفي بشكل عملي كي يدخل.

قال السيد أوزو وهو يكمل ابتسامته كثيرا: "دعيني أخلصك"..
مددت له حقيبة يدي، وأنا أدقق النظر في الممر الطويل. كانت نظرتي تحمل
بعض المعاني.

(9) ذهب منطفئ

بالضبط، أمام المدخل، في ممشى الضوء توجد لوحة.
هذا هو حالى: أنا، رينيه، فى السابعة والخمسين، هناك تورم فى قدمي،
مولودة فى وحل، ومكتوب على أن أظل فيه، أتوجه إلى العشاء عند الثرى
اليابانى الذى أنا بوابة عنده، إنه مزيج أوحده تشبعت به على غرار "آنا
كارنينا" أنا رينيه، المفزوعة والمرعوبة حتى أعماق مخي، السبب أننى سوف
يغمى على من عدم اللياقى وسمات تجديفية لحضورى إلى هذا المكان الذى -
رغم أنه بالغ الاتساع بما يكفى - لا يشبه أى عالم أنتمى إليه ويخص البوابات،
أنا رينيه ألقى النظرة الصحيحة المباغتة نحو السيد أوزو فوق هذا الشعاع من
الضوء الذى يهبط فوق لوحة ذات إطار من الخشب الداكن.
لن تنجح كل روعة الفن كى تفسر الإغماء المفاجئ لوعى أهاننى
لحساب إغماء جهالى. لا أعرف أبدا، أنا أحوط السيد أوزو، الذى أدهشته
رؤيتى.

إنها طبيعة ميتة تمثل مائدة مقامة من أجل وجبة خفيفة من المحار والخبز،
فى الصف الأول يوجد طبق من الفضة، ليمون مقشور، وسكين ذات نصل
كالمقص، وفى الصف التالى هناك بطاقتان مغلفتان، ووميض من القواقع، صدفة
مرئية وطبق من القصدير يحتوى على الفلفل الأسود، بين الاثنين زجاجة نائمة،
وخبز صغير من اللباب الأبيض المتزوع، وعلى اليسار زجاجة كبيرة مملوءة
نصفها بسائل شاحب ذهبي، كالأبتوس مثل قبة مقلوبة على قدميها العريضتين
الأسطوانيتين المزدانتين بأقراص من الجليد الزجاجي والتشكيلة الكرومى
تكسب اللون الأصفر لونا أبنوسيا فى العمق ذهب منطفئ، متسخ قليلا.

أنا عاشقة متحمسة للطبيعة الميتة، أحضر من المكتبة كل الأعمال المرسومة العميقة، هناك توجد الأعمال من نفس النوعية، لقد زرت اللوفر، وأورساي، ومتحف الفن الحديث ورأيت تطوراً وصعوداً - معرض شاردان عام 1979 في القصر الصغير، لكن كل أعمال شاردان لا تساوى قطعة صغيرة من الرسم الهولندي في القرن السابع عشر، الطبيعة الميتة لبيتر كلاسر. فيلم كلاسر - هيدا. وفيلم كالف، وأوازييس بيرت هي أحسن أعمال من نوعها. وأعظم الأعمال القصيرة التي أعطف بدون أى تردد، الأربعمائة الطالينة.

لا، فهذا، بدون أى شك، أكثر ثباتاً من بيتر كلاسر. قال السيد أوزو من ورائي: "إنها منسوخة، لقد نسيت تماماً". هذا الرجل يجعلني أرتجف أيضاً. ارتجفت. استعدت رباطة جأشي، تماسكت، وأنا أقول شيئاً على غرار: "إنه جميل، كم أن الفن سهل سهولة جمال اللغة".

تماسكت وسيطرت على نفسي، واستعدت دورى كحارسة عقار منفرجة، وأنا أتابع قائلة: - ماذا يعنى أننا غير قادرين أن نفعل اليوم (بالاجابة على أنها منسوخة)، واستعددت دوماً أن أوجه ضربة القدر نحو شكوك السيد أوزو الذى لم تتضح معاملة الذى سيحاصر للأبد جوهر إهانتى. - هذه الزجاجات غريبة.

استدرت.. استعدت الكلمات: "نسخة من ماذا؟".. وقررت فجأة أن أكون العبارات الأكثر ملائمة التي تتكون في حلقي بدلا من أن أقول: "كم هي جميلة".

(10)

أى تطابق؟

من أين يأتى الإعجاب الذى نحسه أمام بعض الأعمال؟.. إلعجاب يولد عند النظرة الأولى، وإذا اكتشفنا فيما بعد، فى الصبر الموجه الذى يطرحه عند تفسير الأسباب، أن كل هذا الجمال هو ثمرة مهارة لا تنكشف سوى فى فحص مهام ريشة تعرف كيف تحدد الظل والضوء، وإعادة تجميل الأشكال والنصوص - شفافية الزجاج الساحرة، بذور صاخبة للصدف لمحلية واضحة للعيون - فالأشياء لا تبدو، ولا تفسر غموض الانبهار الأول.

إنه لغز يتجدد دائماً: الأعمال الكبرى هى أشكال مرئية تحدث فىنا اليقين فى معادلة أبدية، من الواضح أن بعض الأشكال تكمن وراء المظهر الخارجى الذى يمنحها سماتها. تعبر تاريخ الفن وزخارف العبقرية الفردية، التى تحتوى على الكثير من أضلاع العبقرية العالمية، إلى شئ ما من العمق المطلق، أى تطابق بين لوحة كلاسز ولوحة روفائيل، أو روبرت أو هوبر؟.. فى حساب تنوع الموضوعات والافتراضات، والتقنيات لحساب التفاحة، وحضارة الوجود دائما تبيح ألا يكون سوى زمن واحد وثقافة واحدة، وأيضا حسب وحدة كل النظرات التى لا ترى أبدا سوى دستورها الذى يتيح لها ويعانى من فقر هويته الشخصية. عبقرية الرسامين الكبار التى تحترق قلب الغموض إلى حد النبش، بأشكال متعددة، منها الشكل النهائى الذى تبحث عنه فى المنتج الفنى، أى تطابق بين كلاسز وروفائيل وروبرت هوبر؟ تجده العين دون أن تبحث عن شكل يطلق المشاعر الأبدية، لأنها تبدو لكل واحد كأنها جوهر الجمال نفسه، دون تنوع أو تحفظ، دون أى مجهود. فى الطبيعة الميتة لليمون، متعذر تبسيطه عند عظمة التنفيذ، تتدفق مشاعر المعادلة، والمشاعر التى هى

أيضا ما يجب أن تكون عليه، تسمح بمرور قوة الأشياء وتداخلها، وأن تمسك
نظرتها بقوتها، وبالجبال المغناطيسي الذي يجذبها أو يدفعها، الرباط الأبدى الذي
ينسجها وتفرض من قوة، هذه الموجة السرية غير المفسرة التي تولد حالات من
الضغط، وتوازن الشكل - يجعل تدفق المشاعر المعادلة، وموقع الأشياء،
والأطعمة التي تبلغ هذا العالم في توحده، في أبدية الشكل المعادل.

(11)

وجود بلا ديمومة

فيم يفيد الفن؟ في منحى المختصر، ولكن بشكل براق، وهم الكاميليا، نحن نفتح في الزمن خصلة عاطفية تبدو متعذرة للحيوان العاقل. كيف يولد الفن؟ إنه يتعاقب مع مقدرة الروح في نحت المجال الحسى. ماذا يفعل الفن لنا؟ يضع شكلا ويجعلنا نرى عوطفنا، ونواقضها المخفية خاتم الخلود التى تحمل كل الأعمال، عبر شكل خاص، تعرف كيف تتقمص عالم التأثيرات الإنسانية. خاتم الخلود.. أى حياة غائبة فى هذه الأطعمة، والكؤوس، والسجاجيد، وهذه الزجاجات هل تبالغ فى قلبنا، فيما وراء حدود اللوحة، بلا شك فإن صخب الحياة ومللها، وهذه الجولة المتعبة التى لا تتوقف للمشروع - ولكن فى داخلها، فإن الكمال يبدو معلقا للحظة، ومرتبطا بزمن الاشتهاء الإنسانى: نحن لا نستطيع أن نوقف الرغبات، وهذا يمتعنا ويقتلنا، الرغبة: إنها تحملنا، وتصلبنا، وتقودنا كل يوم إلى ميدان المعركة حيث نفتقد البارحة، ولكن فى الشمس تبدو من جديد أرضا للغزو، ونبنى انفسنا، ونموت غدا.

إمبراطوريات مكتوب عليها أن تصبح ترابا، مثل المعلومات التى نعرفها عن السقوط القادم فهى لا تجلب سوى العطش.. إنها توحى لنا بمنع الإرادة أيضا ما لا نقدر على امتلاكها، وترهينا ذات صباح صغير فوق عشب مكس بالخبث، يسوقنا إلى ميتتنا فى مشروع مكتمل أحيانا وهضوى أحيانا، لكنه شديد لأنها أن نرغب بلا توقف.. نحن نأمل تقريبا فى متع بلا هدف. نحن نحلم بحالة من السعادة لا بداية لها ولا نهاية. والجمال الذى لا نهاية محددة له يصبح بمثابة الرضوخ لطبيعتنا، هذه الحالة هى الفن، ترى هل لأن هذه المائدة

يجب أن أوجهها؟ هذه الأطعمة هل يجب أن أطمع كي أراها؟ من ناحية أخرى، فالبعض ينشد هذه الوجبة، ويأمل في هذه الشفافية المعدنية وتتابع متعة مداعبة اللسان الحريرى المملح للمحار ذى الليمون، يجب أن أرى هذا المشروع المرصع في مائة آخرين، ويندفع إلى ألف أخرى، هذه النية من الأعداد تتذوق وليمة من المحار - هذا المشروع حقيقى، كي تأخذ اللوحة شكلها.

لكن عندما ننظر إلى طبيعة ميتة، عندما نتلذذ دون أن نتابع هذا الجمال الذى تنبثق منها الواجهة المجمدة والساكنة للأشياء، فإننا نتمتع بعالم نمتلكه ونستهيه. نحن نتأمل ما لا نرغبه. إذن فالطبيعة الميتة، تكشف جمالا يتكلم عن رغباتنا، لكنها تنام فوق طبيعة أخرى تلمس متعتنا دون الدخول في أى خطط، لأنها تعطي نفسها واجهود الذى نرغبه، يتقمصه العنصر الخامس للفن. هذا اليقين نحو الأبدية، في مشهد السكون دون حياة إلا حركة، يتقمص زمنا استثنائيا من مشاريع للعواطف المتعلقة بالديمومة ومللها الجشع: متعة دون رغبة، وجود بلا ديمومة، وجمال بلا إرادة. لأن الفن هو العواطف دون رغبة.

يوميات حركة العالم رقم 5 سيتحرك لن يتحرك

اليوم، اصطحبتنى أمى عند محللها النفسى، الدافع أنى أتخفى. هذا هو ما قالته أمى: "عزيزتى.. أنت تعرفين أن هذا يصيبى بالجنون، وأنتك تتخفين هكذا، أعتقد أن هذه فكرة طيبة أن تأتى للتحدث مع الطبيب تيد، خاصة بعد أن قلت فى آخر مرة" الدكتور تيد، ليس طبيباً سوى فى المخ، أثار القلق أمى، ليس طبيباً أو بصاحب حق فى هذا الأمر، لكن هذا يستثير بشكل احتجاجى، عند أمى، رضاء كبيراً جداً كى تقول "دكتور" مما يتفق مع الطموح الذى عليها أن تعتنى به ظاهرياً.. لكن أن يأخذ الزمن "10 سنوات".. إنه يسارى قديم امتهن علم النفس بعد عدة سنوات من الدراسة. ليس فقط فى نانتر، ولقاء سماوى، مع الدافع الفرويدى، ثانياً لا أرى أين تكمن المشكلة "أختى" ليس حقيقة، من ناحية أخرى، أنا انعزل هناك حيث لا يمكن لأحد العثور على.. أريد فقط أن أتمكن من كتابة أفكارى العميقة، ويوميات حركة العالم فى سلام.

فيما قبل، كنت أريد فقط أن أفكر بهدوء داخل رأسى، دون أى قلق تسببه لى أختى التى تتكلم أو تسمع الراديو فى قناتها، أو دون أن تزعج أمنا التى جاءت قممى لى "مامى. هناك عزيزتى، تعالى اعملى له بيزو" إنها جملة من بين الجمل الأقل جاذبية التى أعرفها

عندما بدت عينا أبى غاضبتين، سألتى أخيراً: "لماذا تتخفين؟".. لم أرد. ماذا يجب أن أقول؟ "لأنكم تسببون لى العصبية، ولدىّ عمل أرتبط به لأكتبه قبل أن أموت". حقاً، لا أستطيع، إنها المرة الأخيرة التى أجرب الإبداع، قصة درامية. بدوت تائهة قليلة. قلت وأنا أنظر إلى أبى وبصوت رخيم: "هذا سبب

كل هذه الأصوات فى رأسى"، تبأ.. هذا هو الاستعداد للمعركة العامة! كان لأبى عىنان تكادان أن تخرجاً من رأسه، وأمى وكولومب تبرطمان عندما تذهب للبحث عنهم، يتكلم الجميع إلى فى الوقت نفسه : "عزيزتى، الأمر ليس جسيماً. سوف تخرجك من هناك" "بابا"، "اسمى الدكتور تيد، على التو" "ماما"، "كم من الأصوات تسمعين" "كولومب" الخ، كانت لأمى خططها للأيام الطويلة التى تمرج بين القلق والإثارة: إذا كانت ابنتى حالة اختبار للعلم؟ أى خوف ولكن أى مجد! حسناً، ونحن نراها مجنونة هكذا، قلت "أبداً، أنا أمرح!"

لكن، كان يجب أن أكرر لمرات عديدة قبل أن يسمعونى، وأكثر قبل أن يصدقونى، وأيضاً، لست واثقة أن أراهم وقد اقتنعوا.. باختصار أخذت أمى موعداً معى، ومع الدكتور "ت" وذهبت هذا الصباح.

فى البداية جلسنا فى قاعة الانتظار الأنيقة، وبها مجالات حديثة متنوعة، مجالات "جيو" منذ عشر سنوات حتى العدد الأخير، كانت موضوعة فوق بعضها، ثم وصل الدكتور "ت" مؤكداً صورته إلى مجلة أشارت إليها أمى لكل الحاضرين، ولكن فى الحقيقة هذا يعنى الألوان والرائحة: كستنائى وبرميلى، النشاط الخمسينى، الاعتناء بشكل خاص بالشعر، واللحية الحليقة، والصبغة "اختبار سيشل"، البلوفر، البنطال، الخداء، وسوار الساعة: كل شئ كستنائى، له اللون الكستنائى نفسه، بما يعنى مثل كستناء حقيقى، أو مثل الأوراق الميتة، هناك رائحة التبغ العالمية، التبغ أشقر، عسل وفاكهة مجففة، قلت لنفسى: "حسناً، هيا لعقد اجتماع صغير خريفى فى ركن من النار بين أشخاص ولدوا فى ظروف طيبة، حديث ساحر، ثقافى، وربما حريرى "أحب هذه الصفحة".

دخلت أمى معى، وجلسنا فوق مقعدين أمام مكتبه، الذى جلس خلفه، فى مقعد فوتيه كبير، له بروز بأذنين غريبتين، من طراز مسلسل "رحلة

إلى النجوم" عقد يديه حول بطنه، وهو ينظر إلينا، قال "أنا سعيد لرؤيتكما، أنتما الاثنين".

إذن، الأمر يتحرك بشكل بالغ السوء، هذا يسخن الأذنين، جملة تجارية في أى سوق تجارى لبيع فرش الأسنان ذات الوجهين، إلى امرأة وابنتها الجاثمة خلف المكتب. ليس هذا ما ننتظره من محل نفسى، ومع ذلك فإن غضبى توقف تماماً عندما تنبه وعىّ إلى أننى متعاطفة من أجل يوميات حركة العالم، نظرت جيداً وأنا أركز كل قوى، وأقول: "لا، ليس مستحيلاً، نعم، نعم! إنه ممكن! غير معقول"، كنت مندهشة لحد أننى أكاد أسمع أُمى تحكى كافة مآسيها الصغيرة: "ابنتى تخفى نفسها، ابنتى تخيفنا وهى تحكى لنا أنها تسمع أصواتاً، ابنتى تتكلم إلينا، نحن قلقون على ابنتى"، وهى تردد "ابنتى" مائتى مرة كنت على مسافة خمسة عشر سنتيمتراً، وعندما تكلم إلى فجأة، ارتجفت.

يجب أن أشرح لكم، أعرف أن الدكتور ت، ظل حياً لأنه سار أمامى، كان جالسا، تكلم ولكن بالنسبة للباقي كان يمكن أن يكون أيضاً ميتاً، لم يكن يتحرك، مرة واحدة تكلم فى مقعده الواسع، أكثر من حركة شفاه تململ ولكن بالكثير من الاقتصاد. أما الباقي، فهو صامت، ساكن تماماً، كالعادة، عندما نتكلم لا تتحرك سوى الشفاه، هذا يؤدى إلى القيام بحركة أخرى. عضلات الوجه، حركات بالغة الخفة لليدين والرقبة والكتفين، وعندما لا يتكلم فمن الصعب جداً أن يظل ساكناً. هناك دائماً اشتباكات فى مكان ما، رمشة أهداب، حركة مستمرة للقدم، الخ.

لكن هنا: ولا شئ، عدا، باللو، لا شئ! تمثال حى! إذن! قال لى وهو يجعلنى أرتجف: "إذن يا فتاة، ما قولك فى كل هذا؟"، كان من المؤلم أن أجمع كل أفكارى لأننى كنت مرتجفة تماماً.. لدى سكوته فجأة، بدأت أستعيد وقتى للإجابة، راحت أُمى تتحرك بعصية فوق مقعدها وكأنها مصابة بتزيف رعاف،

لكن الدكتور نظر إلى دون أن يرمش، قلت لنفسى: "يجب أن أجعله يتحرك، يجب أن أجعله يتحرك، هناك شئ ما يجب أن أجعله يتحرك"، ثم قلت له "لن أتكلم إلا في وجود المحامى الخاص بى".. آملة أن يضحكه هذا بشكل كامل، لا حركة واحدة، تنهدت أُمى مثل قديسة، لكن الآخر ظل ساكناً تماماً. "محاميك.. هم م م" قال دون أن يتحرك، حسنا، صار التحدى عاطفياً، هل سيتحرك أم لا؟ قررت أن أرمى عليه كافة أعماق معركتى. قال مضيقاً "هذه ليست محاكمة، أنت تعرفين هم م م"، قلت لنفسى إذا استطعت أن أجعله يتحرك، فإننى سوف أتألم، لا، لا أريد أن أفقد يومياتى!، قال التمثال "حسناً، يا عزيزتى سولانج، سوف أدير حديثاً صغيراً بمفردى مع هذه الفتاة" قامت "عزيزتى سولانج" وهى توجه إليه نظرة مبلة بالدموع وتركت الغرفة، وهى تحدث الكثير من الحركات اللامجدية دون شك كى تكافئه.

قال لى مهاجماً وهو ينجح فى ألا يحرك سوى شفثيه الخارجيتين: "أملك تكن لك الكثير من المحبة"، فكرت لحظة وقررت أن أسلوب الاستفزاز هذا لا يفيد معى. هل تريد أن تضع محللك فى يقين من التسلط؟ هل تستشير مثل مراهق يستفز أبويه، لقد اخترت أن أقول له بكل جدية: "هل تعتقد أن هذا متوافق مع اسم الأب؟ هل تعتقد أن هذا سوف يحركه؟ أبدا. ظل ساكناً، بلا حركة، لكنه بدا لى أنه يرى شيئاً ما فى عينيّ، كأنه يترنح، قررت أن أجد وسيلة لنجاحى.. بدت "هم م..م" لا أعتقد أنك فهمت ما قلت - تنهدت وآه، لكن هناك شيئاً ما لا أفهمه عند لاكان، إنها الطبيعة الصحيحة لتقريظه أو لبنائيته، فغرفاه كى يقول شيئاً، لكننى كنت أسرع منه:

"آه، آه. نعم ثم الرياضيات أيضاً. كل هذه القصة، إنها مشوشة قليلاً، هل فهمت شيئاً، لقد مر وقت طويل عرف فيه العالم أن هذا احتيال، أليس كذلك؟"

هنا، أدركت أنني أحرزت نقطة، فليس لديه الوقت أن يغلق فمه، أخيراً ظل فمه مفتوحاً، ثم تماسك، وفوق وجهه الساكن بدا تعبير دون أن يصدر أى حركة: "هل تريد أن تلعبى معى هذا يا جميلتى؟.. نعم أريد أن ألعب هذا معك. يا أيتها المارون جلاسيه". انتظرت، قال "أنت شابة صغيرة بالغة الذكاء، وأنا أعرف ذلك".. تسعيرة هذه المعلومة التى استقاها من "عزيرتى سولانج" تعنى 60 يورو فى النصف ساعة. لكن ربما شديدة الذكاء، وفى الوقت نفسه شديدة التجرد، أنت تعرفين، بالغة الصفاء، وبالغة التعاسة دون أن يضحك، لقد وجدت هذا فى أعمال بييف جاديه، فشلت فى أن أسأل، وفجأة أردت أن أركب رأسى، كنت أمام رجل تسعيرته قرابة 600 يورو فى الشهر من أسرتى، منذ عقد من الزمن والنتيجة كما نعرف: ثلاث ساعات يومياً تمشيظ نباتات خضراء واستهلاكات عاطفية للفواتير. أحسست بمشاعر شريرة تصعد إلى أنفى، وتعلقت بالمكتب، وقلت بصوت خفيض تماماً: "اسمعنى جيداً".

تجمد السيد فى مكانه، سوف يتقاضى أجراً بسيطاً مقابل ذلك، سوف يتركنى فى سلام، ونحن نتبادل الكلام، لن أدمر تجارتك الصغيرة فى الحزن، وأنت تنشر الأشرار وضجيجهم فوق حسابك فى باريس بأكملها فى الأعمال والسياسة، وصدقنى على الأقل إذا كنت قادراً على رؤية إلى أى حد أنا ذكية، فهذه هى كافة أحبالى.. حسب رأى لا يمكن أن نمشى، أنا لا أصدق، يجب أن تكون فطيرة كى تصد نسيجا يماثل قدراً من الحماسة، لكنه لا يصدق. مرض من القلق فوق وجه الدكتور تيد. أعتقد أنه عاجلى، هذا ساحر: إذا كان هناك شئ لم أفعله من قبل فإن هذا يولد ضوضاء مزيفة، تسرى كى تتجاهل شخصاً، لقد أورثنى جمهورية أبى لفح فيروس للأدبيات، ووجدت هذا عبثاً أكثر من الآخرين، لقد وثقت فى نفسى بكل قوة لكن الطبيب الماهر ليس

لديه سوى أم كي يقيس الأسرة عليها، ويقرر بشكل ظاهري أن التهديد حقيقى، فضلاً أن المعجزة حركة! يحرك الساند، ويفرد ذراعه، ويمد يده نحو المكتبة ويضرب براحته فوق يديه بغضب، حركة حنق لكنها أيضاً تقارب، ثم قام بكل رقة واختفى، ذهب وراء الباب، ونادى على أمى التى أرققتها حيلة حول صحى الحقيقة أن هذا سوف يمنع تدبيره، وأنا جعلناه يفلت من وراء مكتبه.

فى البداية، كنت سعيدة من نفسى، لقد نجحت فى أن أجعله يتحرك، ولكن بالتتابع، وفى مقياس اليوم، أحسست أكثر بالإحباط، لأن ما حدث عندما تحرك أنه قام بالسير بضعة خطوات، خطوات نقية، كان على أن أعرف أن فلكى أقنعه بالحكمة، ولكن ما هو أقبح وأقسى أننى عرفت أنه يكفى أن أؤثر فيهم اليوم حتى تسقط الأقنعة، وعندما يحدث هذا مع العنف، فإن الأمر يؤلمنى، وعندما ضرب براحته فكان هذا يعنى: حسناً، أنت ترين من أنا، من غير المفيد أن نستكمل المهزلة. نتصافح هناك من أجل اتفاقك البائس، وقومى من أريكتى بسرعة، حسناً ولقد آلمنى هذا، نعم، لقد آلمنى، فلدى معرفة كثيرة أن العالم قبيح، ولا أرغب فى رؤيته. نعم، لنترك هذا العالم يتحرك كاشفاً عن قبحه.

(12)

موجة أمل

جميل أن أقترب من علم الظاهراتية متوحدة بدون قط، فقد كرسيت حياتي إلى الأبدية، لكن من يطارد الخلود يحصد الوحدة.

قال وهو يمسك حقيقتي:

- نعم، أعتقد ذلك أيضاً، إنها حالة من التعري، ورغم ذلك، هي أيضاً إيقاعية كبرى.

شقة السيد أوزو، كبيرة جداً وجميلة للغاية. نصوص مانويلا جعلتني يابانية في داخلي، لكن إذا كانت هناك أبواب جرارة وستائر داكنة وسجادة سمكة سوداء مطرزة بالرمادي وأشياء آسيوية المنشأ - مائدة منخفضة مدهونة داكنة أو طولية أسفل النوافذ، وستائر من المامبو مسحوبة بشكل مختلف، تعطى للغرفة أجوائها.

هناك أيضاً أريكة وفوتيهات، وحوامل، ومصابيح، ومكتبة على الطراز الأوروبي، إنها بالغة الأناقة، وهكذا مانويلا وجاسينت روزن قد تركا أثرهما، على العكس، لا شيء أطول من اللازم، ليس هذا أكثر نقاء ولا فارغة مثلما أقدمها، وأنا أضع ما وراء أفلام أوزو في مستوى أكثر تميزاً لكن أكثر هوية بشكل حسي في التجريد الوصفي لهذه الحضارة الغربية.

قال السيد أوزو: "تعالى.. لن نبقي هنا. إنه احتفال كبير. سوف نتعشى في المطبخ، نعم فأنا الذى أقوم بالطهى".

تحققت أنه يرتدى منزراً اخضر فوق بلوفر ذى ياقة دائرية بلون كستنائى. وبنطال من التيل البيج. وفي قدميه خف من الجلد الأسود.

مشيت خلفه حتى المطبخ، مأساة، في مثل هذه الظروف النادرة، أردت أن أطهو كل يوم حتى ولو من أجل ليو. لا شيء يمكنه أن يكون عاديا وأنا أفتح علبة روترون يجب أن تكون لذيذة، قال السيد أوزو بكل بساطة: "أنا فخور بمطبخي".

قلت، بدون أى ظل للسخرية: "هل يمكنك؟" كل شيء أبيض، خشب فاتح، ومسطحات طويلة للعمل، وحاملة أطباق كبيرة مليئة بالأطباق وأكواب من الخزف الأزرق، الأسود، والأبيض، وفي الوسط الفرن، وأطباق ثينة، حوض له ثلاث حنفيات، وبار واسع فوق أحد مقاعد الاستقبال، جلست عليه كى أكون في مواجهة السيد أوزو الذى اهتم بالفرن، وضع أمامى زجاجة ساكى حار صغيرة، واثنين من الكؤوس الخزفية الزرقاء تفرقع. قال لى:

- لا أعرف إذا كنت تعرفين المطبخ اليابانى.
- ليس بشكل جيد.

جذبتنى موجة أمل، لقد طرحنا ملحوظة، حتى الآن، تبادلنا عشرين كلمة، بينما أتماسك في ترقب معرفة أمام السيد أوزو الذى يطبخ مرتدياً مئزراً أخضر، ويعد مائدة هولندية، ساحرة لا يمكن لأحد مقاومتها، وقد سبق ترتيبها في فضل الأشياء المنسية.

في المساء، تبدو مكانة المطبخ الآسيوى:
- السيد اوزو، ساكن جديد، قليل الضجة، دعا البوابة لعشاء اجنبى، تحدثنا عن الوجبة اليابانية، وحبوب فول الصويا.
هل يمكنه أن يجد نفسه في ظروف أفضل من هذه؟
لقد بدأت الكارثة إذن.

(13)

مثانة صغيرة

في البداية، كان يلزمني أن أعترف أن مثانتي صغيرة، كيف أفسر إذن أن أصغر فنجان شاي يرسل بي دون سابق انذار إلى ركن صغير، وأن البراد يجعلني أكرر الشيء بمعياره الصحيح؟ مانويلا هي جمل حقيقي، إنها تتبول ما تشربه بعد ساعات وتعض ناجذيتها دون أن تتحرك من فوق مقاعدها، بينما أنا أقوم بالتحرك ذهاباً وإياباً مرات عديدة إلى دورة المياه، مساحة في مسكني، ستون متراً مربعاً، لذا فإن دورة مياه المقصورات، لم تكن أبداً بعيدة قابضة مكانها منذ وقت طويل للغاية.

آه.. إن مثانتي الصغيرة تنقلب عليّ، وبكامل الوعي لترات من الشاي المستهلك بعد الظهيرة نفسها، يجب أن أستمع إلى ندائها: أن أفرغها بشكل ذاتي.

- كيف تطلب هذا في العالم؟

- أين الساخرون؟ لا تبدو لي بشكل جاد مناسب.

- بل على العكس.

- هل تريد أن ترشدني إلى المكان؟ رغم الحساسية في المجهود المبذول في

عدم تسمية الشيء، مخاطرة قصيرة من اللاوعي، ومع ذلك، ارتباك مضاعف.

- أريد أن أعمل "بي بي".

مثل هذه الكلمات، لا تقال على مائدة حتى ولو لشخص

مجهول. طرحت المشكلة: "أين دورة المياه؟ إنها شديدة البرودة، تحس بطعمه

الإقليمي". كم أحب هذا؟

- أين الكبائن منطقة الكبائن، انها مكان تفوح منه الطفولة والبيئة في أعماق الحديقة، لكن هناك أيضاً مفهوم انه مكان تنبعث منه الروائح الكريهة.
- هناك اذن ضوء عبقرى يجتازنى.
- الرامن هو نوع من الرخويات ومنه يعد حساء صيني الأصل، لكن اليابانيين يأكلون دائماً في الظهيرة، وفي حالة أن تقول ان السيد اوزو تسمع في الجو كمية عاطفية من الزوائد التي وضعها لتوه في المياه الباردة.
- أين بيت الراحة، أرجوك: هو التعليق الوحيد الذى أطلقته.
- هذه، أمنحها لكم، بكل خفة.
- قال السيد أوزو، بتلقائية ملحوظة:
- آه، أنا آسف، لن أشير لك إليها، فالباب خلفك، الثانى على اليمين في الممر.
- هل يبدو كل شئ بسيطاً للغاية.
- يجب أن تصدق أنه "لا".

يوميات حركة العالم رقم 6 كيلوت فان جوخ

اليوم، مع أمي، ذهبنا للشراء من التصفيات في شارع سان أونوريه، هناك رصيف أمام بعض المحلات، وأفكر أنك سوف ترى أى من الحوانيت، في شارع سان أونوريه، حيث نجد الكثير من المعانة في شراء الإيشاربات والقفازات بثمان أقل، ورغم ذلك، فإنها تساوى سعر فان جوخ، إنه شيء مذهل، لكن هؤلاء السيدات يفعلن ذلك بعاطفة حادة، وأيضاً مع بعض الجليطة.

رغم ذلك، فأنا لا أستطيع أبداً أن أشكو من اليوم لأنني يمكن أن أدون حركة مهمة للغاية. هه.. حركة جمالية للغاية، على العكس، فهي بالغة التميز، نعم! ومسلية أيضاً، أو مأساوية، لا أعرف جيداً منذ أن بدأت هذه اليوميات، لم فعلت ذلك بشكل سيء، في الواقع، فإنني جزء في فكرة اكتشاف إيقاع حركة العالم ووصلت فيه إلى نساء متميزات يتصارعن من أجل كيلوت من الدانتيل، لكن حسناً.. أفكر أنني، بأى طريقة، لن أؤمن بها، لكن بدافع العمل، وأيضاً بدافع التسلية قليلاً..

هذه القصة: مع أمي، دخلنا، محل ملابس داخلية رقيقة، إنها شيء جذاب كاسح، وإلا، ماذا؟ هل هناك ملابس داخلية خشنة؟ حسناً في الواقع، هذا يعنى ملابس داخلية مثيرة. لن تجد هناك كيلوتات قديمة من القطن تناسب الجذات، لكن لأن هذا هو شارع سان أونوريه، فبالطبع فإن جنسى أنيق به ملابس داخلية من الدانتيل، صناعة يدوية، وسراويل حريرية، وملابس من الكاشمير المقلم. ليس في الأماكن عمل الذبول، لكن هذا كان أيضاً جيداً، لأنه في الداخل كانت متجاورة، أحسست أنني أعود إلى حبات الكريز المجفف،

فوق الكعك، سرعان ما أصاب أمى غثيان وهى ترفل فى ملابس داخلية ملونة مغلقة "سوداء، وحمراء، أو زرقاء بترولى"، تساءلت أين يمكن أن أختفى وأضع نفسى فى ملجأ الزمن الذى وجدت نفسها "أمل بسيط" بيجامة قطنية، تحركت خلسة خلف مقصورة القياس، لم أكن وحدى، كان هناك رجل، رجل واحد، يبدو عليه البؤس، مثل نبتون عندما افتقد مؤخرة آتينا، هذا؟..

إنها الخطة السيئة "أحبك يا عزيزتى"، البائس كان قد أصيب بحالة من التمرد من كثرة قياس الملابس الداخلية الأنيقة. وجد نفسه فى أرض العدو مع ثلاثين امرأة يمشين على الأقدام ويطلقن عليه نظرة أينما كان المكان، حاول أن يلقي دعاياته كرجل، أما بالنسبة لصديقته الرقيقة، فهى وقد انتابها الغضب، وكأنها مستعدة للقتل من أجل طائر وردى، هوشيا.

ألقيت عليه نظرة تعاطف أجب عليها بنظرة حيوان مطارد، من هناك حيث كانت لى نظرة محصنة، مثلما يحدث فى كل المحلات، خاصة مع أبى وأمى، سال لعابى أمام نوع من مشد الصدر صغير جداً بالدانتيل الأبيض "على الأقل هكذا" لكن له أيضاً زهرة ضخمة موف. أمى فى الخامسة والأربعين، وبعض الوزن الزائد، لكن الزهرة الضخمة الموف لم تخفها. بل على العكس، فإن القناعة وأناقة اللون البيج وحدتا شلل الخوف. باختصار، هذه أمى التى ستجرب بصعوبة مشد صدر صغير جداً مزهر بدا على مقاسها وقد وصل إلى الكيلوت المتعدد الألوان، ثلاثة أدوار أسفل، سحبت لأعلى بكل اهتمام، لكن فجأة دعت أهدابها: إنه عند أطراف الكيلوت، كانت هناك سيدة أخرى سحبت القطعة الداخلية، وهى تدعك أهدابها أيضاً، تبادلنا النظرات، ونظرنا إلى رجل، يقوم بمعاينة الكيلوت، كأنه الأخير من صباح طويل من التصفية، وكأنها تدخل معركة تتراشق فيها بالتبادل مع المرأة الأخرى.

هذه الحركات الطليعية المهمة: كيلوت ثمنه مائة وثلاثين يورو، لا يزيد مقاسه - رغم ذلك - عن بضع سنتيمترات من الدانتيل الدقيقة، يجب أن تبتسم للآخر، ان تمسك الكيلوت جيداً، وأن تسحبه دون أن تمزقه، قلت لكم كل شئ بوضوح: لأنه في عالمنا، فإن قوانين الطبيعة ثابتة، وليس هذا ممكناً، بعد ثوان من الهدنة، امتثلت النساء لنيوتن لكنهن لم يتخلين عن مواقفهن، يجب أن نتابع الحرب بطريقة أخرى، بمعنى الدبلوماسية "واحدة من الأساليب المفضلة لأبي".

هذا يعطى الحركة المهمة التالية: يجب أن تتجاهل أن تشد الكيلوت بقوة، إذن هذه أمى، والسيدة التى لم يصبح الكيلوت فى يدها فجأة، كما لو كانت غير موجودة، وكأن السيدة وأمى تتحدثان بهدوء عن كيلوت موجود دائماً على الحامل، ولم يحاول أحد أن يتواءم مع القوة، أين هى اليد اليمنى! هاربة! مسروقة! اختفت! مكان الدبلوماسية.

مثلاً يعرف كل الناس، فإن الدبلوماسية فشلت دوماً عندما تتوازن القوى، لم نر أبداً قبولاً للأوضاع الدبلوماسية للآخر بشكل قوى، فجأة، بدأت المفاوضات فى التوحد إلى واحد: "آه، لكن أعتقد أننى كنت أكثر سرعة منك، يا سيدتى العزيزة"، شئ كبير، عندما أصل إلى جانب أمى، أكرر "لن أتركه"، وربما من السهل أن نصدق الحاربتين.

بالطبع، لقد ضاعت أمى، عندما وصلت إلى جوارها، تذكرت أنها أم لأسرة محترمة وأنه ليس من المستحيل بالنسبة لها، دون أن تفقد كل كرامتها أمامى، أن تطلق يدها اليسرى فى وجه الأخرى، لقد استعادت استخدام يدها اليمنى، والتقطت الكيلوت وبالأخرى مشد الصدر، كانت لأمى روح قتالية على العشاء، عندما سأل أبى عما حدث، أجابت: أنت غلطان يجب أن تنتبه إلى تبديل العقلية والحضارية.

لكن لنعد إلى الحركة المهمة: امرأتان في كامل الصحة العقلية، وفجأة لا تعرفان كثيراً جزءاً من جسديهما، يعطى هذا بعض الغرابة لرؤيته، كانت هناك علامة عن الواقع، ثقب أسود لا ينفتح في رحلة الزمن، مثلما في رواية خيال علمي حقيقية، حركة سلبية، نوع من الحركة في الدرك الأسفل.. ماذا؟ وتساءلت، إذا كان يمكن أن يتم تجاهل أن اليد اليمنى، ماذا يمكن أن نفعل.. تجاهل الآخر؟ هل يمكن أن تمتلك قلباً سلبياً، وروحاً من الدرك الأسفل؟

(14)

واحد من هذه اللقائف

مرت المرحلة الأولى للعملية بشكل جيد.

وجدت الباب الثاني على اليمين، دون أن أحاول فتح السبعة الآخرين طالما أن مثنائى صغيرة، وأننى أعملها بتخفف لأن عسرى لا يكدرنى، لقد كان فارساً يستجوب السيد أوزو فى مقصوراته، مقصورات لن تكون أكثر من بياض الجليد، وحوائط بطول الأحواض بنظارة نظيفة عليها يجروء المرء أن يستريح، خشية من أن تتسخ، كل هذا البياض كان موقوتاً من النوع الذى لا يبدو مشهده طيباً. براقاً، وخفيفاً، وموكيت أصفر كالشمس الهادئة، من ينقذ المكان من أجواء الكتلة، فهمت هذه الملاحظات باحترام كبير للسيد أوزو، البساطة الحقيقية للأبيض، بدون رخام ولا زخارف - ضعيفة رغم أن هناك دائماً أشياء تبدو مبتدلة - رقة موكيت شمس.

فى دورة المياه، نفس شروط المعادلة، ماذا نبحث عندما نتجه إليها؟ من الوضوح حتى لا نفكر فى كل هذه الظلمات العميقة التى تتجمع، وشئ ما فوق الأرض كى نؤدى واجبنا دون أن نتقرب ونمسح الأقدام، بشكل خاص عندما نتجه إليها فى الليل.

ورق التواليت، هو أيضا طموح إلى الشرعية، هذه العلامات على الأغلفة دليل على ثراء من يمتلكونها، على سبيل المثال، نوع مسراتى أو ماركة جاجوار. ورق التواليت هذا مصنوع من أجل الأثرياء، أناس يهتمون بالعلامات التجارية للسلع التى يقومون بشرائها، كان الورق عند السيد أوزو سميكاً، رخواً، رقيقاً، معطراً بشكل رائع، وعليه أن يأخذ فى الاعتبار هذا الجزء من أجسادنا، أكثر من أى ورق آخر، وهو بشكل خاص شهى. كم ثمن

واحدة من هذه اللفافات؟ أتساءل وأنا أضغط الزر الأوسط لشطافة المياه،
المحاطة بزهرتين من اللوتس، مثنائى الصغيرة بقوة الذاتية ذات قدرة كبيرة،
وزهرة تبدو لى مضبوطة تماماً.
وهكذا دارت الأشياء.

قصف متوحش، أصاب أذن، يحاول أن يهزنى فى مكانى، إنه شئ
مخيف، لم أتوصل إلى تحديد هويته الأصلية، ليس هكذا يتم التحكم فى المياه، لم
أسمع عن ذلك، إنه يأتى من أعلى، ثم يسقط علىّ بأسفل، لى قلب يخفق
بقوة، أنتم تعرفون البدائل الثلاثين.. أمام الخطر، أضرب، أطير أو تجمد.. أنا
أتجمد، إذن علىّ أن أطير لكن فجأة. لم أعرف كيف أفتح مزلاج الباب،
البدائل تضرب فى عقلى؟ ربما، لكن دون أى صفاء، هل دست على الزر
الخطأ، - أى حدس ، أى كبرياء، رينيه، زهرتان لوتس تساهمان فى السخرية
- وأنا معاقبة بالتبعية لأن العدالة الإلهية تضرب أداى، هل أتلذذ كثيراً -
بامتياز - لذة المشهد فى هذا المكان، عندما يجب أن نعتبرها مكاناً عفناً؟ لكن
هل تركت نفسى للرغبة، متمنية هذا الأمر الأساسى . هل أبلغ، دون
غموض، هذا الخطأ القاتل؟ أصابعى المتضخمة من العمل اليدوى هل هى -
تحت تأثير وعى غاضب. تتعامل بشكل سيئ مع الآلية البارعة لزرع اللوتس
مما يولد كارثة فى أعمال السباكة التى تهدد بانتهاء الدور الرابع.

حاولت بكل قوة أن أهرب، لكن يدى غير قادرة على إطاعة أوامرى،
دست الزر النحاسى، الذى يعمل بكفاءة وعليه أن يحررنى، لكن لم يسفر الأمر
عن شئ.

فى هذه اللحظة، اقتنعت تماماً أنى صرت شديدة الجنون، لدرجة بلوغ
السماء، لأن الصوت راح يتتابع بشكل غريزى، وغير متوقع، أشبه بأعمال
موزار. بمعنى "الحن" و"قداس" لموزار..

يشدو صوت جميل سوبرانى.

وصرت بالغة الجنون.

سأل صوت من خلف الباب: "السيدة ميشيل، هل أنت بخير؟"
إنه صوت السيد اوزو، أكثر تنوعاً، وكأن القديس بيير هو الذى عند
الباب. قلت: "أنا.. لا أستطيع فتح الباب".
حاولت بكل السبل أن أبلغ السيد اوزو أن يخلصنى، وقد حدث هذا
فعلاً.

أح الصوت الوقور للقديس بيير: "يمكن أن تديرى الزر فى الاتجاه
الآخر".

اعتبرتها لحظة لاستقاء المعلومات، تتبععت بصعوبة طريقى حتى الهدف
الذى يجب بلوغه، ثم أدت الزر فى الاتجاه الآخر. انفتح الباب، وتوقفت
الموسيقى تماماً، إنه دش لذيد من الصمت أغرق جسدى تماماً.
قلت للسيد اوزو: "لأنه لم يكن هناك سواه.. أنا.. أنا... أخيراً.. هل
تعرف لحن القداس؟"

كان يجب أن أنادى قطى.

قال: آه.. أراهن أن الخوف أصابك. كان يجب أن أخبرك. إنها طريقة
يابانية، أرادت ابنتى أن تستوردها هنا. عندما نشد مضخة المياه، تنبعث
الموسيقى، هى طريقة جميلة.. ألا ترين ذلك؟"
وجدنا أنفسنا فى الممر، أمام دورة المياه، كأننى سوف أسحق من كل
مدافع العبث.

قلت: "آه.. أوه.. لقد بوغت، أو مررت على كل خطاياى فى يوم
الديعومة؟"

قال السيد أوزو برقة: "لست الأولى، أليس كذلك.. إنها حالة من التسامى مع الشفاه المميزة".

أجبت بهدف استعادة جأشى بسرعة، وقد أحبطنى التحول الذى أكسبته لها للحديث الذى دار ونحن نغادر الردهة، ونقف وجهاً لوجه، الذراعان متهزان، غير واثقتين:

- لحن قداس.. فى دورة المياه، إنه خيار.. مدهش.

نظر إلى السيد أوزو، ونظرت إليه.

شئ ما يعتمل فى صدرى، بنبض حاد، مثل سداة تنفتح، وتحلق ببطء، ثم قمت خائفة بعمل اهتزازات خفيفة تمزج ذعى، وكأن الأمر متعمد، بدا لي أن نفس المشاعر تحرك أكتافى وجهاً لوجه. تبادلنا النظرات، المترددة. ثم انطلقت تأوهات من كلينا، ضعيفة، خارجة من فم السيد أوزو. تأكدت أن التهديدات الرقيقة نفسها قد تلبدت، لكنها صعدت فى حنجرتى أطلقنا هذه التهديدات معاً، برقة، ونحن نتبادل النظرات الجامدة. ثم تصاعدت تأوهات السيد أوزو. أما تنهدياتى أنا فقد كانت أشبه بصفارة إنذار. وكل منا يبادل الآخر النظرات، ورثنا تطلقان تنهديات تتطلع أكثر فأكثر فى كل مرة يهدأ. ننظر إلى بعضنا، ثم نعاود التنهد لدرجة أوجعت بطنى بكى السيد أوزو بكل عمق.

كم من الوقت ظللنا هكذا، نضحك بشكل متتابع أمام باب دورة المياه؟ لا أعرف، ولكن هذا الاستمرار كان طويلاً بما يكفى بحيث نضع كافة قوانا أرضاً. ونطلق الجديد من التهديدات المتهالكة، من التعب أكثر من شيع، فاستعدنا جديتنا.

قال السيد أوزو: "لنعد إلى القاعة". علينا أن نبلغ أولاً خط الوصل من الانفاس المستعادة.

(15)

متوحشة متحضرة جداً

أول شيء قاله لى السيد أوزو فى المطبخ: "المرء لا يشعر بالملل معك". استرخيت بكافة الاسترخاء فوق مقعدى. تناولت الشاى الدافئ، الذى أرى أنه أقل لذة مما يكفى. ثم أضاف، وهو يمد لى كوباً أبيض وملئاً بمعجنات صغيرة لا تبدو عليها ألها مقلية ولا مدخنة، لكن شيئاً من الاثنين معاً. وقد وضع إلى جانب المعجنات سوس الصويا: "أنت شخص أكثر من العادى". ثم قال محمداً: "تتناولين من هذا اللحم "جوزاس".

أجبت: "على العكس. أعتقد أننى شخص عادى جداً. أنا بوابة، حياتى مليئة بكوارث عديدة". قال: "بوابة تقرأ تولستوى وتستمتع إلى موزار، لا أعرف ماذا تفعلين فى حياتك اليومية".

غمز لى بعينه، وجلس بدون تكليف على يمينى، ومد لى بعضاً من اللحم المطبوخ "جوزاس" لم أعرف مثيله طيلة حياتى، بمثل هذا الإحساس كيف أقول لك: "للمرة الأولى، أحس بثقة كاملة فى نفسى، رغم أننى لست وحدى، حتى مع مانويلا التى أبوح لها بكل حياتى".

لا توجد مشاعر مجردة من الأمان تولد من اليقين الذى نفهمه، فمعنى أن تخصص حياتك ليس سوى أن توزع روحك، وإذا كنت أحب مانويلا كأخت، فلا أستطيع أن أشاركها ما ينسج القليل من المشاعر، والأحاسيس مع وجودى غير المتوافق مع العالم.

تذوقت عصيان اللحم "جوزاس" المصنوعة من الكزبرة واللحم المعطر، معبرة عن الدهشة والذهول، وأنا ما زلت أتحدث مع السيد أوزو. قلت: - يجب أن أشرح، أنا أذهب إلى المكتبة البلدية وأبذل كل ما بوسعى.

- هل تحبين الرسم الهولندى؟ - ودون أن ينتظر اجابة - : إذا كان لديك الخيار بين الرسم الهولندى، والرسم الايطالى، فأيهما تختارين؟
تحججنا بالزمن الماضى المزيف من الأسلحة حيث استمتعت حماساً بلوحات فيرمير، لكنه سرعان ما انتبه أننا توافقنا بسرعة. سألت: "هل تعتقد أن هذا رجس؟" .. أجابنى وهو يهز المعجنات بقوة من اليسار إلى اليمين فوق الكوب: "أبداً... أبداً عزيزتى صدقى أننى سوف أعمل نسخة من لوحات مايكل أنجلو كى أعرضها فى الممر.

أضاف وهو يضع أمامى سلة من الصفصاف مليئة بالخضروات التى تنبعث منها رائحة الفستق، إنها "الزلامنية"، طبق من المكرونة الباردة مع صلصة بها القليل من السكر.

- يجب أن نقلب المكرونة فى هذه الصلصة أخبرينى أنك تحبينها.

ومد لى بقطعة من الخيوط المنسوجة.

- هناك خسارة مضاعفة انتبهى إلى فستانك.

قلت: "شكراً". وأضفت: "هيا نعرف لماذا؟"

- أنا لا أهتم بهذا.

أطلقت تنهيدة كبيرة، وأنا أقول: "أنت تعرف أننى أعيش وحدى منذ وقت طويل ولا أخرج قط. أخشى أن أكون متوحشة قليلاً".

قال لى مبتسماً: "متوحشة متحضرة جداً!"

مذاق المكرونة المخلوطة بصلصة الخضروات رائع. أعرف كيف أبدو بفستان ماريا. ليس من السهل أن نغوص فى متر من المكرونة الشريطية فى صلصة نصف سائلة، وابتلع دون ارتكاب أى خطأ. لكن السيد أوزو التهم مكرونته بتلذذ محدثاً جلية، أحسست أننى أتخلص من التعقيدات، وأنا أطمح باستخدام أظافرى الطويلة.

قال لى السيد أوزو: "بجدية.. أَلن تجدى هذا رائعاً؟ قطك اسمه ليو، وقطنائى تسميان كيتى وليفين. نحن الاثنان نحب تولستوى، والرسم الهولندى، ونسكن فى نفس العمارة، ما احتمال أن يسفر مثل هذا الشئ؟"
قلت: "عليك ألا تقدم لى هذا الطبق الرائع: الأمر غير مؤلم".

أجاب السيد أوزو، سيدتى العزيزة، هل يعجبك هذا؟
قلت: "حسنًا، هذا يسعدنى جداً، لكن هذا يخيفنى أيضاً، أنت تعرف أننى لا أريد أن يتخيل الناس أننى هنا".
أكملت: "من أنت؟ لماذا؟"

- لا أريد اختلاق القصص، لا أريد شيئاً من بوابة لديها مباهاة.
- مباهاة، لكن أنت تعرف من المباهاة، لقد تذوقتها، الأضواء، والمكانة
قلت: "لكن أنا البوابة، لم أتلق تعليماً، ولست من نفس العالم".
قال السيد أوزو بالطريقة نفسها: "عمل جيد! أنت تعتقدين أن مانويلا تنير الضحك بالنسبة لى". ورفع حاجباً متسائلاً.. قلت محاولة أن أفسر: "أنه الشعور المفضل لأعز صديقتائى".

- ماذا تقول عن أعز صديقاتك بشأن أفكارها؟

- بدمتى، لا أعرف شيئاً.

- أنت تعرفها، مانويلا

- آه، السيدة لوبس، هل هى صديقتك؟

- صديقتى الوحيدة.

- إنها امرأة عظيمة أرستقراطية. أنت ترين أنك لست الوحيدة التى ترتقين إلى المجتمعات الكبرى، أين السوء إذن؟ نحن فى القرن الواحد والعشرين، يالللشيطان؟

- سألت، وقد أصابتنى عصبية:

- ماذا كان والدك يعملان؟

تخيل السيد أوزو بلا شك أن تميز الطبقات قد اختفى منذ إميل زولا.
- كان أبي دبلوماسياً، لم أعرف أمي قط، توفيت عقب ميلادى مباشرة.
- آسفة..

أشار بيده، كى يقول إن هذا حدث منذ وقت طويل. استكملت
فكرتى.

- أنت ابن دبلوماسى، وأنا ابنة فلاحين فقراء، وهو أمر غير مناسب ان
اتناول عشائى عندك هذا المساء.

- ومع ذلك، فأنت تتعشين هنا هذا المساء - وأضاف بابتسامة لطيفة
للغاية: وأنا أتشرف بهذا كثيراً.

وهكذا استمر الحديث، بسعادة وتلقائية. وولجنا فى عوالم ياسوجيرو
أوزو (أحد الأقارب البعيدين) وتولستوى، وليفين وهم ينطلقون فى البرية مع
فلاحيههم. والمنفى وموروثات الثقافات وأشياء أخرى عديدة، ارتبطنا بها بكل
حماس ونحن آخر ما لدينا من مكرونة شريطية وخاصة التشويش المشابهة فى
مسيرتنا الروحية.

إلى أن حانت اللحظة التى قال فيها السيد أوزو:

- كنت أحب أن تسمينى كاكورو. انه أقل تكلفاً. هل يضايقك أن
أناديك رينيه؟

- أبدا. وأنا أفكر فيه حقاً.

من أين جاءتنى هذه السهولة المفاجأة فى التواءم؟ الساكى الذى لاطفنى
بكل لذة. أعاد السؤال المرعب الأكثر عجالة. سأل كاكورو:
- هل تعرفين ماذا يعنى الازوكى؟

قلت وأنا أبتسم متذكرة النهاية: "مرتفعات كيوتو". سأل: "كيف؟"..
قلت وأنا أجاهد في أن أتكلم بشكل غريزي: "مرتفعات كيوتو لها ألوان
الآزوكى".

سأل كاكورو: "هل كان هذا في فيلم، أليس كذلك؟"
- نعم، في نهاية فيلم "الأخوات مونا كاتا".
- رأيت هذا الفيلم منذ فترة طويلة لكننى لا أتذكره جيداً.
- ألا تتذكر الكاميليا فوق عشب المعبد؟
- لا، أبداً، لكنك أعطيتنى الرغبة أن أراه، هل يدفعك هذا أن نراه معا.
ذات يوم؟

- عندى الشريط، ولم أعيد إلى المكتبة
- ربما في نهاية الأسبوع؟.
- هل لديك جهاز عرض؟
قال مبتسماً: "نعم". قلت: "حسناً، اتفقنا، أقترح عليك الآتى، يوم
الأحد، سنشاهد الفيلم فى ساعة الشاى، وسأحضر الحلويات".
أجاب كاكورو: "كل هذا معاً".

ثم استمرت الأمسية أيضاً بينما نظل نتكلم دون أن نحس بالتلاحم ولا
بالوقت، ونحن نرتشف المشروب المغلى لأحد الأعشاب، دون مفاجأة. كان
يلزمنى أن أتواءم مع النظارة ذات لون الجليد. والموكيت الشمسى، اخترت
الزرار الذى عليه زهرة لوتس واحدة - لقد بلغت الرسالة - فقد تحملت
طبق الطعام بكل صفاء الدروب الكبرى. التى اجتمعت فى مرة واحدة رائعة
مع كاكورو أوزو، وان هذا الحماس والبراءة اللامعة تثيران الامتثال، وتلقى
حكمة كبيرة. لست معتادة على مثل هذا الأمر فى حياتى. يبدو لى أنه يتعامل
معى بكل تسامح وفضولية، وأن الآخرين هم بشر يعاملهم بكل تحذ ولطف

(مانويلا) سذاجة ولطف (أوليمب) أو عجرفة وقسوة (بقية العالم)، وقوة الشهية، وصفاء وأريحية وجه برئ، وكوكتيل غير مسبوق، ثم نظرت إلى ساعتي. "إنها الثالثة". انتصبت فوق قدمي. قلت: "يا إلهي: هل ترى الساعة؟" نظر إلى ساعته، ثم رفع عينيه نحوي، قلقاً.

- نسيت أنك ستعملين صباحاً مبكراً، أنا على المعاش، ولا أهتم بهذا، هل انتهى الوقت؟

- حسناً. بالتأكيد، يجب أن أنام قليلاً.

أسكت الواقعة أني، حسب سني المتقدم يجب أن يعرف أن العواجيز ينامون قليلاً. يجب أن أعمل طوال ثمان ساعات كي يمكنني السيطرة على خوف العالم برباطة جأش.

قال لي كاكورو عند باب شقته : "إلى يوم الأحد". قلت: "شكراً جزيلاً، لقد قضيت أمسية رائعة جداً، وأنا معترفة لك بالجميل". قال: "أنا الذي أشكرك، لم أضحك هكذا منذ وقت طويل، ولم أتحدث مثل هذا الحديث الرائع، هل تريدان أن أصحبك إلى مسكنك؟". قلت: "شكراً، لا داعي".

كانت هناك نباتات خضراء موجودة على السلم. قلت:

- حسناً إلى يوم الأحد، ربما نتقابل قبلها.

- قال أيضاً بابتسامة واسعة مشرقة. "شكراً يا رينييه".

وهو يغلق بابه ورائي، وأنا أتوجه إلى مسكني، رأيت ليو يزجر بقوة فوق مقعد التلفزيون، وبدأت أحسبها: لأول مرة في حياتي أحسست أن لي صديقاً.

(16)
إذن

إذن، انه مطر الصيف

(17)

قلب جديد

كم أذكر مطر هذا الصيف. يوماً وراء يوم نعبّر حياتنا مثلما نمر في ممر. أفكر في مكان لائق للقط.. هل رأيت بطانيق، إنها المرة الثالثة التي يسرقونها مني.. إنها تمطر بقوة وكأن النهار ليل.. هناك دائماً ساعة للاجتماع.. هل تريد أن أنزع ريحك الثقيلة.. فنجان شاي مر.. صمت ما بعد الظهر.. ربما نحن مرضى بقوة.. كل هؤلاء الطيبون قد... هؤلاء العباقره الذين يؤدون مهاماً كبرى.. إنها تمطر ثلوجاً.. هذه الزهور هي أسماؤها..

هي قطرة فقيرة تتبول في كل مكان تقريباً.. شمس الخريف، كم هي حزينة.. ينتهي اليوم مبكراً.. لماذا تفوح القمامة في الممر؟.. أنت تعرف أن كل شيء يحل في ميعاده.. لا، أنا لا أعرف بشكل خاص.. إنها أسرة مثل بقية الأسر. يقال أنها آزوكي.. قال ابني إن الصينيين شرسون.. ماذا تسمى القطة؟.. هل يمكن أن نستلم باقات كل أعياد الميلاد. كل أغانيها تثير الملل.. كي نلتهم حبة بندق ضرورية.. هناك الهاتف الذي يرن.. الجو حار رغم أنها الساعة العاشرة.. قطعت عيش الغراب إلى قطع صغيرة، والتهمنا الحساء مع عيش الغراب بالداخل.. تركت سراويلها الصغيرة أسفل السرير.. كان يجب أن أعيد ترتيب السجاد..

ثم... مطر الصيف.. هل تعرف ما هو مطر الصيف؟

في البداية، الجمال النقي يغطي سماء الصيف، هذا الخوف المبجل الذي يغشى القلب، تحس بالسخرية وهي في قمته. بالغ الهشاشة والانتفاخ وعظمة الأشياء، مذهولاً، مفتوناً بسخاء العالم.

ثم، تبلغ ممراً، وفجأة، تدخل غرفة النور، أبعاد أخرى، يتولد اليقين.
ليس الجسد سوى غلاف خارجي، والروح تسكن الغيوم، وقوة الماء هي
قوته، تعلن الأيام السعيدة عن نفسها، في ميلاد جديد.
ثم، مثل الدموع، أحياناً، عندما تكون دائرية، وقوية، ومتوحدة، تاركة
خلفها شاطئاً طويلاً قائماً من الارتجال والمطر، والصيف يوقف الغبار الساكن،
ويترك بالنفس تأثيرات مثل التنفس بلا نهاية.
وهكذا فإن بعض مطر الصيف يتخشب فينا مثل قلب جديد يدق مع
وحدة الآخر.

(18)

نعاس رقيق

بعد ساعتين من النعاس الرقيق. نمت بكل ارتياح.

فكرة عميقة رقم 13

من يؤمن

انه قادر على صنع العسل

دون أن يشارك النحل في مصيره؟

في كل يوم، أقول إن أختي لا يمكنها أن تغوص بعمق في مستنقع من العار، وفي كل يوم أفاجأ أن أراها تفعل ذلك.

بعد الظهر، عقب المدرسة، لم يكن هناك أحد في البيت. تناولت الشوكولاتة بالبندق في المطبخ، وذهبت لآكل في القاعة، استقررت على الأريكة، ورحت أفرقع شوكولاتي وأنا أفكر في فكرتي العميقة التالية، في أعماقي، هناك فكرة عميقة حول الشوكولاته أو حول الطريقة التي تفرقع في فمي، مع سؤال رئيسي، ما هو الجميل في الشوكولاتة؟ الجوهر نفسه أو تقنية الأسنان التي تقرمش؟

وجدت هذا بالغ الأهمية، دون أن نأخذ في الحسبان أن أختي عادت مبكرة على غير العادة وأنها بذلك سرعان ما أفسدت حياتي وهي تتكلم معي بالإيطالية. منذ أن ذهبت إلى فينسيا مع أسرة تيبير (في دانييلي) لم تتكلم كولومب سوى هكذا، منتهى المأساة اليوم السبت تذهب لتعشى عند أصدقائها في جرينبار الذين لديهم عقارات في توسكان، لا تنطقها سوى "توسكان"، كولومب راضية، وأمي أغمى عليها. أعلمكم إياه. آل توسكان ليس لديهم الآن الهكتارات، إنهم غير موجودين سوى لدى بعض الأشخاص مثل كولومب. أمي أو آل جرينبار سيحركان غريزة الامتلاك. تنتمي لهم "توسكان" في ثقافتهم، والفن وكل ما يمكن كتابته بحرف كبير.

بالنسبة لـ "توسكان" إذن، كان لدى الحق في ركوب الحمير، زيت الزيتون، أشعة الغروب، الحياة الجميلة، وأن أعيش على سجيتي، لكن مثل كل يوم، فإنني أنخسف برصانة، أما كولومب فلا يمكنها أن تجرب عليها قصتها المفضلة. إنها تسرع إلى وهي تكتشفني فوق الأريكة، فتدمر ذوقي وفكرتي العميقة القادمة.

فوق أراضي أصدقاء آباء تيبير، هناك خلايا عسل نحل. كافية لإنتاج العسل لعام. آل توسكان يستأجرون عمال نحل، يقومون ببيع العسل تجارياً في "محال فيلباجي"، بالطبع ليس هذا بهدف المال، لكن عسل "محال فيلباجي" يعتبر أحسن عسل في العالم، وهذا يساهم في مكانة الملاك "أصحاب الدخل" لأنهم يقدمونه في المطاعم الكبرى لمشاهير الزبائن الذين يفضلونه في أطباقهم.. كولومب، تيبير، وآل تيبير لديهم الحق في التهام العسل وكأنه نبيذ، وكولومب قمرول نحو العسل بشغف؛ فعسل نبات إكليل البحر يجعلها تحس أنها كبيرة. إلى هذا الحد من النص، فإنني أراها شاردة، وأنا أفكر في "قرقعة الشوكولاتة" وأقول لنفسى أن هذا يمكن أن يوقفها. فأنسحب إلى شأني الخاص.

لا يجب أن آمل في شئ كهذا مع كولومب، فجأة، تستعيد هيتها البغيضة، وتبدأ في الحكى عن عادات النحل، بشكل ظاهر فلديهم الحق في منهج دراسي كامل، ويضرب الأمل الصغير المشوش لكولومب بشكل عام بالمرور فوق شعائر زواج الملكات النحل، والنواقيس المزيفة. والمنظومة العجيبة للخلية لا تترك الكثير من الأثر، وأجد مع ذلك أن هذا أمر عاطفى. بشكل عام، إذا فكرنا أن هذه الحشرات لديها لغة مشتركة ولديها محددات لا يمكن أن يدركها الذكاء إلا كتخصص إنسانى، لكن هذا يشير

اهتمامى وليس لكولومب التى تعد رسالة علمية فى الفلسفة، إنها على العكس، فكل شئ منعش تماماً بالجنس عند الحشرات الصغيرة.

سوف أخص لكم المهمة، ملكة النحل عندما تكون مستعدة، فإنها تبدأ فى طيرانها الزوجى وتستكملها، يطاردها الذكور المزيّفون، وأول من يلحق بها ويكون ثنائياً معها يموت لأنه، بعد الحدث، فإن عضوه الذكري يبقى كامناً فى النحلة، لقد تم بتره، مما قتله . أما الذكر الثانى المزيّف الذى يلحق بالنحلة فعليه كى يكون ثنائياً معها أن يسحب بمخالبه العضو الذكري السابق، وبالتأكيد سوف يحدث له نفس الشئ. وهكذا، حتى الذكر العاشر، أو الخامس عشر، الذى يملأ جيب الملكة المنوى ويسمح لها طوال أربع أو خمس سنوات أن تنتج مائتى ألف من البيض كل عام.

هذا ما حكته لى كولومب وهى تنظر لى بشكل أمومى وهى ترخرف النص الوقح فى نوعه: ليست لديها الحق مرة واحدة، هه، إنها تستهلك خمسة عشر!.. إذا كنت تبيّر فلن أحب أبداً أن تحكى صديقتى هذه القصة إلى كل العالم، فلا يمكن أن نمنعها من ممارسة القليل من علم النفس بضمن بنس، عندما تحكى فتاة هائجة أنه يلامسها خمسة عشر ذكر فإن هذا يسعد الأنثى، وكى تثبرهم فإنها تجذبهم وتقتلهم. بكل قوة هذا يطرح الأسئلة، فإن كولومب مشدوهة. إن هذا هو اطلاق نيران فتاة متحررة منفلة تمارس الجنس - الجنس - مع - الطبيعة. نست كولومب تماماً أنها تحكى لى هذه القصة بهدف أن تصدمنى، وأن للقصة مضمون ليست له قيمة. وبالنسبة لشخص مثلى تفكر أن الرجل حيوان، فإن الجنس ليس أمراً مشيناً لكنه عمل علمى. أجد أن هذا عاطفى، أتذكر لكل العام أن كولومب ترفع يدها ثلاث مرات يومياً، وتصرخ عند أقل وسوسة، تصرخ للشعرة الخفية فى الدوش (الشعرات الخفية أكثر أهمية)، لا أعرف لماذا. لكننى أجد أن هذا سيذهب بسرعة مع جنس الملكات.

لكن بشكل خاص، إنها مثل رجال يضاجعون الطبيعة، ويعتقدون أنهم يهربون منها، إذا حكى كولومب هذه القصة بتلك الطريقة، فلأنها تفكر أن الأمر لا يخصها. وإذا سخرت من هوها المؤثر مع الذكور المزيفة، فلأنها مقتنعة أنها لا تشارك نوعها، ولكن أنا لا أرى شيئاً صادماً، في رحلة طيران الملكة الزوجى، وفي نوع الذكور المزيفة، لأننى أحس بعمق مشابه لكل هذه الحيوانات، حتى وإن كانت لى عادات مختلفة، أن نحيا، ونأكل وننتج، ونؤدى واجبنا الذى من أجله ولدنا ونموت، ليس لهذا أى معنى، حقاً، لكن هكذا تكون الأشياء، عجرفة الرجال فى التفكير أنهم يستطيعون إرغام الطبيعة، والهروب إلى مصيرهم كأشياء صغيرة حيوية.. وهذا العماء الذى لديهم فيما يخص القسوة، أو عنف أساليبهم فى الحياة والحب والإنتاج، وشن الحرب على أقرانهم.

أعتقد أن هناك شيئاً واحداً يجب عمله: أن نؤدى الواجب الذى ولدنا من أجله، وأن نبلغه على أحسن ما نستطيع. وبكل قوانا، دون أن نبحت عن الظهيرة حتى الساعة الثانية، ودون أن نؤمن أنه لا توجد مقدسات فى حياتنا الحيوانية، هكذا فقط سيكون لدينا الإحساس أننا نمارس أشياء ثنائية فى نفس اللحظة، التى يأخذنا فيه الموت. الحرية، الفرار، الإرادة، هذا كل شئ. إنها خرافة. نحن نؤمن أننا قادرون على إنتاج العسل دون مشاركة أقدار النحل، لكن نحن أيضاً لسنا سوى نحلات مسكينة مكرسة لبلوغ واجبها، ثم تموت.

بالوما

(1)

مشحوذ

في الصباح نفسه، في الساعة السابعة، قرع جرس بابي.
احتجت إلى بضع لحظات لبلوغ الفراغ، ساعتان من النوم لا تكفيان لبلوغ
رضاء كبير نحو النوع الإنساني، وللعديد من قرعات الجرس المتتابعة بينما
أرتدى فستانى وحذائى، وأمرر يدي على شعري المزبد بشكل خائق، لا
لغيرتى اللحوحة.

فتحت الباب، ووجدت نفسى أمام كولومب جوس. قالت لى:

- حسناً، لقد استبد بك الكسل.

أصابني ألم اعتقد أننى سمعته. قلت:

- انما السابعة.

نظرت إلى، وقالت:

- نعم، أعرف.

أشرت وأنا أبذل مجهوداً كي أتماسك: "المكان يفتح في الثامنة"

سألت بشكل تصادمي: "كيف هذا، في الثامنة، هل هناك ساعات؟"

- لا، مقر البوابة هو مكان مقدس محمى، لا يعرف المكانة الاجتماعية،

ولا قوانين التسعيرة.

قلت، غير قادرة على النطق بكلمة أخرى: "نعم".

قالت بصوت كسول: "آه حسناً، طالما أننى هنا".

قلت وأنا أغلق الباب في وجهها، ثم اتجه نحو طبق الشوربة:

- عليك أن تعودى فيما بعد.

سمعتها تصرخ من وراء الزجاج:

- إذن، هذا هو منتهى الأمر!...

ثم أدارت جذعها الغاضب وداست بغضب على زر استدعاء المصعد.
كولومب جوس، هي الابنة الكبرى لآل جوس، كولومب جوس شقراء
ترتدى مثل بوهيمية مفلسة.. إذا كان هناك شئ أنى أكره هذا النوع من
الأثرياء الذين يرتدون كالفقراء، نوعا رخوا من طواقى الصوف الرمادية،
وأحذية المتشردين وأقمصة عليها زهور تحت البلوفر المتهالك، ليس هذا فقط
شئ قبيح، لكنه مهين، لا شئ أكثر حقارة من احتقار الأثرياء لرغبة الفقراء.
للأسف، فإن كولومب جوس تقوم بعمل دراسات مهمة، هذا الخريف،
عادت إلى الدراسات العليا، قسم الفلسفة.

أعددت لنفسى الشاى مع البسكويت ومربى الجانرك، وأنا أحاول أن
أسيطر على اهتزازات القصب التى تحرك يدى، بينما يتسرب ألم جانبي أسفل
جمجمتى. أخذت حماماً عصبياً، وارتديت ملابسى، وقدمت إلى ليو فطوره
المعتاد مابقى من لحم الخنزير، خرجت من الفناء، ووضعت النبتون المحلى فى
صناديق القمامة، فى الساعة الثامنة، تركت كل هذه الأعمال وعدت مجدداً
إلى مطبخى، باحثة عن أقل قدر من الهدوء.

فى أسرة جوس، هناك أيضاً الابنة الصغيرة بالوما، وهى بالغة الغموض
والشفافية. أعتقد جيداً أننى لم أرها أبداً رغم أنها تذهب وتعود من المدرسة،
هذا كل شئ بالنسبة لها، فى الساعة الثامنة تماماً، أرسلتها لى كولومب. وكنت
فى دورة المياه.

يا لها من مناورة جبانة.

الطفلة الصغيرة (في أى سن هى، الحادية عشر، الثانية عشر) كانت واقفة فى طريقى. حادة مثل العدالة، تنهدت قليلاً - لم أعبأ بالغضب البرئ الذى يجدوه مكر - وحاولت أن أبتسم بشكل طبيعى.

قلت: "صباح الخير يا بالوما".

انسحبت أسفل الجليليه الوردى، وقالت بصوت مترقب: "صباح

الخير".

نظرت إليها باهتمام، كيف يمكن أن أفقد ذلك؟ بعض الأطفال لديهم موهبة من الصعب أن يفهمها الكبار. لا شئ، فى مسكنهم، لا يتفق مع مقاييس أعمارهم. إنهم بالغو المهابة، جادون للغاية، بالغو الرصانة، وفى الوقت نفسه فإنهم مشعوذون بشكل مرعب. نعم، مشعوذون، فعند النظر إلى بالوما مع الكثير من التنبيه. فإننى أميز بحدة. حكمة باردة لا أستطيع أن أبلغها، قلت لنفسى، إنه من المستحيل بالنسبة لى أن أتخيل أن بداءة كولومب يمكنها أن تكون على أختها توافقاً إنسانياً.

قالت بالوما:

-أختى كولومب أرسلتنى لأخبرك أن شخصاً أرسل لها مظروفاً يهتمها

كثيراً.

قلت، وأنا آخذ فى اعتبارى ألا أغير من نبرة صوتى، مثلما يفعل الكبار عندما يتكلمون إلى الأطفال: "حسنًا". هذه علامة ازدراء كبيرة أن ملابس الفقراء للأغنياء. أكملت بالوما: "إنها تسأل إن كان يمكنك أن توصليها إلى المسكن". قلت: "نعم". قالت بالوما: "حسنًا".. وظلت فى مكانها. إنه أمر مثير جداً.

ظلت تنظر إلى مهدوء، دون أن تتحرك، وذراعها بطول جسمها، فمها مفتوح بشكل خفيف، لديها جديلة قصيرة ونظارات ذوات أيد وردية، وعينين وضاحتين جداً.

سألت، بشكل محدد: "هل يمكن أن أقدم لك شوكلاتة؟"

هزت رأسها، وهي لا تزال جامدة. قلت:

- ادخلي، فقط أتناول الشاي.

وتركت باب المقر مفتوحاً، كي أقطع الشك لكل الاتهامات، سألت:

- أفضل الشاي أيضاً، ألا يضايقك هذا؟

أجبت: "لا، بالتأكيد".

وقد اندهشت قليلاً، وأنا أدون بشكل عقلي أن بعض الهبات بدأت في

التجمع: للإنسانية أشكال جميلة مثل تقديم الشاي.

جلست فوق مقعد، ووازنت قدميها في الفراغ، وهي تنظر إلى بينما

أمد لها الشاي بالياسمين. وضعته أمامها، وجلست أمام فنجاني.

أعلنت لي بعد أن تناولت جرعة صغيرة: "أفعل نفس الشيء كل صباح،

فأختي تعاملني باحتقار، أختي تقضي طيلة الأمسيات مع أصحابها في التدخين

والشراب، والتحدث مثل شباب الضاحية لأنها تفكر أن ذكاءها لا يمكن أن

يكون محل شك.. هذا يمشي جيداً مع نظام SDF.

أكملت بالوما، وهي تنظر إلى دوما بحدة، وقد امتلأت عيناها بصفاء:

"أنا في ضيق لأن هذا لا يتلاءم معي". قلت بأدب: "حسنًا، هذا يمنحنا الفرصة

للتعارف". قالت، وقد بدا بعض التوسل في صوتها: "هل يمكن أن أعود؟"

أجبت بمهدوء: "بالأكيد، أهلاً بك، لكن أخشى أن تتضايقي هنا، لا

يوجد شيء مذهش تفعليه". عقت عليّ: "أريد فقط أن أكون هادئة".

- ألا يمكن أن تكوني في هدوء في حجرتك؟

قالت: "لا، لست هادئة، إذا كان العالم كله يعرف أين أنا، قبل كل شيء، أنا أتخفى. الآن، صارت كل مخابئى مكشوفة".
- أنت تعرفين، كم أنا مترعجة تماماً أيضاً، لا أعرف إذا كان يمكنك أن تفكرى بهدوء.

- يمكن أن أظل هنا (أشارات إلى مقعد الفتويه أمام التليفزيون الذى يعمل بصوت خفيض). يأتى الناس كى يرونك، إنهم لن يزعجونى.
قلت: "أنا موافقة، لكن يجب أن تسألنى أمك إذا كانت موافقة".
مررت مانويلا من الباب المفتوح، وهى التى تبدأ عملها فى الثامنة والنصف، بدت كأنها تود أن تقول لى شيئاً ما عندما اكتشفت بالوما وفنجانها الذى تنبعث منه الأبخرة. قلت لها:
- ادخلى. نحن نتبادل وجبة خفيفة، تحدث.

حركت مانويلا رموشها، مما يعنى بالبرتغالية على الأقل: ماذا تفعل هناك؟ هزرت كنفى تلقائياً، بللت شفيتها، وبالعكس، سألتنى فجأة، وهى غير قادرة على الانتظار: "إذن؟"..
قلت بابتسامة عريضة: "هل ستعودين لتوك؟"..
قالت، وهى ترى ابتسامتى:

- آه.. حسنا جدا، حسنا جدا، نعم، سأعود كالعادة.

ثم وهى تنظر إلى بالوما:

- حسنا، سأعود حالاً.

وبكل أدب:

- إلى اللقاء يا آنسة.

قالت بالوما وهى تفرد ابتسامتها الأولى: "إلى اللقاء".

طفلة مسكينة، ذات ابتسامة صغيرة، غير ملموسة، أخفقت قلبي.

قلت:

- يجب أن تعودى إلى بيتك الآن، سوف تقلق أسرتك.

وقامت واتجهت نحو الباب وهى تجر قدميها. قالت لى:

- من الواضح، أنك بالغة الذكاء.

وكأننى لم أقل شيئاً مصدومة:

- سوف تجددين محبباً جيداً.

(2) هذا الخفى

مظروف وضعه ساعى البريد فى مسكنى، إلى صاحبة العصمة كولومب من عائلة ركائى، مفتوح. مفتوح بشكل مربع، دون أن يكون مربوطاً، بدون باقة ولكنه مزين بشريط أبيض، المظروف يبدو، قديماً كاشفاً عن كومة من الأوراق الخاصة.

لماذا لم يكلفوا أنفسهم وسعاً لإغلاقه؟ هكذا تساءلت وأنا أضع فروضا لشخص واثق فى أمانة ساعى البريد، والبوابات وأفترض الثقة فى محتويات المظروف لا تهمهم.

أقسم بكل الآلهة إنها المرة الأولى، وأتوسم أنهم وضعوا فى حساباتهم الوقائع "ليلة قصيرة. مطر الصيف، بالوما، الخ". سحبت المحتوى برقة خارج المظروف.

كولومب جوس، قواعد الطغيان المطلق، مذكرات الماجستير تحت إشراف السيد البروفيسور ماريان، جامعة باريس: السوربون. هناك بطاقة محددة فى غلاف الأوراق الأولى.

عزيزتى كولومب جوس

هذه تعليقاتى. شكراً لساعى البريد.

سنلتقى فى سلسور غدا

مع المعزة

ج.ماريان

الأمر يتعلق بفلسفة القرون الوسطى، وأيضاً بمدخل إلى الشئ الذى أعلمه، إنها مذكرات حول جويوم أوخام، أقل الفرنشييسكان والفلاسفة

الوضعيين في القرن الرابع عشر، أما بالنسبة لسلسوار، فهي مكتبة لـ "علوم الأديان والفلسفات"، موجودة في الشارع الثامن. يملكها الدومانيكيون، إنها تملك مراجع مهمة من أدب القرون الوسطى، وبها توجد الأعمال الكاملة لجويوم أوخام باللاتينية في خمسة عشر جزءاً. هل أعرفها؟ حسناً لقد ذهبت إلى هناك منذ بضع سنوات. لماذا؟ لا لشيء، لقد اكتشفت في طريق باريس هذه المكتبة التي تبدو مفتوحة للجميع، وجعلتني هاوية جمع كتب. لقد اجتزت ممرات المكتبة، وهي مضاعة، مزدحمة بشكل متتابع بالسادة العواجز والباحثين أو التلاميذ المزعومين. كنت منبهرة دوماً بإنكار الذات التي بها نحن الآدميون قادرون أن نخصص طاقة كبيرة في خدمة لا شيء في لحم الأفكار غير المجدية والعشبية. لقد تناقشت مع شاب متخصص في الفكر اليوناني وسألني كيف أن الكثير من الشباب يمكنهم أن ينهاروا في خدمة العدو.

عندما نفكر جيداً في الواقعة التي تشغل المرء قبل كل شيء.. إنه الجنس، والإرهاب، والتكوين الاجتماعي والتفكير على معنى الصلاة عند أوجستين ديون الذي يبدو تافهاً بشكل واضح. البعض يتوقف بدون شك عند واقعة أن الإنسان ينجذب في إحساسه إلى ما وراء الغريزة، لكنني رددت أن هذا حقيقى فعلاً "اللهم إلا ممارسة الأدب". إنه مزيف للغاية: فالمعنى، هو أيضاً من الغريزة، إنها نفس الغريزة التي تبلغ أعلى درجة من المتعة. والتي تستخدمها بطريقة أكثر علواً لبلوغ نهاياته، لأن هذه المهمة من الحس والجمال ليست دليلاً عن طبيعة شائخة للإنسان الذي يهرب من حيوانيته، ويجد في النور أمل العدل لوجوده، إنها سلاح مشحوذ لخدمة النهاية المادية والمبتذلة، وعندما يأخذ السلاح نفسه كمادة، وأن تكون ظرفاً بسيطاً من هذا التلاحم النوراني المتميز الذي يميزنا عن الحيوانات الأخرى، فإنها تسمح لنا أن نعيش بهذه الوسيلة الواضحة، فإن الذكاء يقدم لنا إمكانية التعقيد دون تعميق، فالفكرة

بدون فائدة، والجمال بدون وظيفة، مثل حشرة، إنها ملابسات بدون ملابسات، لحدة ذهن أدمغتنا وهى انحراف مذهب يستخدم فى الخسارة النقية لشوابت جاهزة.

عندما تتوقف الأمور عن الهذيان، فهذا أيضاً ضرورة لاختراق الحيوانية، فالأب مثلاً، لديه وظيفة نفعية، مثل كافة أشكال الفن، لديه إجابة مهمة لإتمام كافة واجباتنا الحياتية كى تكون مثل كائن بشرى يجرب مصيره بقوة التفكير، والمرونة والمعرفة التى تسرى، والسماوات غير المحتملة لكل الصفاء المجرد، نحن نعرف أننا حيوانات مدانة لسلاح استمرار الحياة، لسنا آلهة يوظفون العالم حسب أفكارهم الخاصة، وهناك شىء ما لهذه الحكمة التى أصبحت متسامحة، شىء ما ينقذنا من الحزن، وحى خالدة للمصائر الحيوية. لذا ابتكرنا الفن، وهو أيضاً، نحن حيوانات نعى أننا فى النهاية لنا نوعنا الحى.

الحقيقة لا نحب شيئاً طالما أن بساطة الواقع هى درس كان يجب على كولومب جوس أن تحصل عليه من قراءتها فى العصور الوسطى، وممارسة بهرجة تتناسب مع خدمة لا شىء طالما أن الفائدة التى تبدو تندرج فى العمل، إنه واحد من هذه الصفات اللا مجدية، وهو أيضاً التمييز المخجل للنبوغ. تصفحت الأوراق وعليها الملاحظات. ما يجب أن تكون طبعة نهائية، وأنا مندهشة ونحن نعتبر أن الآنسة ريشة لا تدافع عن نفسها بشكل سبىء، رغم أنها أصغر سناً، لكن لثموت الطبقة المتوسطة من أجل تمويل عرقهم، وضرائبهم، وأبحاث مغرورة تجعلنى أجامع نفسى. سكرتيرات، محظيات، عمال، وموظفون من الطبقة الدنيا، وسائقو تاكسى، وبوابات تغرفن من حياة يومية من الصباحات الصغيرة حتى نهاية زهرة شباهن الفرنسى، لديها مسكنها، ومرتبها، مسرفة فى كل ثمرة فوق طبائع من الأعمال السخيفة.

هذه الأولوية أكثر حساسية: هل هناك عوالم أو فقط أشياء مفردة، هي المسألة التي فهمت أن جويوم تحدث عن ضرورة الحياة، أجد أن هذا سؤال ساحر: كل شيء، هل هو جوهر خاص، وفي أى حالة، فهو مشابه لشيء آخر وهذا منحى لغوى، يمتلك بالكلمات والمفاهيم بشكل عام ذات مدلول، ويتضمن أشياء كثيرة خاصة. ترى هل هو موجودة حقاً، أشكال عامة تشارك فيها الأشياء الخاصة التي لا تكون وقائع بسيطة للغة؟ عندما تقول مائدة، عندما تنطق بكلمة مائدة، وعندما يكون مفهوم المائدة، يشير دائماً إلى هذه المائدة، ونذهب نحن بشكل واقعي إلى جوهر مائدة عالية في أعماق الواقع لكل الموائد الخاصة الموجودة! "فكر" المائدة هل هي حقيقة لا تنتمي إلى روحنا؟ أى حالة، لماذا تتشابه بعض الأشياء؟ هل هي اللغة التي تجمعها بشكل حرفي، وتجعلها متلائمة للإدراك الإنساني في مراحل عامة، وهل يوجد شكل عالمي يشارك في كافة الأشكال الخاصة؟

بالنسبة لجويوم، فإن الأشياء متفردة، والواقع العالمى مغلوط، لا يوجد سوى الوقائع الخاصة، العمومية، هي من الروح واحدة، والتعقيد من البساطة الذى يفترضه وجود الوقائع العامة، لكن هل نحن واثقون؟ أى موافقة بين لوحة لروفايل وأخرى لفرمير. تساءلت مساء أمس، العين تعرف فيها شكلاً عاماً، وأعتقد من ناحيتي أنه يجب أن يكون الواقع في هذا الشكل. وألا تكون رسالة بسيطة للروح البشرية التي تضيف كى تفهم، حيث لا يمكن أن نصف مالا نستبعده. لا شيء يتجمع وهو ليس غير قابل للجمع، أبداً مائدة لن تكون "منظر خفى"، الروح البشرية لا يمكنها أن تخلق هذا الخفاء. بنفس الطريقة ليست هناك قوة ميلاد للوحدة العميقة التي تنسج طبيعة ميتة هولندية وعذراء الطفلة الايطالية، كل شيء مثل مائدة تشارك في جوهر لا يعطيها شكلها جوهرًا يمنحها شكلها. عمل الفن هو المشاركة في شكل عالمي يمكنه فقط أن

يعطيه هذا الخاتم. بالتأكيد، نحن لا نلاحظ بشكل مباشر، هذه العالمية، إنما واحدة من الأسباب التي تعتمد عليها الفلسفة واعتبار الجواهر مثل الواقع لأننى لا أدرى أبداً أن هذه "المائدة" وأن هذه اللوحة ليستا سوى الجواهر الجميل.

ورغم ذلك، فهى هناك تحت أعيننا، فى كل لوحة للسيد الهولندى هى تقمص، ظهور ساطع لا يمكننا أن نتأمله إلا عبر التفرد، ولكننا نعطي المفاتيح للخلود والرجعية بشكله النهائى. إنه الخلود، هذا الشئ غير المرئى الذى نرنو إليه.

(3) العدل الصليبي

هل تؤمن أن كل هذا يهم مشاعرنا في إطار المجد العقلائي؟
لا لا أبداً.

كولومب جوس، تفتقد الجمال، أما بالنسبة لمصير الموائد فإن أى اعتبارات تتبع ذلك، تحتاج حول انبثاق فكرة لاهوت أوخام حسب معاني علم الدلالة، الأمر الأكثر تمييزاً هو النية التي تحسن المشروع: الأمر يتعلق بعمل أفكار أوخام الفلسفية، ونحن نستغرق السنوات في الاجتهاد الفلسفى في صف الإطارات الثانوية للأفكار اللاهوتية، إنه قدرى، يسرى مثل النيذ الردى وخاصة لكاشف وظيفة الجامعة: إذا أردت أن تمارس وظيفة. خذ نصاً هامشياً وغريباً (مجموع المنطق - لجويوم أوخام) أيضاً اقل انبثاقاً، يهين جسد الأدب، وهو يبحث فيها عن نوايا المؤلف نفسه التي لم يقصدها (لأن كل واحد يعرف أن عدم العلم بمادة المفهوم أقوى من كل الرسوم الواعية)، تنفكك حتى نقطة التشابه مع موضوع رئيسى (إنها القوة المطلقة لله الذى خلق تحليلاً منطقياً فيها الرهانات الفلسفية مجهولة) تحترق وهى تصوغ كل الأيقونات (الإلحاد، الإيمان فى العقل ضد عقل الايمان، حب الحكمة، وتفاهات أخرى غالية للاشتراكية)، تخص سنة من حياته فى هذه اللعبة الصغيرة التى لا تستحق النقود التى توقظك فى الساعة السابعة، وترسل خادماً إلى مدير أبحاثك.

فيم يفيد الذكاء إن لم يتم استخدامه؟ لا أتكلم عن العبودية المزيفة التى يرتكبها كبار رجال الدولة، وتستعرض بكل فخر كدليل على ما يتسمون به من فضيلة، إنه أمر مثير للخجل للواجهة ليست سوى زهو واستحياء. يبدو كل صباح من الفخر المتواضع لخادم كبير. اتيان دوبروجللى أقنعتنى طويلاً

بمكانة طبقتها الاجتماعية. على العكس، فإن الامتيازات التي تعطيها الواجبات الحقيقية تنتمي إلى النوادي الصغيرة المغلقة على الصفوة، يجب خدمة معيار المجد، والسيولة في الوجود المادى الى تحصده كضمن لهذا الانتماء.

هل أنا مثل كولومب جوس، شابة طبيعية، المستقبل مفتوح أمامها؟ يجب أن أنشغل بتطور البشرية، وحلول مشاكل الصليبية كي نجعلها مستمرة الوجود، أو ارتفاع النوع البشرى، ووقع الجمال في العالم والعدل الصليبية وصحيح الفلسفة ليس هذا أمر مقدس. هناك خيار، والحقول واسعة، نحن لا ندخل الفلسفة كأننا في دائرة بحثية حاملين السيف وصوت متفرد للمصير، هل يعلمون عن أفلاطون، وآبيقور، وديكارت، وسبينوزا، وكانط، وهيجل، وأيضاً هوسرك؟ حول علم الجمال، والسياسة، والمعنويات، وعلم المنطق، والميتافيزيقا؟ هل يمكن أن نخلص إلى التعليم أو إلى دستور عامل، والبحث، والثقافة؟ إنه أمر مختلف؟ لأنه في ظاهر المادة، شئ واحد يجلب النوايا، تربية الفكر، والمساهمة في الخدمة العامة، أو الانضمام إلى مدرسة ليس لديها سوى شئ آخر هو إعادة الإنتاج، ووظائف أخرى غير الإنتاج الذاتى من خصوبة الصفوة، حيث صارت الجامعة عملاً خرافياً.

فكرة عميقة رقم 14

اذهب إلى أنجلينا
كما تتعلم
لماذا تحترق السيارة.

اليوم، حدث شئ ما من العاطفة!
ذهبت إلى السيدة ميشيل أطلب منها أن تحضر رسالة كولومب من المنزل
عندما أوصلها ساعى البريد إلى مسكنها، في الحقيقة، فإن ذاكرتها يسيطر
عليها جويوم أوخام، إنه أول كتاب كان على مديرها أن يقرأه وأن يخبرها
بكل تعليقاته. الشئ البالغ الغرابة، أن كولومب واثقة في السيدة ميشيل لأنها
دقت على باب مسكنها في الساعة السابعة كي تحضر لها الباقة، كان على
السيدة ميشيل أن توبخها "المسكن يفتح في الثامنة" لأن كولومب سعدت
غاضبة إلى المنزل وهي تزجر أن البوابة امرأة عجوز خرفة تتصرف على أنها
هانم.. هل لكن حدث هذا مراراً؟

بدا على أُمى أنها تتذكر، نعم، في الواقع، في البلاد المتقدمة والمتحضرة،
يجب عدم إزعاج البوابين مهما كان السبب في أى ساعة من النهار أو الليل
(كان عليها أن تذكر كولومب ألا تنزل) لكن هذا لم يهدئ أختي التي
استمرت غاضبة حتى الصباح لأنها قد خدعت في الوقت أو أنه ليس من حقها
أن تغلق الباب في وجهها، تركتها أُمى تصرخ، لو كانت كولومب ابنتي
(داروين تملكني) لصفعتها صفعتين.

بعد عشرة دقائق، جاءت كولومب إلى غرفتي بابتسامة معسولة تماماً.
إذن، لا أستطيع. لا يمكن أن أحمّلها. أفضل أن تصيح في: "بالوما يا برغوتي.

هل تريدان أن تؤدي إلى خدمة جليلة؟" صرخت، فأجبت عليها "لا"، أطلقت تنهيدة، وهي تأسف أنني لن أكون خادمتها الخاصة، يمكنها أن تجلدي - أحست أنها صارت أفضل - مما أصابني بالعصاب. أضفت "لنعتقد اتفاقاً" تمتت بتنهيدة خفيفة: أنت تعرفين ما أريد.. قلت: "تريدان أن أذهب لمقابلة السيدة ميشيل".. ظل فمها مفتوحاً، تكاد أن تقول إنني ضعيفة. انتهت بأن اعتقدت هذا، قالت كولومب: "حسنًا إذا لن تعرفي صوت الموسيقى في غرفتك طوال شهر"، "أسبوع" اذهبي إلى هذه العجوز الخرفة، وأبلغها أن تحضر لي باقة ماريان التي وصلت إلى مسكنها.. ثم خرجت وهي تضرب الباب. وذهبت لمقابلة السيدة ميشيل ودعيتني على احتساء الشاي.

حتى اللحظة، فإني أجربها، لا أعني أمراً جسيماً. نظرت إلى باستغراب، وكأنها ترائي للمرة الأولى، لم تقل شيئاً عن كولومب، إنها بوابة حقيقية، كان عليها أن تقول أشياء عديدة مثل "نعم، حسناً، لكن أختك: يجب ألا تعتقد أن كل شيء مباح لها" بدلاً من ذلك قدمت لي فنجان شاي، وحدثني بأدب شديد، وكأنني شخص حقيقي.

في مسكنها كان التليفزيون مفتوحاً، لكنها لا تنظر إليه، هناك تحقيق تليفزيوني حول الشباب الذين يشعلون السيارات في الضواحي، وأنا أرى المشاهد تساءلت، ماذا يمكن أن يدفع شاباً لإحراق سيارة؟ ماذا يمكن أن يدور في رأسه؟ وماذا بعد، انتابني هذه الأفكار؟ وأنا؟ لماذا أريد إحراق الشقة؟ يتكلم الصحفيون عن البطالة والفقر، وأنا أتكلم عن الأنانية وزيف أسرتي، ولكن هذا لغو. هناك بطالة دوماً، والفقر، والأسر المنتشرة. ومع هذا، لا يحرقون السيارات ولا الشقق كل صباح. رغم ذلك! قلت لنفسى. أخيراً، كل هذه أسباب مزيفة، لماذا نحرق سيارة؟ لماذا أريد إشعال النيران في الشقة؟

لم أجد إجابة على سؤالى، حتى ذهبت لعمل دراساتى مع خالى هيلين، شقيقة أمى، وابنة خالى صوفى، فى الواقع، فإن الأمر يتعلق بالذهاب لشراء هدية لعيد ميلاد أمى الذى ستحتفل به الأحد القادم. لقد اتفقنا أن نذهب معاً إلى متحف دابر، وفى الحقيقة فإننا ذهبنا إلى محلات الديكور فى المنطقة الثانية، وحتى السابعة، الفكرة أن نجد مظلة مطر، وأن أشتري هديتى أيضاً.

بالنسبة للمظلة، فالأمر غير محتمل. استغرق الأمر ثلاث ساعات، وبالنسبة لى فكل ما رأيته كان تائهاً تماماً. هناك أسطوانات باللغة الغباء، وآلات مع قطع حديدية من الطراز القديم. وكله خارج الأسعار، هذا لن يزعجك من ناحية ما. أنت لديك فكرة أن المظلة يمكنها أن تتكلف مائتى وتسعة وتسعين يورو؟ إنه السعر الذى دفعته هيلين من أجل شئ، من "الجلد العتيق" عيى، التى دعكتها بفرشة من الصلب. نعم مع ندوب كالسروج، وكأنها تسكن فى زريبة. أما أنا فاشتريت لأمى علبة صغيرة لمنوم مطلية باللون الأسود من محل آسيوى، ثلاثون يورو، وجدت أنها غالية جداً، لكن هيلين سألتنى إذا كنت أريد أن أضيف شيئاً ما، لقد رأت أن العلبة ليست شيئاً كبيراً، زوج هيلين هو العالم، وأستطيع أن أضمن لك، إنه عالم الأطباق، هما ليسا شديداً الفقراء.. لكننى مع ذلك أحب هيلين وكلود لأفهما.. حسناً، لا أعرف جيداً ماذا أقول.. انهما سعيدان بحياتهما، أعتقد، أخيراً فهما لا يمثلان شيئاً آخر غير كونهما، لديها صوفيا، ابنة خالى صوفيا ثلاثية الفكر. لست من الطراز الذى ينجذب إلى ثلاثى الفكر، وكأنه من الايقاع الذى فى أسرتى (حتى كولومب تؤمن به) الحوارات المقنعة. انهما يعانيان رغم ارتباطهما الكامل، متعاطفان تماماً، ومؤثران تماماً، بشكل شخصى أجد أن حضور صوفى بالغ الصعوبة: فهي تسيل لعاباً، وتصرخ، وتستاء، وتمارس نزواتها، ولا تفهم شيئاً. لكن هذا لا يعنى أننى لم أوافق على هيلين وكلود، إنهما يقولان

بنفسيهما أنهما يستمران، وأن المسار الحقيقي أن تكون لهما ابنة ثلاثية الفكر لكنهما يحبان ويهتمان بها كثيراً. أجد أن هذا، من سماتهما الداخلية وهذا يجعلني أحبهما أكثر، وعندما أرى أمي وهي تؤدي دور المرأة العصرية في جلدتها، أو جاسينت روزن التي تؤدي دور البرجوازية منذ أن كانت في المهد، هذا يجعل هيلين التي لا تؤدي أى من هذه الأدوار، تشعر كم هي سعيدة بنفسها، فهذا بالغ اللطف.

باختصار، بعد سيرك المظلة، ذهبنا نأكل كعكة ونشرب شوكولاتة عند أنجلينا، قاعة الشاي في شارع ريفولي. ستقول لي أنها ليست بعيدة عن أنظار شباب الضاحية الذين أشعلوا السيارات أبداً! لقد رأيت شيئاً ما في محل أنجلينا سمح لي أن أفهم شيئاً آخر. على مائدة مجاورة، كان هناك زوجان مع طفل رضيع، زوجان من البيض مع طفل آسيوي، طفل صغير اسمه نيو، تلاطفت هيلين معهم وتحادثوا للحظة، كان لطفاً كأباء لطفل مختلف، بالطبع، فهكذا تعارفوا وابتدأوا الحديث. عرفنا أن نيو هو طفل صغير تبنياه منذ خمسة عشر شهراً عندما أتيا به من تايلاند، وأن أبويه ماتا في تسونامي، وأيضاً كل إخوته وأخواته، نظرت حولي، وتساءلت: كيف سيتصرف؟

نحن عند أنجلينا وكل هؤلاء الأشخاص يرتدون ملابس أنيقة، يقرقعون في تلذذ كل الحلويات المقرمشة. ومن ليس هناك من أجل... رغم ما يعنيه المكان، فإن الانتماء لعالم معاً، مع اعتقاداته وشيفراته، ومشاريعه وتاريخه الخ. هو أمر مثالي. وعندما نحتسى الشاي عند أنجلينا فنحن في فرنسا، في عالم ثري، فوضوي، عنصري، ديكراتي، بوليسي، كيف يفعل ذلك، الصغير كيو؟.. لقد قضى الشهور الأولى من حياته في قرية الصيادين بتايلاند، في عالم شرقي تحكمه قيم ومشاعر خاصة، حيث الانتماء النموذجي، هذا يبدو واضحاً في عيد القرية عندما يحتفلون بإله المطر، أو يسبح الأطفال في إيمان خيالي، الخ. هذه

فرنسا، في باريس، عند أنجلينا، هو منغمس، دون تحول، في ثقافة مختلفة، وفي وضع متغير من النقيض إلى النقيض: من آسيا إلى أوروبا، من عالم الفقراء إلى عالم الأثرياء.

فجأة، تساءلت: نيو، سرغب بلا شك أن يحرق السيارات فيما بعد، لأن هذه حركة غضب وإحباط، ربما أن الغضب الأكبر، والإحباط الأكبر ليس بسبب البطالة، وليس بسبب الفقر، ليس هذا هو غياب المستقبل، إنه الشعور بأنه لا يمتلك الثقافة لأنه حائر بين الثقافات، والنماذج المتناقضة. كيف نتحقق إذا لم تكن نعرف أين تكون؟ ماذا يجب أن أتحمّل في الوقت نفسه ثقافة الصيادين التايلانديين وثقافة البرجوازيين الكبار الباريسيين؟ من أبناء المهاجرين وأعضاء أمة عريقة محافظة؟ إذن فهم يشعلون السيارات لأنهم عندما لا تكون لديهم ثقافة، يشعرون كأنهم حيوان متحضر، مثل حيوان متوحش، هو الذي يحرق، ويقتل، ويسلب.

أعرف أن هذا ليس عميقاً جداً، ولكن رغم ذلك فهي فكرة عميقة، وعندما أتساءل: وماذا عني أنا؟ ما هي مشكلتي الثقافية؟ فيما أتعلق بين القناعات؟ وفيما إذا كنت حيواناً متوحشاً؟ إذن، لقد جاءتني لحظة تنوير، تذكرت اعتناء أمي الشديد بالنباتات الخضراء، الأساليب الجنونية لكولومب، ومعاناة أبي لأن أمي في حالة استידاع بمنزلها.

كل هذا حالة من حالات عديدة مثلها. تؤمن أمي أنها يمكن أن تشتم فجأة. مثل أولاد الشوارع، وكولومب يمكنها أن تتخلص من المعاناة وهي تغسل يديها، أما أبي، فهو طفل عاق، ستم معاقبته لأنه ترك أمه، أخيراً فلديهم قناعات خيالية، قناعات بدائية، لكن على عكس صيادي تايلاندي، لا يمكنهم أبداً الاضطلاع بالأمر لأنهم فرنسيون متعلمون - أثرياء - ديكارتيون.

وأنا. ربما أنا أكبر ضحية لهذا التناقض. لأنه، لسبب مجهول، أنا مفرطة الحساسية تجاه كل ما هو نشاز، وكأنني أمتلك أذنا مطلقة من النشاز بالنسبة للتناقضات، هذه التناقضات وغيرها.. فجأة. تعرفت على قناعة أخرى، في واحد من هذه الثقافات المألوفة المتفككة.

ربما أنا نموذج للتناقضات العائلية، وأننى يجب أن أختفى، كى تغدو الأسرة أفضل.

(4) توازن القاعدة

عندما عادت مانويلا في الثانية ظهراً من عند آل بروجلي، كان لدي الوقت لاستعادة الذكريات من مظهرها، الذى يجب أن أسلمه إلى منزل آل جوس.

كانت أمامى فرصة في حديث مهم مع سولانج جوس.

نحن نتذكر أنه، بالنسبة لمخلات الإقامة، فأنا البوابة تهتم بالحاشية المليئة برؤيتهم الروحية، والمادية، لم تمثل سولانج جوس استثناءً، لكنها متزوجة من برلمانى، وهى تبذل مجهوداً، قالت لى وهى تفتح الباب وتأخذ المظروف الذى أمدته لها. "صباح الخير". ورحت أبذل مجهوداً، وهى تكمل: "أنت تعرفين أن بالوما طفلة صغيرة بالغة الحساسية".

تنظر إلي كى تتحدى معرفتى عن الكلمة. بدوت محايدة، وهذه إحدى صفاتى، أن أترك الحرية لكل أنواع المفاهيم.

سولانج جوس امرأة اشتراكية لكنها لا تؤمن بالإنسان.

علقت وكأنها تتكلم إلى شخص سيء الفهم: "أعنى أنها غريبة قليلاً..". قلت وأنا أتسم بالجدية وأكسب الحديث قليلاً من الآدمية: "إنها بالغة اللطف".

قالت سولانج جوس بنبرة تريد بها أن تصل إلى نقطة، لكن يجب أن نبلغها مرحلة وراء أخرى مع ما تعارضه من ثقافة الأخر: "نعم، نعم، إنها طفلة لطيفة، لكنها تقوم أحياناً بأشياء غريبة. إنها مثلاً تحب التخفى، إنها تخنقى لساعات".

قلت: "نعم، أخبرتنى بذلك".

إنها مخاطرة بسيطة، مقارنة باستراتيجية الانتقال. لا تُمارس، وغير مفهومة، لكننى أعتقد أننى أستطيع أن أمسك الخيط دون أن أخون قناعاتى وطبيعتى.

- آه، هل أخبرتك.

فجأة بدأت نبرة سولانج جوس فى التضخم، فكيف تعرف أن البوابة فهمت ما قالته بالوما؟ والسؤال الذى يمثل متابعة الإدراك والتركيز أعطاها مظهر التائهة. أجبت: "نعم، أخبرتنى" .. يجب أن أقول ذلك أن هذه موهبة فى الاختزال.

لاحظت خلف سولانج جوس أن القط كونستانسيون يمر متمهلاً، قالت:

- انتبهى، إنه القط.

خرجت وهى تغلق الباب خلفها، كى تترك القط يخرج، وألا تترك البوابة تدخل.. هو التوازن لدى النساء الاشتراكيات. أجابت: - باختصار بالوما أخبرتنى أنها تود الحضور إلى مسكنك بين وقت وآخر، إنها طفلة حاملة جداً. كى أقول لك كل شئ، كم أحب أن تفعل ذلك فى المنزل.

- آه.

- لكن من وقت لآخر، ألن يزعجك هذا. فسوف أعرف، على الأقل، أين هما، نحن نصاب بالجنون حين نبحث عنها فى كل مكان، كولومب عليها أن تعمل فوق رأسها، أليس هذا سعيداً جداً أننا يجب أن نقضى ساعات فى تحريك السماء والأرض كى تعثر على أختها.

وتركت الباب نصف مفتوح، كى تتحقق أن القط تخلص من اللوح، سألت:

"ألا يضايقك هذا؟؟؟ لعلك منشغلة بشئ آخر". قلت: "لا، إنه لا يزعجني". قالت سولانج جوس التي لفت انتباهها تماماً شئ عاجل بالغ الأهمية: "حسناً، حسناً جداً.. شكراً، شكراً، إنه لطيف منك"، ثم أغلقت الباب.

(5) نقيض

بعد هذا، بلغت مكتبي كبوابة، ولأول مرة في النهار، كان لدى وقت في التفكير ملياً، في مساء البارحة عادت إلى بشكل جاد. هناك عطر رائع من الفستق، لكن أيضاً بدايات معاناة صامتة. أحاول أن أستدير إليها وأنا أنشغل في رى النباتات الخضراء في كل أنحاء العمارة، نفس الطراز من البقع الذي أمسكه على نقيض السلوك البشري.

في الساعة الثانية إلا دقيقة، وصلت مانويلا، تبدو مخلوبة أن نبتون كان يجتبرها في مهارة تقشير الكوسة.

علقت دون أن تنظر وهي تمد لي زهور المادلين في سلة صغيرة، مستديرة من العظام: "إذن؟" .. قلت: "أنا في حاجة مجدداً لخدماتك". اعتدلت وهي تسحب نفسها بقوة ورغم أنها ضغطت على كلمة "حسناً".

لم أر مانويلا قط في مثل هذا الحال من التألق. قلت:

- سوف نتناول الشاي يوم الأحد، وسأحضر الحلويات.

قالت مشرقة: "أووه، حلويات".

وبكل برهانية عاجلة: "يجب أن أفعل لك شيئاً ما".

تعمل مانويلا حتى ظهر السبت. أعلنت بعد برهة قصيرة من التفكير:

- مساء الجمعة، سوف أصنع لك العصيدة.

العصيدة هو نوع من الجاتوالإلزاسي. شهية قليلاً. لكن حلوى مانويلا

هي أيضاً ذات رحيق، كل ما هو إلزاسي له رائحة فواحة، والنواشف تتحول بين يديها إلى أفضل الروائح.

سألت: "هل سيكون لديك الوقت؟"
قالت بملائكية: "بالتأكيد، عندى وقت دوماً كي أصنع لك الحلوى!"
حكيت لها كل شئ: الوصول، والطبيعة الميتة، والساكي، وموزار،
والمأكولات اليابانية، كيتي، والشقيقتان مونا كاتا، والباقي.
- لا تكونى سوى صديقة، لكن اختارى جيداً.
قالت مانويلا فى نهاية حديثي:
- أنت رائعة، كل هؤلاء الأغبياء هنا، وأنت، عندما يصل سيد لأول
مرة يدعوك إلى منزله.
مدت زهور المادلين، وهتفت فجأة وهى تنطق الهاء بقوة:
- ها.. سوف أصنع لك أيضاً كعكة بالويسكى.
- لا، لا تتعنى نفسك يا مانويلا.. الحلوى تكفى.
- يتعبنى؟ لكن يا رينيه، كم قدمت لى من خدمات طوال سنوات.
فكرت برهة: "هى تستعيد ذكرياتى". سألت:
- ماذا فعلت بالوما هناك؟
- حسنا، لقد استراحت قليلا من أسرها.
- آه، المسكينة! يجب أن أقول إنها مع أختها..
تكن مانويلا مشاعرها تجاه كولومب، التى أحرقت لها ثيابها القديمة قبل
أن ترسلها إلى الحقول من أجل ثورة ثقافية من المشاعر. أضافت:
- بالير الصغير يصبح فمه فاغرا عندما يمر. لكنها لا تراه، يجب أن
نضع حقيبة فوق رأسه، إذا كانت كل آنسات العمارة مثل أوليمب
- حقا، أوليمب بالغة اللطف.
- فعلاً، إنها صغيرة لطيفة، نبتون لديها مقاعد الثلاثاء، أنت تعرفين، أنها
تعتنى بها.

- مقعد واحد فقط. انه أمر بالغ الحقارة.
- أعرف، لقد تركناه مع سجادة جديدة في البهو، سوف نوزعه غداً،
لن يصيبه هذا بالأذى، إنه نحيف للغاية.
- أنت تعرفين، يمكنك أن تحتفظي بالفستان، لقد قالت ابنة السيدة إلى
ماريا: احتفظي به، وماريا قالت لى إنها أخبرتك أنها أعطتك الفستان.
- نعم. حقا، انه لطيف للغاية، لكننى لا أستطيع أن أقبله.
قالت مانويلا غاضبة:
- لا تعاودى. على كل، فأنت التى ستدفعين النسبة. أنظرى إلى، يقال
انه برتقالى. البرتقالى هو ربما شكل حقيقى من لون العرودة.
- حسنا، اشكرى ماريا نيابة عنى، أنا ممتنة حقاً.
- حسناً هذا. نعم، نعم، سأشكرها نيابة عنك.
وقرع الباب قرعتين قصيرتين.
قلت: "حسنا، اشكرى ماريا نيابة عنى. أنا بالغة الامتنان".
قالت: "هذا أفضل، نعم، نعم، سوف أبلغها شكرك".
ودق الباب دقتين صغيرتين.

(6)
القاعدة الحاملة

إنه كاكورو أوزو.. قال وهو على باب المسكن: "صباح الخير"، ثم أضاف وهو يرى مانويلا: "صباح الخير يا سيدة لوبيز". ردت وهي تمزق: "صباح الخير يا سيد أوزو". بدت مانويلا شديدة الحمية.

قلت: "نحن نتناول الشاي، هل تنضم إلينا؟"

قال كاكورو وهو يمسك مقعداً: "بكل سرور". ثم قال وهو يرى ليو: "القط الجميل! لم أره جيداً في المرة السابقة، يقال إنه سيامي".

قالت مانويلا وهي تعرق المرقاش وتمد السلة نحو كاكورو: "هل لك أن تأخذ زهرة المادلين، إنها "العريضة". العريضة هي بشكل متنوع نوع من أنواع البرتقال.

قال كاكورو وهو يتناول زهرة: "شكراً..". قال وهو فاغر الفم: مشهورة!

تأرجحت مانويلا فوق مقعدها، وهي تتشاءب، قال كاكورو بعد أن حصل على أربع زهورات مادلين:

- جئت أسألك رأيك. أنا في خلاف مع صديق لي حول مسألة الارتقاء الأوروبي في مسألة الثقافة. (مكملاً وهو يرمش لي بعينه الضيقتين).

فغرت مانويلا فاها التي بدت أكثر أناقة مع بالير الصغير:

- إنه متعلق بالجلترا. أما أنا فمتعلقة تماماً بفرنسا، لقد قلت إنني أعرف شخصاً يمكنه مشاركتنا! هل تريد أن تكون وسيطاً؟

قلت وأنا أجلس: "أنا قاض وحكم، لا أستطيع التصويت".

قالت إلى كاكورو الذى وقف ثم أمسك يدها: "صباح الخير يا سيدى العزيز". قال بمودة: "صباح الخير يا سيدتى العزيزة، صباح الخير بالوما، أنا سعيد لرؤيتكما" .. "حسنا، عزيزتى، إنها بين أيد طيبة يمكنك أن تتركها لنا". كيف تتصرف بكل ثقة وفى درس واحد؟ قالت سولانج جوس: "آه.. حسنا، نعم". وسارت ببطء للخلف، وبقليل من الصوت أغلقت الباب خلفها سألتها: "هل تريدن فنجان شاي؟" أجابت: "بكل سرور". أميرة حقيقية فى إطار وضعها.

مددت لها فنجانا صغيرا من الشاي المنقوع فى الياسمين، بينما مدت لها مانويلا زهرة مادلين مقطوفة.

سألها كاكورو، وهو فى قمة تألقه الثقافى: "ماذا ابتكر الإنجليز بالنسبة لك؟" .. فكرت بالوما بتركيز، وقالت: "القبعة كشعار نفسى؟" قال كاكورو: "رائع".

علقت أننى ربما صرت أقل إقداما بالنسبة لبالوما، وأننى يجب أن أعرق لها هذه الفكرة، لأن القدر طرق فجأة ثلاث مرات، طالما أن المتأمرين قد خلعوا أمتعتهم فى يوم واحد، يقرع الباب من جديد على مربع المسكن، محددًا فكرتى.

كان بول نيجوين هو أول شخص لم تبد عليه الدهشة. قال لى: "صباح الخير يا سيدة ميشيل" .. ثم "صباح الخير على الجميع".

قال كاكورو: "آه، بول، نحن نتحدث عن إنجلترا بشكل محدد". ابتسم بول برقة، وقال: "حسنا، ابتك تذكركما لتوها، لقد تذكرت فى خمس دقائق". ومد له المحمول.

قال كاكورو: "اتفقنا، حسنا، سيداتى، يجب أن آخذ أجازة". ورمش بعينه أمامنا. قلنا بصوت واحد، وكأننا كورس: "إلى اللقاء".

قالت مانويلا: "حسنا، هذا شيء جميل تفعله". سألت: "أيهم؟"
كل زهور المادلين أكلناها، وضحكنا. نظرت إلىّ وهي تفكر، وتبتسم:
"نعم، إنه لأمر غريب" رينيه التي كانت لها دوماً صديقة، لم تعد مقبولة.
لكن رينيه، التي لها صديقتان، تحس بالتوجس ولديها خوف غير محدد.
عندما ذهبت مانويلا، ارتمت بالوما بكل سجيتها في مقعد القط، أمام
التليفزيون، وهي تنظر لى بعينيهما الواسعتين الجادتين وسألتني:
- هل تعتقدان أن للحياة معنى؟

ليلة زرقاء

عند الكواء. كان يجب أن أواجه غضب نساء الضواحي.
نقاط مشاهمة فوق فستان، هل لاحظن وهن يسلمني تذكرة زرقاء لازوردية.
هذا الصباح، إنه صباح آخر جربت فيه هذه الأوراق المستطيلة، أكثر
شباباً، وأقل يقظة، لقد تبعثرت عشوائياً بين الصفوف المتواصلة من القوالب
الدائرية، ثم مدت لي فستاناً بنفسجي اللون والبلستيك الشفاف المربوط.
قلت وأنا أمسك الفستان بعد تردد واضح: "شكراً".
يجب أن نضيف إلى فصل من سلبياتي، واغتصابي لفستان لا أملكه في
مقابل فستان يخص امرأة ميتة أحس أنني سرقته. انتابني الألم، على الباقي، في
أطراف تردددي، هل يجب أن يتولد ندم بمفهوم امتلاك ما أستطيع أن أعلن
الاعتذار عنه، أخشى أن يمر الوقت فأضعف أمام التحدي خلال ساعة، مرت
مانويلا بمسكني حاملة سلتها.
قالت: "أردت أن أحضر مبكرة، لكن مدام دو برجولي، كانت ترقبني
من ركن".

بالنسبة لمانويلا فإن "ركن" العين هو نوع من التفسير.
وهي تضع سلتها. هناك لفافة مدهشة من ورق الحرير الأزرق، كعكة
رائعة على الطريقة الإلزامية، تعيدني إلى الإلهام، كعكات صغيرة من
الويسكي، بالغة الرقة تكاد أن تتحطم، وقرميد اللوز فوق سطحها مكسرات،
سال لعابي بشكل غريزي.

قلت: "شكراً مانويلاً. لكننا لسنا سوى اثنتين كما تعرفين".
قالت: "ليس عليك سوى أن تبدأي بسرعة".
قلت لها: "شكراً حقاً، لقد استهلكت وقتك".

قالت وهي تتمتم: "ناراتاتا.. صنعتها مزدوجة، وفرناندو يشكرك".

يوميات حركة العالم رقم 7

أحب هذه الساعة المكسورة من أجلك
أتساءل إذا لم أكن في حالة من التحول إلى جمال تأملى. مع توجهات ضخمة.
وفي الوقت نفسه، شك رونسان.

شرحت لنفسى أن "حركة العالم" هو متخصص قليلا، لأن هذه ليست
حركة الجسم في الصباح، وأنا أتناول فطورى، رأيت حركة "الحركة" مزايا
الحركة، بالأمس (كنا يوم الاثنين) السيدة جريمون، الخادمة، أحضرت باقة
ورد إلى أمى، السيدة جريمون قضت يوم الأحد عند أختها التى لديها حديقة
صغيرة مفتوحة فى سورسن. واحد من الاخيرة، احضرت باقة من بواكير
الزهور لهذا الفصل. وروداً صفراء، من طراز خاص شاحب كزهرة الربيع،
بالنسبة للسيدة جريمون، هذه الباقة من الزهور تسمى "الحج".

لا شئ سوى هذه أعجبتنى، إنها أكثر تربية وأكثر شاعرية وأقل تصنعاً
مما نسميه باقة ورد "مدام فيجارو" أو "غراميات بروس" وأنا لا أبتدع شيئاً.
حسناً، اتحدث عن واقعة أن السيدة جريمون قدمت وروداً إلى أمى. كلتا
الاثنتين لهما نفس العلاقات لكل البرجوازيات المتقدمات مع الخدم، رغم أن
أمى على قناعة أنها حالة من طراز: عجوز طيبة علاقات قديمة أبوية، وردية
(قدموا القهوة، ودفعوا مباشرة، دون أى توبيخ. أعطى لى الملابس القديمة
والأثاث المتكسر، واهتموا بالأطفال وبالعودة، وصار الحق فى باقات ورد
وأغطية كستنائية وبيج) أو كروشييه، لكن هذه الوردات شئ آخر.

كنت أتناول فطورى، نظرت إلى الباقة فوق مائدة المطبخ. أعتقد أننى لم
أفكر فى شئ، ربما لهذا، من ناحية أخرى، رأيت الحركة، لعلنى اهتمت فى شئ
آخر. إذا كان المطبخ ليس صامتاً، وإذا لم أكن وحدى فى المطبخ، فإننى لم أنتبه

بشكل كاف، كنت وحدى، هادئة، وخالية البال، واستطعت أن أستقبلها بنفسي.

هناك قليل من الضجيج، شئ من التأوه ينطلق في الجو "ش..ش..هـ.. هـ" رقيق جدا جدا إنه زر الورد مع طرف الساق المكسور الذى سقط فوق لوح. فى هذه اللحظة لمسه، مما أصدر صوتا "بوف" إنها "بوف" من نوع الفوق صوتى فقط بالنسبة للأذان الفئران أو بالنسبة للأذان البشرية عندما يكون كل شئ صامتا جدا جدا جدا.

أبقيت المعلقة فى الهواء ممسوكة تماما. كان الأمر رائعا. لكن ماذا يعنى رائع كهذا؟.. إنه بالضبط برعم من الورد فى قمة ساق نبات مكسورة سقطت لتوها. إذن؟ فهمت وأنا أقترّب، وأنا أنظر إلى برعم الورد الساكن الذى انتهى بالسقوط، أنها حيلة يجب أن نراها مع الزمن، مع الاتساع، أو بالتأكيد، هو جميل دوماً، برعم من الورد الذى سقط بشكل مهيب، نحن نرسم بشكل ساذج! لكن هذا ليس ما يفسر الحركة، الحركة، هذا الشئ الذى نعتقده كونياً.

أنا، وأنا أنظر سقوط هذه الساق والبرعم، انتابنى فى كسور من الثانية جوهر الجمال، نعم، أنا وأنا صغيرة فى الثانية عشر والنصف لدى هذه الفرصة غير المرئية لأنه فى هذا الصباح تجمعت كافة الفرص: روح خاوية لمزل هانى، ورود جميلة، سقوط برعم. ولهذا فكرت فى رونسار، دون أن أفهم كثيرا فى البداية: لأن هذا هو سؤال عن الزمن والورود، لأن ما هو الجمال، إنه ما يشد انتباهك ويمر. إنه الوجه الزائل للأشياء فى لحظة، حيث نرى فيه فى نفس اللحظة زمن الجمال والموت.

أى، أى، قلت لنفسي، هل يعنى أنه يجب أن يعيش المرء حياته بهذا الأسلوب؟ أبداً توازن بين الجمال والموت، والحركة، واختفائها؟ ربما هذا: هو مطاردة اللحظات التى تموت.

جرعات صغيرة سعيدة

نحن في يوم الأحد...

في الساعة الثالثة ظهراً، اتخذت طريقى نحو الدور الرابع، بالفستان البرقوقى الذى بدا واسعاً جداً على نزيلة يوم السلة، وقد انقبض قلبى مثل قطيطة تدور في دائرة صغيرة عصراً، وهى بين الدورين الثالث والرابع، وجدت نفسى وجهاً لوجه أمام ساين بالير، فمنذ عدة أيام وهى تقابلنى، تنظر بازدياء ملحوظ، وبكل احتقار إلى شعرى المتطايير. لوحظ أننى تخلت عن إخفاء مظهرى الجديد، لكن هذا الإلحاح جعلنى عكرة المزاج، بعض المتحررة التى أكونها، لقاؤنا الدومنيكانى لم يخرق القاعدة. قلت وأنا أكمل مسيرتى: "صباح الخير".

أجابتنى بإشارة رأس متحجر دون أن تضعنى في الاعتبار، ثم اكتشفت وجودى، توقفت على مسافة خطوة، رياح الألم دفعتنى بقلق، أدركت أننى من الجنوب مهددة بفستانى المسروق معبرة عن مجاعة عانيت منها.

قالت لى بلهجة متعمدة: "هل يمكنك، طالما أنك صعدت أن تروى زهورى في الزهريات؟" .. هل كان يجب أن أذكرها أننا يوم الأحد.. سألت فجأة: "هل هذه كعكات؟"

أحمل فوق لوحة أعمال مانويلا مظروفاً من الحرير، وأؤكد أن فستانى يخفى نوعاً من توقف الإدانة لسيدة، ليست هذه ادعاءات خفية، لكن المرأة الشرهة افترضت هذا.

قلت: "نعم، إنما طلبية خاصة".

قالت وقد استعادت جأشها: "حسناً، استغلى الفرصة لرى الزهور".

بلغت السلال في الدور الرابع بكل صعوبة لأنني أحمل أيضاً الكاسيت،
لكن كاكورو فتح لي بحمية وتماسك لحظة، وهو يتأملني قال: "أو لا. لا. أنت
لا تمزحين".

وتقدمت نحو الأمام، قلت وأنا أتبعه إلى المطبخ: "سوف نشكر
مانويلا".

سأل وهو يفرغ السلة الحربية الزرقاء: "هل هذا حقاً، إنها جوهرة
حقيقية؟"

تصورت فجأة أن هناك موسيقى.

إنها ليست قوية وهذا ينطلق من مكبر الصوت غير المرئي الذي يث
الصوت في كل أنحاء المطبخ. "الأغنية الإنجليزية".

يذاها، تحبان الروح، الظلام يغلفني

دعني أبقى في صدرها

عندما أكون موجوداً فوق الأرض

ربما خلقى الخطأ

لا متاعب في الصدر

تذكريني، تذكريني

لكن أوه! انس بدانتى

إنه موت ديدون، إذا أردت رأيي: فإن أجمل شيء هو الغناء للعالم، ليس
هذا جميل فقط. إنه القمة، يجلب السعادة غير المتوقعة الكثيفة للأصوات،
وكأننا مرتبطون بقوة غير مرئية، ومثلما يتميز كل شيء فيها، فإنها تتهاوى
واحدة تلو الأخرى، عند حدود الأصوات البشرية، تقريبا في أرض النوح
الحيوانية، لكن مع جمال صراخات الحيوانات لا تنتظر قط، جمالا مولودا من

تدمير النبرات الصوتية، وانتهاك العناية التي تضعها اللغة الشفاهية التي من خلالها يمكن تمييز الأصوات.

تتحطم الخطى، وتتهاوى الأصوات. الفن، هو الحياة، ولكن بإيقاع آخر.

قال كاكورو وهو يضع الفناجين، والبراد، والسكر، والفوط الصغيرة فوق لوح أسود: "هيا بنا" .. تبعته في الممر، وتبعاً لحركاته، فتح الباب الثالث على اليسار. قلت أسأل كاكورو أوزو: "هل لديك جهاز تسجيل؟"؛ أجاب بابتسامة غامضة: "نعم".

الباب الثالث على اليسار يفتح على قاعة سينما صغيرة. هناك شاشة كبيرة بيضاء، كم من الأجهزة اللامعة الغامضة، وثلاثة صفوف من خمسة مقاعد سينمائية حقيقية مغطاة بالقטיפفة الزرقاء الداكنة، ومائدة طويلة منخفضة أمام الأولى، والجدران، وسقف ممتد طويل من الحرير الداكن قال كاكورو: "في الواقع، هذه هي مهنتي؟"

- مهنتك؟

- طوال أكثر من ثلاثين عاما استوردت مكبرات الصوت إلى أوروبا، إنها تجارة مربحة، لكنها بشكل خاص رائعة، اللعبة بالنسبة لي أن كل جزء من الآلة الالكترونية شاعري.

أخذت مكانى في مقعد مجهز بشكل رائع، وبدأ العرض. كيف أصف هذه اللحظة من الفرحة الكبرى؟ نحن نشاهد فيلم "الأخوات موناكاتا" على شاشة عملاقة، وسط ظلام خفيف رقيق، ظهر قوى على ملف رخو جيداً ونحن نلتهم من الكعكة، ونشرب الشاي الحراق بجرات صغيرة سعيدة، من وقت لآخر، يوقف كاكورو الفيلم، ونعلن معا، فوق عصا مكسورة، تنمو زهور الكاميليا فوق عشب المعبد ومصير البشر عندما تبدو الحياة مناسبة

جداً. دهشتان. تمتت بتهية صديقى الكونفوشيوسى وعدت إلى القاعة،
وكأنه سرير ساخن ناعم.
إنه خارج الزمن وداخله.. عندما أحسست بهذا الشعور اللذيذ لأول
مرة، الذى لم يصنع سوى الشخصين.. الثقة التى جربناها عندما كنا وحدنا،
هذا اليقين بنفسينا فى صفاء الوحدة، لا شئ بالمقارنة بمبدأ دعه يذهب دعه
يأتى، دعه يتكلم. من يعيش مع الآخر، فى صحبة متكاملة.. عندما أحس
لأول مرة بهذا الراحة السعيدة فى حضور رجل.
اليوم، إنها المرة الأولى.

(9)

صناى

فى التاسعة مساءً، بعد أن تحدثنا ونحن نشرب الشاى، استعددت لأخذ قسطاً من الراحة، مررنا بقاعة كبرى، ولاحظت فوق مائدة منخفضة إلى جوار أريكة، صورة فى إطار لامرأة بالغة الجمال.

قال كاكورو برقة وهو يرانى أتأملها: "كانت زوجتى، ماتت منذ عشر سنوات، بسرطان، كان اسمها صناى.

قلت: "آسفة، كانت.. جميلة، للغاية". قال: "نعم، بالغة الجمال".
ودام صمت قصير.

أضاف: "لدى ابنة تعيش فى هونج كونج وعندها طفلان".. قلت: "لعلك تفتقدتها". "أذهب إلى هناك دائماً، أحبهم كثيراً، حفيدى يسمى جاك" أبوه إنجليزى" وهو فى سن السابعة، قال لى فى الهاتف هذا الصباح أنه اصطاد بالأمس أولى سمكاته، إنه حادث الأسبوع، هل تفكرين؟"

دام صمت جديد.

قال كاكورو وهو يتقدم فى الممر: "أنت أيضاً أرملة كما أعتقد".
قلت: "نعم، أنا أرملة منذ أكثر من خمسة عشر عاماً".
وأحسست برقبتي تشتد.

- زوجى كان اسمه لوسيان، السرطان، أيضاً..

ونحن أمام الباب. تبادلنا النظرات فى حزن.

قال كاكورو: "عمت مساءً يا رينيه".

ثم استعدنا البهجة.

- كان يوماً رائعاً.

شخص ماكر ضخم فى أعماقى ينطلق بسرعة هائلة.

(10)

سحب داكنة

قلت وأنا أرفع الفستان الخوخى، وأنا أكتشف برودة الويسكى فوق عروة: "أنت مسكينة غبية. ماذا تعتقدين فى نفسك؟ لست سوى بوابة فقيرة، لا توجد صداقة ممكنة بين الطبقات، ثم ماذا تعتقدين، أيتها الفقيرة المجنونة؟" لم أكف عن التكرار، وأنا أباشر غسيل المساء، وأنا أسحب نفسى بين أغطيتى بعد معركة قصيرة مع ليو: الذى لم يتمنى أن يلتزم البقاء فوق الأرض: "من تعتقدين نفسك أيتها المجنونة؟".

الوجه الجميل لـ "صناى أوزو" أمام عيني المغلقتين، أحسست أنى شئ عجوز يتذكر الواقع فجأة دون بهجة. ثم نمت وقلبي قلق.

صباح اليوم التالى، أحسست بمشاعر غريبة من روح الغابة. إذن، لقد مر الأسبوع كالسحر، أثار كاكورو بعض المظاهر المندفعة وهو يحرك مواهبى التحكيمية (بارد أم شراب؟ الأطلنطى أم أوسطى؟)، وجدت المتعة نفسها فى صحبته المنعشة، رغم السحب الداكنة التى تتقاطع بصمت فوق قلبى، سخرت مانويلا وهى تكتشف الفستان الخوخى اللون وقد اندست بالوما فى مقعد فوتيه ليو. أعلنت لأمرها: "فيما بعد، سأصبح بوابة". وهى تنظر إلى بعين جديدة صباحية حذرة عندما جاءت تقطع ذريتها فى مسكنى.

أجبت بابتسامة محبة: "حفظك الله، ستكونين أميرة". ثم استعرضت تى شيرت ورديا كالشيكولاتة، يتوافق مع نظارتها الجديدة وقد اكتسبت مظهر فتاة، ستكون بوابة - مع أو ضد - كل - خاصة - أُمى.

سألت بالوما: "كيف تحسين هذا؟"

هناك مشكلة تقنية فى صالة الحمام الخاصة بى، تفوح منها رائحة كأفها غرفة قدرة، ناديت السباك منذ عشرة أيام لكن يبدو أنه ليس متحمساً لفكرة الحضور.

قلت وأنا أحاول قليلاً أن أحور السؤال: "الميزاب".

قلت وكأنى لم أرد عليها أبداً: "فشل الليبرالية".

قلت: "لا، إنما مشكلة تقنية خاصة بالصرف الصحى".

قلت بالوما: "حسنًا ما قلت لك. لماذا لم يأت السباك إذن؟"

"لأن أمامه زبائن آخرون".

علقت: "أبداً. لأنه ليس مضطراً، ولماذا ليس مضطراً؟"

قلت: "لأن ليس لديه ما يكفى من المنافسين".

قلت بالوما بمنظر المنتصر: "هذا هو، ليس هناك ما يكفى من المنافسين.

الكثير من الزبائن والقليل من السباكين بصفة شخصية، أفضل الكوخوز".

هنا قوطع هذا الحوار العاطفى، وطرق على البلاط. إنه كاكورو مع

طفل صغير لا أعرف من يكون بالضبط. دخل ورأى بالوما. قال: "أوه..

صباح الخير يا صغيرتى، حسنًا، رينيه، سأمر فيما بعد". قلت: "كما تريد، هل

أنت بخير؟" أجاب: "نعم، نعم". ثم اتخذ حلاً مفاجئاً، كأنه ألقى بنفسه فى الماء:

- هل تريدان أن تتناولى العشاء معى مساء الغد؟

قلت وأنا أحس بمشاعر عظيمة من الجنون تملكنى: "أوه.. إنه.."

وكان النوايا تبث فى هذه الأيام الاخيرة متخذة شكلاً مجسداً.

تابع مثل كلب يتمنى عظمتة: "أريد أن أصحبك إلى مطعم أحبه

كثيراً".

قلت والجنون يملكنى أكثر فأكثر: "مطعم؟"

وعلى يسارى أصدرت بالوما ضجيجاً من الابتسام.
قال كاكورو الذى يبدو أنه ممتن قليلاً: "اسمعى.. أرجوك بكل إخلاص،
إنه.. عيد ميلادى غداً، وسأكون سعيداً أن أمتلكك كفارس".
قلت دون أن أقدر على المزيد: "أوه!"
- سوف أذهب عند ابنتى يوم الاثنين. سأحتفل هناك مع الأسرة،
بالتأكيد.. لكن غداً مساءً.. إذا أردت.
ثم توقف فجأة، ناظراً إلى بكل أمل. هل هى العاطفة؟
بدا لى أن بالوما تحاول أن تفعل شيئاً.
واستمر صمت قصير.
قلت: "اسمع، حقاً، أنا آسفة، لا أفكر أن هذه فكرة جيدة".
سأل كاكورو وقد بدا مصدوماً: "لكن لماذا؟"
قلت وأنا أطلق ما يشبه الأنين الذى يترك أثراً:
- هذا شئ لطيف جداً، وكم أعترف بجميلك، لكننى لا أحب هذا، أنا
واثقة أن لديك أصدقاء يمكنك أن تحتفل معهم بهذه المناسبة.
نظر كاكورو إلى مقاطعاً ثم انتهى قائلاً:
- أنا.. أنا.. نعم، بالتأكيد لكن.. أخيراً.. فعلاً، كنت أحب كثيراً.. لا
أرى أبداً.. (دعك رموشه، وقال): أخيراً.. أنا لا أفهم.
قلت: "هذا أفضل، صدقنى".
وأنا أصحبه برقة نحو الباب وأنا أمشى قبالة، أضفت:
- ستكون لدينا فرص أخرى للثروة أنا واثقة فى ذلك.
وانسحب مثل جندى مشاه فقد أرضه. قال:
- خسارة، على أن أصنع فرحتى، على كل حال..
قلت وأنا أقفل الباب برقة بعد رحيله: "إلى اللقاء".

(11)

المطر

قلت لنفسى: مضى ما هو أسوأ، دون أن آخذ فى الحسبان مصير الفستان
الوردى الشيكولاتى: استدرت ووجدت نفسى فى مواجهة بالوما. لم تبد
سعيدة على كل حال. سألتنى بنبرة ذكرتنى بالسيدة بيلو آخر معلماتى:

- هل يمكن أن أعرف ماذا تلعبين؟

قلت بضعف وواع لسخف سلوكى:

- أنا لا ألعب قط.

- هل لديك شئ تفعلينه بشكل خاص مساء الغد؟

- لا، لكن ليس لهذا السبب.

- هل يمكن أن أعرف لماذا؟ بالضبط!

- أعتقد أنها ليست فرصة جيدة.

ألحت مثل مفتش شرطة:

- ولماذا إذن؟

- لماذا..؟

- هل أعرف الباقي؟

هكذا، دون صراخ حذر، بدأ المطر فى السقوط.

(12)

أخوات

كل هذا المطر..

في بلادى، تمطر في الشتاء، ليست لدى ذكريات عن أيام الشمس: فقط المطر والوحل والبرد، الليل الذى يلصق ملابسنا ومشاعرنا، وأيضاً ركن من النيران. فلا تبدو أنها حقيقة أبداً. كم من مرة فكرت منذ هذه الأمسية الممطرة، كم من ذكريات أكثر من أربعين عاماً، حدث حادث اليوم، تحت هذا المطر الضارى.

كل هذا المطر.

بالنسبة لأختى، أعطيناها اسماً لعمار ولد ميتاً، كان يحمل آنذاك اسم خالة ميتة، هى ليزيت، كانت حلوة، رغم طفولتى، فإننى عرفت آنذاك. أكثر مما لم تعرف عيني أى نقطة محددة لشكل الجمال، ولكن فقط فى استشعار الأشياء فأنا لا أتكلم أبداً فى متزلى. هذا لم يقله أحد قط. لكن الجيران من حولى يثرثرون، وعندما كانت أختى تمشى تبدأ التعليقات حول جمالها، بالغة الجمال، شديدة الفقر.

يا له من مصير طيب شرير.. هكذا ينظرون إليها وهى فى طريقها إلى المدرسة، أما أنا، فقبيحة، وعاجزة الجسد والروح، أمسك بيد أختى، ليزيت وهى تمشى، عالية الرأس، ليست خفيفة العقل، إنما فى دربها حيث تحمل المصائر المشئومة عليها الواحد تلو الآخر.

فى سن السادسة عشر، رحلت إلى المدينة لتعتنى بأطفال الأثرياء، لم نعد نراها طوال العام، تعود لقضاء عيد الميلاد فى دارنا، ومعها هدايا غريبة (خبز متبل، وشرائط ملونة حية، وكيس من اللافندر)، إنما منجم من الذهب، هل

يمكن أن تجد وجها أكثر وردية وأكثر حركة، وأكثر إشراقاً من وجهها؟.. للمرة الأولى حكى لنا شخص حكاية، فتصلبت شفاهنا، شراهة المنبه الغامض التي تستفز في داخلنا الكلمات الخارجة من فم هذه الفتاة الريفية التي أصبحت بالغة القوة، ومن يتكلم عن عالم مجهول، مزركش يلمع حيث تقود النساء السيارات، وتعدن في المساء إلى المنازل المليئة بالأجهزة التي تؤدي أعمالها مكان الرجال، وتنقل الأخبار للعالم عندما تتحرك قبضاته.

عندما أعاد التفكير في هذا كله، فإنني أقيس الإملاق الذي نعيش فيه. نحن نسكن على مسافة خمسين كيلو مترا من المدينة، هناك مبنى ضخيم من اثني عشر طابق. لكننا نسكن مثل زمن القصور الحصينة، دون ارتياح ولا أمل طالما أننا نفقد تقاربنا الموثوق فيجعلنا دائماً موكلين. أما اليوم، فتوجد في هذه القرى المتخلفة حفنة من العواجز الذين فاقهم القطار، ولا يعرفن شيئاً عن الحياة العصرية، لكن الأمر يتعلق بأسرة بأكملها، شابة وحيوية.. وعندما كانت ليزيت تصف شوارع المدينة المضاء في عيد الميلاد، كانت تكشف أنه يوجد عالم غير قابل للشك.

ثم تسافر ليزيت مرة أخرى، وطوال بضعة أيام، مثل الميكانيكي المتحجر، نستكمل الحديث قليلاً، وطوال بضعة أمسيات، يبدأ أبي على المائدة التعليق على قصص ابنته، إنه قاسي، وغريب.. ثم يسود الصمت، وتلاحم الصراخات من جديد فوقنا مثل طاعون لدى البؤساء.

عندما أفكر في هذا.. كل هذا الشتاء، كل هؤلاء الموتى.. وأن ليزيت تحمل اسم اثنين من الموتى، اسم جدتي الكبرى التي ماتت قبل ميلادها بقليل، أما إخوتي فيحملون اسم أبناء الخال الذين ماتوا في الحرب، الذين يحملون أيضاً أسماء أبناء الخالة الذين ماتوا في الوباء والذين لم تعرفهم، وهكذا عشنا

دون كلمة في هذا العالم من الموتى، حيث عادت إليه ليزيت ذات مساء من شهر نوفمبر.

أتذكر كل هذا المطر.. صخب الماء المندفع فوق السقف، الدروب المنسابة، بحر من الوحل على أبواب المزرعة، السماء السوداء، الريح، والمشاعر البشعة بليل بلا نهاية.

من يقوم بوزننا طالما أننا نزن حياتنا: دون وعى، أو تمرد.. كنا ملتصقتين الواحدة بالأخرى على مقربة من المدفأة، عندما قامت أُمى فجأة، وفقدت التوازن، نظرنا إليها وهي تتجه نحو الباب، يدفعها انسلاخ مظلم، وفتحت المصراع.

كل هذا المطر، أوه. كل هذا المطر.. في إطار الباب، ساكنة، الشعر ملتصق بالوجه، الفستان مبلل، والخذاء التهمه الوحل، النظرة ثابتة، إنها ليزيت واقفة، كيف عرفت أُمى؟ كيف أن المرأة، التي لم تتعامل قط معاملة سيئة لم تفهم قط أنها تحبنا، بلا حركة أو كلمة، كيف أن هذه المرأة القوية التي دفعت أطفالها إلى العالم بنفس الطريقة التي عادت فيها إلى الأرض، وتتغذى بالفراخ، كيف أن هذه المرأة الأمية المخبولة إلى حد أنها لم تنادنا قط بالأسماء التي أعطتنا إياها، وأشك أنها تتذكرنا دائماً، عرفت أن ابنتها نصف الميتة، التي لا تتحرك ولا تتكلم، تقف عند الباب تحت الأمطار المتلاطمة، دون أن تفكر في الطرق، تنتظر أن يفتح لها أحد الباب، وأن يدخلها إلى الدفء!

هل هذا هو الحب الأمومي، هذه المشاعر في القلب، والدمار، هذه الشعلة من الحنو التي تستمر رغم أن الإنسان تضاعل في الحياة كحيوان؟ هذا ما قالته لى لوسيان: "الأم التي تحب أطفالها تحس بهم دائماً عندما يكونون في خطر"، بالنسبة لى، فأنا لم يغمض لى جفن على هذا التفسير. لم يكن لدى أى احساس نحو هذه الأم التي لم تكن واحدة منهن. المأساة هي المنجل: إنه يقطع

فينا كل ما نعرفه عن قابلية الإتجار بالآخر وتتركنا فارغين، منقسمى المشاعر كى نستطيع أن ندوم وسط سواد الحاضر، لكننى لم يكن لدىّ قناعات جميلة، نقاط حب أمومة فى هذه المشاعر لأمى، إنها ترجمة لحركات يقين البؤس، إنها نوع من الوعى المجذور فى أعماق القلوب، والذى يؤكد أن فقراء صعاليك مثلنا. يحدث لهم ذات مساء ممطر أن فتاة أصابها العار ستعود ميتة إلى منزلها. عاشت ليزيت أيضاً زمناً كى تضع طفلها، وجاء الوليد الجديد مثلما ننتظر منه: لقد مات خلال ساعات فى هذه المأساة التى بدت بالنسبة لأبويّ مسيرة طبيعية للأشياء من هذا النوع التى لا تهنأ أبداً - وليس أقل - وأنها أضاعت نحساً.

صارت لدىّ قناعتان: يعيش الأقوياء ويموت الضعفاء، فى المتعة والمعاناة المناسبة، فى أماكنهم المتسلسلة، كل شئ مثل ليزيت، كانت جميلة وفقيرة. كانت ذكية، وابنة بلد مكرسة إلى هذا النوع من العقاب وكم آملت أن آخذ أكثر من روحى فى احتقار طبقى، أخيراً ولأننى لا أستطيع أن أوقف من أكون ولا من كنت. فقد بدا لى أن طريقي هو طريق الأسرار. كان يجب أن أسكت عما كنت عليه، وعلى العالم الآخر الذى لم أختلط به. من صامتة، صرت إذن كيئناً خفياً.

فجأة، تأكدت أننى جالسة فى مطبخى، فى باريس، فى هذا العالم الآخر الذى حفرت فيه وكرى الصغير غير المرئى، حيث راعيت ألا أختلط بالعالم، وأننى أبكى بدموع ساخنة بينما فتاة صغيرة، ذات نظرة حادة بشكل غير معقول، تمسك يدي وتداعب الجاحفل برققة - تأكدت أننى قلت كل شئ. وحكى كل شئ عن ليزيت، وأمى، والمطر، والجمال المدنس، وفى آخر الحدث فإن يد القدر الحديدية التى تعطى للمولودين الموتى أمهات ميتات تريدن أن تلدن من جديد، بكيت بحرقة وسخونة. لفترة طويلة بدموع حقيقية

مناسبة، مشوشة، لكننى سعيدة تماماً من تحول النظرة الحزينة، والجامدة لبالوما
التي بدت فى بئر ملتتهبة، وأنا أجفف دموعى.
قلت وأنا أهدئ نفسى قليلاً: "يا إلهى.. يا إلهى. هكذا أنا شديدة
الغباء؟"

أجابتنى: "يا سيدة ميشيل، أنت تعرفين، أنك أعطيتنى الأمل".
قلت وأنا أزجر بطريقة تنير الشفقة: "الأمل".
قالت: "نعم، يبدو أنه من الممكن أن نغير القدر".
وظللنا هنا دقائق طويلة متماسكى الأيدى، دون أن ننطق بكلمة.
أصبحت صديقة، روح جميلة فى الثانية عشر، شعرت نحوها بمشاعر العظمة
الجليلة. وفضاظة لهذا الارتباط غير المتعلق بالسن، بظروف وملابس لا تبلغ
أعماق مشاعرى، وعندما جاءت سولانج جوس إلى مسكنى لاستعادة ابنتها.
تبادلنا نحن الاثنين النظرات بكل علامات المحبة المتعذرة، وقلنا إلى اللقاء فى
يقين بلقاء قريب، انغلق الباب، وجلست فوق مقعد التليفزيون، ويدى على
صدرى ووجدت نفسى أقول بصوت عال جداً: "ربما هذه هى الحياة".

فكرة عميقة رقم 15

إذا أردت أن تعتني بنفسك

اعتن

بالآخرين

وابتسم وابتك

فمن هذه السعادة تستمد ذاتك

هل تعرفون ماذا؟ أتساءل إذا كنت لم أفقد شيئاً آخر. قليل مثل شخص ما لديه مخالطة سيئة، ويكتشف طريق آخر وهو يقابل شخصاً ما طيباً. المخالطة السيئة لى. هى أمى، وكولومب، وأبى، وكل هذه الجماعة. لكننى اليوم قابلت شخصاً ما طيباً، السيدة ميشيل حكى لى عن صدمتها: لقد هربت من كاكورو لأنها صدمت فى موت أختها ليزيت، التى تم إغواؤها ثم هجرها مع ابنها، لا تصادق الأثرياء، حتى لا تموت معهم، منذ آلتها أن تبقى على قيد الحياة.

وأنا أسمع السيدة ميشيل، تساءلت: "ما هى الصدمة النفسية الكبرى؟ أخت تموت لأنه تم هجرها والتوابع الدائمة لهذا الحدث: الخوف من الموت إذا لم تبقى دوماً فى مكانك؟ موت الأخت، كان على السيدة ميشيل أن تتجاوز الأمر، لكن هل يمكن أن تتجاوز إخراج عقابها الخاص؟"

ثم، بشكل خاص، أحسست بشئ آخر، مشاعر جديدة، وأنا أكتبها، تأثرت كثيراً. من ناحية أخرى كان يجب أن أترك قلمى دقيقتين. إنه وقت البكاء، إذن هذا هو ما أحسه، وأنا أستمع إلى السيدة ميشيل، لا أراها تبكى، أحس إلى أى حد استراحت كي تبوح لى بكل هذا. فهمت شيئاً ما. فهمت

أننى كنت أعانى لأننى لا أستطيع أن أكسب شخصاً ممن هم حولى. لقد فهمت أننى أردت هذا من أبى وأمى، وخاصة كولومب لأننى غير قادرة أن أكون مفيدة بالنسبة لهم، لأننى لا أستطيع شيئاً بالنسبة لهم. إنهم بعيدون جداً فى المرض، وأنا بالغة الضعف. أرى جيداً ظاهريهم، لكننى غير مؤهلة أن أعنى بهم. وهذا يجعلنى مريضة مثلهم، لكنى لا أرى ذلك.

إذن، حين مددت يدى إلى السيدة ميشل، أحسست أننى مريضة أنا أيضاً. هل هو مؤكد، فى مثل هذه الحالة، لا أستطيع أن أعنى بنفسى وأنا أعاقب الذين لا أقدر على شفائهم. يجب أن أعاد التفكير فى هذه القصة حول الحريق والانتحار. من ناحية أخرى يجب أن أبوح بها: أننى لم تكن لدى الرغبة قط أن أموت، أرغب فى رؤية السيدة ميشيل وكاكورو ويوكو، بالتأكيد، لن أستطيع أن أقول: من فضلك، انقضى، أنا طفلة صغيرة منتحرة، ولكننى وددت أن أترك الآخرين يمارسون الطيبة علىّ. فبعد كل شئ، لست سوى طفلة صغيرة بائسة، ثم أنا بالغة الذكاء، وهذا لن يغير فى الأمر شيئاً، أليس كذلك. فتاة صغيرة بائسة، فى اللحظة السيئة، لديها الفرصة فى مقابلات سعيدة، هل أعطانى هذا بشكل روحانى الحق فى أن أترك الفرصة تضيق؟

سوف لا أعرف - بعد كل شئ - فهذه القصة مأساوية، هناك أشخاص لهم قيمتهم ! هل أرغب أن أقول لنفسى، لكن أخيراً، أى أحزان انتهت تحت المطر! لم أعد أعرف كيف أفكر. لحظة. اعتقدت أننى وجدت فكرتى. اعتقدت أننى فهمت أنه كى أعنى بنفسى، يجب أن أعنى بالآخرين، وأخيراً الآخرون المعنى بهم هؤلاء الذين يمكنهم أن ينقذوا. بدلاً من الضجيج لا أستطيع إنقاذ الآخرين، إذن ماذا أفعل كى أكون طيبة؟ أو كاتبة؟ أو شئ من هذا القبيل، أليس كذلك؟

ثم بالنسبة للسيدة ميشيل. كم من كولومب، كم من أحزان مثل تيسير؟

صص(13) فى ممرات الجحيم

بعد رحيل بالوما، صرت مخروبة تماماً. ظللت جالسة فى مقعدى لأطول فترة ممكنة. ثم أمسكت شجاعى بيدى، وأدرت أرقام كاكورو أوزو.

أجاب بول نجوين عند الرنة الثانية. وقال لى:

- آه. يوم سعيد يا سيدة ميشيل، هل يمكنى أن أفعل شيئاً من أجلك؟

قلت: "حسنًا، أحب أن أتكلم إلى كاكورو".

قال لى: "هو غير موجود، هل تريد أن أبلغه بشئ عندما يعود؟"

قلت: "وقد تخففت من قدرتى على العرض، بطريقة ما: لا، لا يمكنك أن تخبره إذا كان قد غير رأيه، سوف أكون سعيدة أن أتناول العشاء معه مساء الغد؟"

قال بول نجوين: "بكل سرور".

وضعت السماء أرضاً، وتركت نفسى من جديد ألقاوى فى مقعدى، وأتأمل طوال نصف ساعة فى أفكار مشتتة، لكنها ممتعة.

قال صوت ذكورى رقيق من وراء ظهرى: "لن يكون هذا جيداً فى منزلك، أخبرينى إذن هل قام شخص ما باصلاح هذا؟"

فتح الباب برقة شديدة لم أسمعها، إنه شاب وسيم أسمر، وله شعر مخلوط قليلاً، سترة شاب جديدة تماماً، وعينان واسعتان هادئتان.

سألت، دون أن أصدق ما أراه: "جان؟ جان آرتين؟"

قال وهو يوجه رأسه جانباً: "نعم، مثل الزمن القديم".

هذا كل ما تبقى لى من الأطلال، من روح شابة، تحترق فى جسده الشهبانى، جان آرتين منذ عهد قريب هو أقرب إلى السقوط، وقد بدا عليه أنه آثر أن يولد من جديد.

قلت وأنا أبتسم له ابتسامة عريضة: "أنت تملك شكلاً لافتاً!"
وأعدها لى بكل رقة، قال: "صباح الخير يا سيدة ميشيل. يسعدنى أن أراك،" وهو يشير إلى شعره "هل هو جيد؟"
قلت: "شكراً. لكن ما الذى أتى بك هنا؟ هل تريد فنجان شاي؟"
قال بحركة تردد: "آه.. لكن أنت.. بكل سرور."
أعددت الشاي بينما أخذ مكانه فوق مقعده وهو ينظر إلى ليو بعينين مندهشتين، تتم دون أدنى خداع: "لقد صار كبيراً، هذا الكلب"
قلت: "نعم، إنه ليس رياضياً كبيراً."
سأل وهو يتأجج: "يبدو عصبياً، أليس هو الذى يبدو سيئاً، ياللمصادفة؟"

قلت: "لا، لا، إنها مشكلة السباكة".
قال: "هل يجب عليك أن تندهشى لأنى جئت هنا، خاصة أننا لا نتكلم كثيراً، هه. أنا لم أتحدث إليك منذ زمن، زمن أبى".
قلت بكل صفاء: "أنا سعيدة أن أراك، خاصة يبدو عليك أنك على ما يرام". قال: "نعم.. أنا عائد من مكان بعيد".

وتناولنا بالتتابع جرعتين من الشاي الحارق. قال:
لقد شفيت، أخيراً، أعتقد أنى شفيت، إذا شفيت تماماً يوماً، لن أتناول المنشطات، قابلت فتاة طيبة، فتاة ساحرة، ويجب أن أقول ذلك (لمعت عيناه اللتان تحركنا بخفة، وهو ينظر إلىّ) وصرت نموذجاً مثالياً.

سألت: ماذا تعمل؟

أعمل فى محل للوازم السفن.

قطع غيار سفن؟

نعم، انما جيدة، أحس قليلاً أننى فى اجازة، هناك، يأتى الناس ويتكلمون عن سفنهم، والبحار، ثم يذهبون إلى البحار التى جاءوا منها. أحب هذا جيداً، ثم أنا سعيد أن أعمل، كما تعرفين.

ما هو عملك بالضبط؟

أنا تقريباً الرجل الذى يفعل كل شئ. أعمال الحل، ساع، لكن بمرور الزمن تعلمت جيداً، والآن ولعدة مرات، يمنحونى الفرصة لأداء كل ما هو مهم: اصلاح الاشرعة، الأعمدة، عمل الامدادات والتموين.

هل انتم حساسون لشاعرية هذا المصطلح؟ فمون سفينة، ونعيد تموين المدينة، إلى من لم يفهم أن سحر اللغة ولد من مثل هذه الترجمة. أوجه النداء الآتى: "هل ترتابون فى الفصلات؟"

قال وهو ينظر لى برقة: "أنت أيضاً تبدين فى أحسن حال".

قلت: "نعم، حسناً، هناك بعض الأشياء غيرتنى".

قال: "أنت تعرفين، لم أعد لأرى الشقة، ولا الناس، هنا، لست متأكداً أنهم سيعرفوننى، من ناحية أخرى، لقد أخذت بطاقة هويتى، أنت لم تتعرفين على عدة مرات، لا (أكمل) لقد جئت، لأننى لم أستطع أن أتذكر شيئاً مما ساعد فى كثيراً. عندما كنت مريضاً، ثم بعد ذلك، أثناء مرحلة النقاهة"

- هل يمكنى أن أفيدك؟

- نعم، لأنك أخبرتنى اسم هذه الزهور، ذات يوم، فى هذه الحاشية، هناك (أشار بإصبعه إلى عمق الفناء) هناك زهور بيضاء صغيرة، وحمراء، أنت التى وضعتها، أليس كذلك؟ ذات يوم سألتك ماذا كانت، لكننى لم أكن قادراً على الاحتفاظ باسمها، ومع ذلك، فكرت طيلة الوقت فى هذه الزهور. لا أعرف لماذا. إنها جميلة للغاية عندما كنت أتأمل، فكرت فى الزهور، وقد جعلنى هذا أفضل. لقد مررت قريباً من هنا، وللحظة، قلت لنفسى سوف أسأل السيد ميشيل إذا كان بإمكانها أن تخبرنى.

انتظر رد فعلى، وقد اعتلاه قليل من الارتباك

- ألا يبدو هذا غريباً بالنسبة لك؟ أتمنى ألا أكون أثرت خوفك، بمثل هذه القصص عن الزهور.
- لا، أبداً. لو كنت أعرف إلى أى حد ستسعدك.. لوضعتها في كل مكان!

وضحك مثل طفل سعيد:
- آه، يا سيدة ميشيل، لكنك تعرفين، لقد أنقذ هذا حياتي تماماً، إنها معجزة! إذن يمكنك أن تقولى ما هذا؟
- نعم، ملاكى، أستطيع، في ممرات الجحيم. تحت اللهاث، نفس متقطع، وقلب على طرف الشفاه. ضوء رقيق: "إنها زهور الكاميليا".
- نعم، إنها الكاميليا.
نظر لى بتركيز، العينان جاحظتان. ثم انزلت دمعة صغيرة بطول خد طفل هارب. قال، ضائعا في ذكريات تخصه وحده:
- كاميليا.. كاميليا.. نعم (وكرر وهو ينظر لى من جديد): إنها هي.. الكاميليا.

وأحسست بدمعة تزلق على خدى أنا. مددت له يدي. قلت:
- جاك، أنت لا تستطيع أن تعرف إلى أى حد أنا سعيدة أنك جئت إلى هنا اليوم.

قال، وقد بدت عليه الدهشة:

- حسناً! لكن لماذا؟

- لماذا؟

- لأن زهرة الكاميليا يمكنها أن تغير مصيراً.

(14)

من ممشى إلى ممر

ما هذه الحرب التى نعيشها، فى خضم فشلنا؟ صباح وراء صباح. متعبات من هذه المعارك التى تأتى، وتقودنا إلى ذعر الحياة اليومية، هذا الممر بلا نهاية حيث أننا فى الساعات الأخيرة نتمنى أن تتسع خطى مصيرنا طويلاً، نعم يا ملاكى، هذه هى الحياة اليومية.. سيئة، خاوية، وبالكاد غاطسة، ممرات الجحيم ليست غريبة عنها، نحن نتمنى اليوم أن نظل هناك طيلة الوقت، من ممشى إلى ممر، حيث يحدث السقوط. دون صدمة أو مفاجأة، كل يوم نعقد مع أحزان الممر، وليس بعد ذلك، تنفيذ طريق لعنتنا المرن.

هل تعيش الماشى؟ كيف تولد بعد الهمس. أى يتامى جدد فوق العيون المتكلسة؟ أين تبدأ الحرب، وأين تتوقف المعركة؟ إذن، هى زهرة الكاميليا.

(15)

فوق الكتف ونحن نسبح

في الساعة الثامنة، جاء بول نجوين إلى مسكني، وهو يحمل باقة على ذراعيه.
قال بابتسامة جميلة:

- السيد أوزو لم يعد بعد - هناك مشكلة في السفارة بشأن الفيزا -
إذن رجائي أن أسلم لك هذه.

وضع الباقة فوق المائدة، ومد لي بطاقة صغيرة.

قلت: "شكراً، ألا تتناول شيئاً؟"

قال: "شكراً، لدى ما أعمله، سأحتفظ بدعوتك لفرصة أخرى".

وابتسم لي مجدداً بشئ من الحميمية والسعادة التي أهبجتني دون تحفظ
جالسة وحدي في مطبخي أمام الباقة، بعد أن فتحت المظروف.

فجأة، سيحط فوق كتفيها وهي تسبح.

مشاعر رائعة من الطزاجة التي لا تفسر

ليست حسناً أولاً، لكن أثناء التوقف، لمح

أن قطعة جليد ضخمة داكنة، قُبط من السماء.

تتكسر لتوها..

من فضلك. تقبلي هذه الهدايا بكل بساطة

كاكورو

مطر الصيف فوق كتفي ليفين الذي.... وضعت يدي على صدري،
مأخوذة كما لم يحدث من قبل، فككت الباقة قطعة قطعة.. إنه فستان رمادي
من الحرير واللؤلؤ، مع ياقة صغيرة جامدة، مغلفة بإطار من جلد السيور من
الساتان الأسود. قطعة من القماش القرمزي. خفيفة، كثيفة كالريح. خف

صغير، من جلد أسود بارز رقيق، وناعم، أحسست بلمسه على خدى.
نظرت إلى الفستان: القماش والخف.
في الخارج، سمعت ليو يخربش الباب، محاولاً أن يدخل. بدأت في البكاء
برقة، وبطء وعلى صدرى كاميليا تتأوه.

(16)

يجب أن ينتهى شئ ما

في الساعة العاشرة من اليوم التالى، طرق على مسكنى.
إنه شخص نحيف يرتدى بدلة سوداء، وقبعة من الصوف الأزرق البحري فوق رأسه، وأزرار بحرية معروفة فى فيتنام، إنه صديق كولومب الصغير، هو خبير عالمى فى صياغة الأدب، اسمه تيبير.

قال تيبير: "أبحث عن كولومب".

لاحظ من فضلك، سحفت هذه العبارة: "أبحث عن جوليت" كما قال روميو، ورغم ذلك هو أكثر تألقاً.

تكلم تيبير إذن وهو لا يخشى سوى حمام الشامبو الذى عمله عندما تحلل من أحسن أعماله ليس لأنه لطيف، ولكنه لأنه بالغ الحمية: "أبحث عن كولومب". نحن فى شهر مايو، يالللشيطان. أضاف: "قالت لى بالوما إنها هنا". ثم أضاف من جديد: "اللعة".

ها هي بالوما تمزح بشكل جيد.

مقدمة بسرعة وأنا أغوص فى أفكار غريبة.

تيبير.. اسم لامع محتمل القبول.. تذكرت قطعة النشر التى كتبتها كولومب جوس. الممرات الصامتة لسلسوار.. وروحي التى جاءت من روما.. تيبير.. ذكريات وجه جان آرتين عاملتنى كمحروم، رأيت وجه أبيها ورابطة العنق، روح سخيقة.. كل هذه المهام، كل هذه العوالم.. هل يمكننا أن تكون متشابهين، وأن نعيش فى أكوان متباعدة؟ هل يمكن أن نفتسم نفس الرعشات التى ليست لها نفس الأرض ولا نفس الدمار، أو نفس الطموح؟ تيبير.. أحس بالملل، حقاً، ملل من كل الأثرياء، ملل من كل الفقراء، ملل من هذه

المسرحية الهزلية.. قفز ليو من المقعد وجاء ليجلس فوق وركى. هذا القط
البدین الإحساس، صاحب روح كريمة يحس بالتموج أكثر منى. ملل، نعم،
ملل.. يجب أن ينتهى شئ ما. ويجب أن يبدأ شئ ما.

(17)

معاناة جاهزة

في الساعة الثامنة، كنت مستعدة.

الفستان والحذاء على مقاسي تماماً (42، 37).

والمقصبة رومانية "6 سم عرضاً، 2 م طولاً".

جففت شعري ثلاث مرات بالحنكف ماركة بابليس قوة 1600 وات، ومشطت شعري مرتين. والنتيجة رائعة. جلست أربع مرات، وقمت أربع مرات أيضاً، مما يفسر أنني، حاضرة، قمت وأنا لا أعرف بماذا أحس. وجلست، ربما أخرجت من علبة جواهره خلف المفارش في أعماق الدولاب صغيرتين مورثتين عن حماتي المتوحشة إيفيت، وحلقين قديمين من الفضة، مع 2 حجر كريم بشكل الكمثرى، قمت بست محاولات قبل أن أثقب أذني تماماً. يجب أن أعيش الآن، لدى قرطان مكرشان معلقان في عرقوبي، 54 سنة بدون جواهر لا تمثل أى معاناة جاهزة. لقد تكلمت شفتاي من أول نوم.. أحمر شفاة "جارمين عميق" اشتريته قبل عشرين عاماً لحفل زواج إحدى بنات خالتي، استطالة هذه الأشياء الحمقاء، لدينا حيوات قيمة تتمثل كل يوم، لا تحاول أبداً الاختلاط بي، أنا جزء من 8% من نسبة سكان العالم الذين يتبنى أفكارهم في عالم السياحة.

طرق كاكورو أوزو بابي مرتين.. فتحت. إنه وسيم للغاية، يرتدى بدلة تتكون من سترة ذات ياقة ضابط رمادية بها زخارف واضحة، وبنطال مستقيم مناسب. وهذا حذاء من الجلد المرن. الذي يشبه خفاً من الطراز الممتاز. إنه آسيوي أوروبي تماماً. قال لي: "أوه.. كم أنت رائعة!"

قلت ممتنة: "آه، شكراً. لكنك بالغ الوسامة أيضاً، عيد ميلاد سعيد!"

ابتسم لى، وبعد أن أعدت إغلاق الباب بعناية خلفى، وأمام ليو الذى حاول أن يسبقنى، مد لى ذراعاً وضعت عليها يدى بخفة مرتجفة. رغم أن لا أحداً يرانا، أفكر فى داخلى لحظة أن أقاوم، إنها رينيه الخفية، ألقيت بخوفى إلى المجهول. لست مستعدة أن أغذى محلات شارع جرنيل.

هكذا، ستكون مفاجأة؟ انفتح باب الدخول الذى اتجهنا إليه قبل أن نبلغه

إنها جاسينت روزن وآن هيلين موريس.

يا أيها الكلب! ماذا أفعل. نحن أمامهما إذن.

قال كاكورو وهو يسحبى بقوة جهة اليسار وهو يتجاوزهما فى تعجل:

- مساء الخير، مساء الخير. مساء الخير يا عزيزي. لقد تأخرنا، نحييكما وننقذ نفسيينا!

تعلقت أعينهما، وهما تستديران بحركة تتبعنا: "آه.. مساء الخير يا سيد أوزو". قالتا لى وهما تبتسمان كاشفتين عن أسنانهما: "مساء الخير يا سيدتى".

لم أر قط مثل هذه الأسنان مرة واحدة.

رمقتنى آن هيلين موريس وهى تنظر إلى وكنا قد اجتزنا النهار: "كل السعادة يا سيدتى العزيزة".

تمتم كاكورو وهو يطلق مضرب الباب: "بالتأكيد، بالتأكيد".

قال: "مأساة، أن يتم توقيفنا، أماننا ساعة واحدة".

قلت: "لم تتعرفا على".

توقفت وسط المكان، وقد تغيرت تماماً. كررت: "لم تتعرفا على".

توقف بدوره، يدى لا تزال بين ذراعه. قال لى: "لأنهما لم يريانا قط، لقد تعرفت عليك فى أى ظروف".

(18)

المياه المتحركة

يكفى أن تكون لديك تجربة واحدة كى تكون أعمى وسط الضوء، وأن ترى اللون الأسود كى تطرح سؤالاً عن الرؤية، لماذا نرى؟ ونحن نصعد فى سيارة أجرة أوصى بها كاكورو وأنا أفكر فى جاسينت روزن وآن هيلين موريس اللتين لم تريا فى سوى ما أرادتا رؤيته (فى ذراع السيد أوزو، فى عالم من التدرج)، الذى بدت نظرتة مثل يد تبحث عن قطع المياه الجارية، تضربى بقوة غير مسموعة، نعم العين تلحظ، لكنها لا تفحص، تعتقد لكنها لا تسأل، تستقبل لكنها لا تبحث، تفرغ الرغبة، بلا جوع ولا تقاطع.

وبينما تتزلق السيارة فى الغروب الوليد، رحت أفكر:

فكرت فى جان آرتين، فى الحديقة المحترقة المشرقة للكاميليا.

فكرت فى بيري آرتين، ذى العين الفولاذية، والعمياء للشحاذ.

فكرت فى هؤلاء النسوة الشرهات، ذوات الأعين اللحوحة العمياء

تماماً.

فكرت فى جييجين، المدارات الميتة بلا قوى، وهى لا ترى سوى

سقطتها.

أفكر فى لوسيان القاسى الرؤية بسبب الظلام، أحياناً، ويؤخذ فى

الحسبان أنه بالغ القوة.

أفكر فى نبتون الذى عيناه الممكنة لا تعرفان كيف تكذبان.

وسألت إذا كنت قد رأيت نفسى.

(19)

إنها تلمع

هل رأيت فيلم "المطر الأسود"؟.. إذا لم تكن قد شاهدت "المطر الأسود"، أو فيلم "الشفرة المتزحقة" من الصعب عليك أن تفهم لماذا؟ عندما دخلنا المحل، أحسست أني أدخل في فيلم من اخراج ريدلي سكوت. هناك هذا المشهد من "الشفرة المتزحقة" في بار النساء الشعبانات الذى فيه ذكرك يسمى راشيل من فيديو على الحائط، هناك أيضاً بار فتيات الليل في "المطر الأسود"، ذوات الشعر الأشقر والظهر العارى للممثلة كات كابشو، ولا توجد سوى خيوط الضوء الزجاجى والواضح للكاتدرائية اللامعة في ظلال الجحيم.

قلت إلى كاكورو، وأنا أجلس: "أحب الضوء كثيراً".

قادونا إلى صندوق صغير هادئ، يسبح في ضوء شمسي نابع من الظلال اللامعة، كيف يمكن لظل أن يلمع هكذا؟ إنه يلمع، في كل مكان.

سألنى كاكورو: "هل شاهدت المطر الأسود؟"

لم أصدق أنه يمكن أن يتوحد كائنان في مثل هذه المصادفة من الذوق، والتوجه الفيزيقي. قلت: "نعم، اثنتي عشرة مرة على الأقل".

كان الجو لامعاً متألئاً، متآصلاً، مزخرفاً، براقاً، رائعاً.

قال كاكورو، وهو يلوح فوطته بحركة حماسية: "سوف نصنع من السوشى "عريضة". ألا تريدنيها؟ لقد أوصيت بها، كشفت لك ما اعتبره أفضل ما في المطبخ اليابانى بباريس"

قلت وأنا أدعك عيني لأن الخدم وضعوا أمامنا زجاجات الساكى، في عدد لا يحصى من الأكواب الشمينة. مجموعة من الخضروات الصغيرة التى تبدو كأنها كائنات بحرية فى ما لا أعرف ما يجب أن يكون قوياً: "أبدًا".

وبدأنا.. بدأت بخيار البحر، الذى ليس فيه من الخيار ولا من البحر سوى الظهر، إنه حريف على اللسان، شئ لذيد، رفع كاكورو برقة عصاتيه الخشبيتين المتباعدين.. ومن اليوسفى، والطماطم، والمانجو، وأخفاها بمهارة. بسرعة فى نفس الأكواب. إنه الجزء المسكر لآلهة تذوق الطعام.

قلت وأنا أرفع كأس الساكى: "إذن، عيد ميلاد سعيد!"

قال متبادلاً النخب معي: "شكراً، شكراً جزيلاً!"

سألت وأنا أخرج لتوى قطعة صغيرة من الزوائد المغموسة بالسوس الأصفر الزعفرانى: "هل هو أخطبوط؟"

جاءوا بطبقين صغيرين من الخشب السميك، دون أطراف، وعليها قطع من السمك النئى. قال كاكورو: "ساشيمس. هو أيضاً، سوف تجدين به أخطبوطاً".

رحت أتأمل المكان، حيث الجمال البصرى يقطع الأنفاس، لففت قطعة صغيرة من اللحم الأبيض والرمادى بين عصيتى المرتبكتين (من شبكة مربعة أخبرنى مضطراً كاكورو) وجربت المتعة، وأنا أتذوق.

هيا نبحث عن الخلود فى أثر الجوهر الخفى؟ هذه القطعة الصغيرة البيضاء هى إناء مصنوع بمهارة. قال لى كاكورو:

-رينيه، أنا بالغ السعادة للاحتفال بعيد ميلادى فى صحبتك. لكن أنا أيضاً لدى دافع بالغ القواء للعشاء معك.

رغم أننا لم نتعارف سوى منذ أسابيع قليلة، بدأت فى تمييز دوافع كاكورو. هل هى فرنسا أم إنجلترا؟ فيرمر أو كارافاج؟ "الحرب والسلام" أم "عزيرتى أنا كارنينا"؟

تناولت قطعة ساشيمس.. تونة جديدة؟ بقامة محترمة أعلنت قليلاً من التقسيم.

- دعوتك للاحتفال بعيد ميلادى، لكن فى هذه الأثناء، أعطانى شخص
ما معلومات بالغة الأهمية، وكان لدى شىء ما أساسيا كى أقوله لك.
كانت قطعة التونة قد استغرقت كل انتباهى ولم تؤهلنى إلى ما سوف
يتبعها. قال كاكورو وهو ينظر إلى عيني: "أنت لست أختك".

(20)

عشيرة مياه غازية

سيداتي.. سيداتي، ماذا تعنى سهرة عشاء مع رجل ثرى، وسيد رقيق فى مطعم فخم، يحرك كل شئ بنفس الأناقة. إنه يدهشك، ويزعجك، ويهمس لك، يلزمك أن تحفظ نفس الجاذبية والانفعال، وبكلمات رائعة، يتصرف بكل تميز، ولأننى مبنى حجرى أغوص فى ساشيمس مثلما تفعله من البطاطس، هزرت رأسى بتشنج، وأنا أحس بفضاعة طبق الخلود يتكوم فى رقبتي. أحاول، مثلما تفعل غوريلا، البصق على الموائد الأكثر قربا، الصمت يمتد، وبعد العديد من التجشوءات، وفى آخر حالة من الهياج، بلغت حداً من الإحساس بالذنب، وأنا أعطى وجهى بفوطتى، وأنا أتعامل معها بحدة.

قال كاكورو الذى بدا عليه أنه يتسلى: "هل يجب أن أكرر؟"

سعلت: "أنا.. كوف.. كوف.."

الكوف كوف هى الإجابة التقليدية للصلوات الأخوية فى عشيرة المياه الغازية "الجازوز". أكملت بشكل لامع: "أنا.. أخيراً.. كوف.. كوف.."
وبطبة بلغت القمة: "كوا.."

قال بنوع من الصبر المتناهي الذى تمارسه مع الأطفال، أو.. مع الأرواح البسيطة:

- قلت لك فى ثانية بكل وضوح، رينيه، أنت لست أختك.

ظلت مكانى، غبية، أنظر إليه. قال بشكل عابر، وهو يتساءل عن

المعدة:

-أكرره عليك لآخر مرة، آملاً هذه المرة ألا تختفي مع السوشي الذي
تبلغ القطعة منه ثلاثين يورو، أنت أخت لست أختك، يمكننا أن نصبح
صديقين، وأيضاً كل ما نريده.

(21)

كل أكواب الشاي هذه

توم توم توم توم توم توم توم
انظر، إذا كان معك طليقة. ومناسبة واحدة
لتقيس كل شئ وطلبتة دوماً
لحظة واحدة
هل تريد أن يؤسرها، أو أتركها تنام

هذا، إنها أغنية إمينيم. أعترف أنه وفي عنوان نبي الصفوة المعاصرة، بلغني أن
أسمع عندما لا يكون ممكناً أن نجهل أن ديدون قد راهن.
لكن بشكل خاص، هناك شوشرة كبيرة.
برهان؟
ها هو
تذكرني، تذكرني
لقد آنس بدانتى
القطعة بثلاثين يورو
هل تريد أن يؤسرها
أو أتركها تنام

مر هذا فى رأسى، والتعليق هو الطريق الغريب الذى يبدو فيها، وهو
ينطبع فى روحى ويأخذنى دوماً (دون أن تستفز بعض الكونفوشيين. صديق
كبير للبوابات ذوات المثانات). ثم رحت أبكى.

في مشرب الأصدقاء باتو، ضيفة تفتقد أن تخنق نفسها، وهي قُرب من العدالة، ثم ينهار باكياً، الحلوى في فوطتها، متضمنة إنذاراً من الأسعار، لكن هنا، في هذا المعبد الشمسي ذى الساشومي المباع بالقطعة. كيلى لديه تأثير معاكس. يم من الإنكارات الصامتة يغمري، وهأنذا أبكى. الأنف يسيل، مجبرة أن تسرى دموعي في فوطة. أنزعج لتجفيف سديد النظر مشاعري تحاول أن تضع له قناعاً، والفكرة العامة تثبت. وأنتجت أكثر.

لقد خانتني بالوما.

إذن، مشدودة بهذا النحيب، منسابة في صدرى، كل هذه الحياة مرت في مقاومة روح وحيدة. كل هذه النصوص الأدبية الطويلة. وكل هذه الشتات من المرض. كل هذا المطر في نوفمبر على وجه ليزيت الجميل، كل هذه الكاميليا العائدة من الجحيم، الفاشلة فوق عشب المعبد، كل هذه الفناجين من الشاي في حرارة الصداقة، كل هذه الكلمات الرائعة في فم آنسة، هذه الطبيعة الميتة بالغة البشاعة، هذه الجواهر الخالدة تنير انعكاساتها المتفردة، وأيضاً هذه الأمطار الصيفية المنسابة في مفاجأة المتعة، ندقات ترقص على أغنية القلب. وفي جوهر اليابان القديمة. الوجه النقي لبالوما. أبكى، أبكى بلا توقف، بحرارة، وبدموع كثيفة جميلة من السعادة، بينما من حولنا، فإن العالم يموج وقد عكس المشاعر في نظرة هذا الرجل وهو في صحبة شخص ما أحس به.

يمسك يدي برقعة، وبيتسم لى بكل حرارة العالم.

قلت وأنا أهمس وسط أنفاسي: "شكراً".

قال: "يمكننا أن نكون صديقين، أو ما نود أن نكون".

تذكرني، تذكرني

وآه، أرغب بدانتي

(22)

عشب البرية

يجب أن نعيش قبل أن نموت، أعرف هذا الآن، ها هو، أريد أن أخبركم به، ما
يجب أن يعيش قبل أن يموت، هو المطر الضارى الذى يتحول إلى نور .
لم أتم طيلة الليل، رغم كل تدفق المشاعر المليئة بالعرفان، والعشاء
الذى كان رائعاً، ممتنة متوحدة مع الصمت الطويل الرقيق. عندما اصطحبنى
كاكورو إلى بابى، وقبل يدي طويلاً ثم افترقنا، دون كلمة ، مع ابتسامة
كهربية بسيطة.

لم أتم طيلة الليل.

هل تعرفون لماذا؟

اتفقنا، أنتم تعرفون.

اتفقنا، كل العالم يشك، أنه يعرف الباقي، بمعنى هزة أرضية قلبت في
ماء وجودنا، فجأة أزالنا شيئاً متحجراً، على مسافة في رأسى الصغيرة لفتاة
طائشة في الخمسين وأن هذا شئ ما ينطق: وأيضاً كل ما نريد.
في الساعة السابعة استيقظت كأننى انسلخت في منتجع حاملة قطي
البلدى نحو طرف السرير. كنت جائعة، جائعة بالحس الصادق (شريحة عملاقة
من الخبز المدهون بالزبدة ومربي الجانرك التى لم تنجح في إثارة شهيتى) أحس
بالجوع لأكل التين: أنا غير صبورة بشكل هستيرى، وأعرف الباقي.
استدرت كأن وحشاً داخل قفص في مطبخى. شراسة قط لم يعرنى أى انتباه.
أجرب مرة ثانية الخبز والزبد والمربي، يمشى القط بطول واتساع المكان الذى
يجعلنى كأننى يجب أن أزور المخابز. ثم فجأة، في الساعة الثامنة، هدأت. دون
صراخ ملحوظ، وطرق مباغت، انتابتنى مشاعر من الصفاء، ماذا حدث؟

تبدیل، لا أرى أبداً أى تفسيرات أخرى، وأنا أتحدث بالحكمة.
تركت نفسى أجلس فوق مقعد، واستعادت الحياة مسيرتها.
فى خضم ما يحدث، أتذكر أننى دائماً بوابة، وفى الساعة التاسعة يجب
أن أكون فى شارع باك كى أشتري منظفاً للنحاس (فى التاسعة) هو تعبير
ساحر: لنقل تناولت سلتى وحقيقتى وذهبت إلى العالم الواسع الذى يلعب
بالزينات حيث بيوت الأثرياء فى الخارج. يلزمنى يوم رائع من الربيع.. من
بعيد لاحظت جيغن كم أنا سعيدة بالنسبة له، وأنها أيام جميلة، كما أعلنت.
أفكر باختصار فى الارتباط بالأب الكبير المتعجرف المتشرد، مما يجعلنى
أبتسم. فما هو سعيد، يبدو كفاح الطبقات ثانوياً تماماً، قلت هذا لنفسى،
مبغوتة فى تفكير لوعى المتمرد.
ثم. فجأة، ترنح جيغن. أحس أننى لم أتجاوز الخامسة عشر، دعكت
رموشى القلقة، أترنح بكل قوة، مثل فوق سفينة فريسة الإدراك، أستطيع أن
أرى وجهه ومظهره النائه.. "ماذا يحدث؟".. تساءلت بصوت عال وأنا أضغط
الخطوة فوق المأساة.
من الطبيعى فى هذه الساعة ألا يكون جيغن مخموراً، وأكثر، لقد
أمسك بزجاجة الكحول مثلما تمسك بقرة بعشب البرارى، كولومب المأساة.
الشارع كان خاوياً تماماً. أنا الوحيدة التى لاحظت مأساة ترنح يجب أن تخطو
بضع خطوات
فى وسط الشارع، توقف، ثم وعلى مسافة مترين، وكأن شيئاً وخزه،
انطلق بسرعة مضاعفة، كأن شيطاناً يطارده.
وهذه هى التكملة. هذه التكملة، مثل كل تكملة، يجب أن أتحدث أبداً
عنها.

(23)

زهوى الكاميليا

أنا أموت.. أعرف من ثقى القربة فى التنجيم، أنى فى حالة موات وأنى سوف أبلغ شارع باك ذات صباح جميل فى الربيع، لأن متشرداً يدعى جيحجن راح يرقص فى شارع سان جاى، وهو يهذى فوق طريق خاو دون أن يهتم بأمره أحد من البشر أو السماء. حقاً، ليس الطريق خاوياً. الدور الأرضى؟

هرولت وراء جيحجن وأنا أترك الحقيبة والسلة، ثم رحت أطم.

الأمر لا يعدو أن يكون سقوطاً. بعد لحظة من الدهشة والغموض الشاملة، وقبل أن يفترسنى الألم، وأن أرى ما يؤلمنى، استرخيت لحظة فوق ظهري، وأنا أرى نفسى بقوة فوق لوح شاحنة الكواء الصغيرة. حاولت أن تتجنبنى وأن تنحرف نحو اليسار، لكن ما لبثت أن ضربتنى نحو اليمين بقوة، بعد فوات الأوان "كواء مالفوان" أشار إلى اللوجو الأزرق فوق خلفية بيضاء، لو استطعت الحركة لضحكت. طرق الرب واضحة للغاية وهى تحدد مسارها.. أفكر فى مانويلا، التى لم تتخيل حتى أيامنا الأخيرة فى أن الموت كواء، وأنه ليس سوى عقاب مزدوج، لخطايانا الكبرى، صرت مذبذبة.. استبد بى الألم، ألم الجسد، مشعاً، متدفقاً، يلف بى بقوة ليس لها مثيل. تتسرب فى كل مكان حيث أستطيع أن أحس بشئ ما، ثم ألم الروح، فيما بعد، لأننى فكرت فى مانويلا، وأننى سوف أتركها وحدها، ولن أراها بعد ذلك، ولأن هذا يصنع فى القلب جرحاً غائراً.

يقال إنه فى لحظة الموت نرى كل حياتنا، لكن أمام عيني الواسعتين المفتوحتين اللتين لا تميزا أبعد من الشاحنة الصغيرة، ولا سائقها الشابة التى تعمل بالكى بالبخار التى قدمت لى الفستان الكتانى الأسمر، أنها تبكى الآن،

وتنعى حظها السيئ، ليس المارة الذين يهرولون بعد الصدمة، ويتكلمون إلى كثيراً دون أن أفهم أى معنى – أمام عينيّ الكبيرتين المفتوحتين اللتين لا تريان أكثر من هذا العالم بوجوه متأثرة، ولكل واحد منهم. تكونت لدى فكرة مشتتة.

وأنا أتصفح الوجه أولاً، هناك خرطوم، نعم، راح ذهني أولاً إلى قطي ليس لأنه الأكثر أهمية من الكل، لكن لأنه سيقابل المتاعب الحقيقية والوداعات الحقيقية، فأنا في حاجة أن أتأكد من مصير رفيقي ذى المخالب. ابتسمت في نفسي، وأنا أفكر في القط البدين الضخم، الذى ظل يصحبنى طوال السنوات العشر الأخيرة من الترميل والوحدة، وحتى الموت؛ فأنا قريبة من حيوانات الصحبة التى تشاركنا فى تصغير مسار الحياة اليومية، فلولاهم تصبح الحياة كارثة. عشر سنوات من الحياة تبلورت فى ليو، وأنا أقيس كم أن هذا القطط السخيفة والبدينة التى تعبر وجودنا بكل هدوء، واختلاف عن الأغبياء هى مواقف اللحظات الطيبة والسعيدة لتراجم السعادة، وأيضاً تحت قبة الألم، وداعاً ليو، قلت لنفسي وأنا أقول وداعاً لحياة لا أعتقد أنني أمسكها إلى هذا الحد.

ثم رحت أضع كلبى فى الحسبان وهو بين يدي أوليمب سان – نيس، مع التخفف العميق المولود من الثقة التى مثلها بالنسبة لى. الآن، أستطيع أن أواجه الآخرين. مانويلا صديقتى.

عند أعتاب الموت، أرفع الكلفة عنك أخيراً. هل تذكرين أكواب الشاي فى حرير المحبة؟ عشر سنوات من الشاي، والمعاشية على طرف الحساب، حرارة فى صدرى، وهذا الجميل المستعاد نحو لا أعرف من ولا ماذا. الحياة، ربما، من النعمة أن أكون صديقتك. هل تعرفين

أفما قريبة منك وأن لدى أجمل الأفكار؟ هل يجب أن أموت كي أبلغ الوعي.. كل هذه الساعات من الشأى، وهذه الشواطئ الكبيرة من المتعة، هذه السيدة العادية الضخمة. بدون مظاهر ولا قصور، وبدونها فإن مانويلا لن تكون بوابة، بينما أفما العدوى لأن أرستقراطية القلب هي مشاعر معدية، لقد جعلت منى امرأة قادرة على الحبة.. هل سوف أستطيع، بكل سهولة، أن أحول عطشى الفقير إلى متعة الفن وأن أحتفظ بالخزف الأزرق، من الأبواق عالية الصوت، الكاميليا الطحلبية، وكل هذا الخلود السعيد عبر القرون، وكل هذه الجواهر الغالية فى حركة النهر الدائمة، إذا لم يكن أملك سوى أسبوع بعد آخر، فاقضيه معى، وأنت تقدمين لى قلبك، أثناء الشعائر المقدسة لتناول الشأى؟

كم أفتقد ذلك.. فى كل صباح، أفهم أن الموت يعنى ساعة الاختفاء، إنهم الآخرون الذين يموتون بالنسبة لنا لأننى هناك، نائمة فوق البلاط البارد قليلا، أسخر من نفسى فى الموت، هذا ليس أكثر من شعور أمسية من الأمسيات، لن أرى أكثر ممن أحب. وأن أموت هو المأساة كما نقول. مانويلا، أختى التى لا يريد القدر أن أكون بالنسبة لك ما فعلته بالنسبة لى: حارس مجنون من المأساة ضد الابتذال، استمرار وحياة، وأنا أفكر فى نفسى فى بهجة. لكن، فى قلبى، ألا أراك قط هو متاعب النهاية.

وها هو، لوسيان، فوق صورة مصغرة، فى أيقونة أمام عيني ذكرياتى، أنت تبتسم، أنت تصفر، هل تحس أيضاً أنه موتى وليس موتك. عندما يموت من يعيشون معاً منذ زمن طويلا جداً؟.. جربت اليوم مشاعر جادة، هى أن أخونك، وأموت، لا يكفى أن أبرهن أننا نحس أن الآخرين يتعدون، يجب أن نجلب إلى الموت هؤلاء الذين لن يعيشوا أطول منا. ومع ذلك أنت تبتسم، أنت تصفر. وفجأة أنا أبتسم، يا لوسيان.. لقد أحببتك، اذهب، ولهذا ربما،

أستحق الراحة، سوف تنام في سلام في مقبرة صغيرة في بلادنا، بعيدا. لن نلمس النهر معاً. سوف نصطاد فيه السردين وأيضاً النجوم، سيأتي أطفال كى يلعبوا هنا، وهم يصرخون رأساً برأس، وفي المساء، عندما تغرب الشمس، نسمع صلاة التبشير.

وأنت كاكورو.. عزيزى كاكورو الذى جعلنى أؤمن بإمكانيات زهرة كاميليا.. ليس هذا سوى هروب أنى أفكر فيك اليوم، بضعة أسابيع لا تكفى كأنى لم أعرفك أبداً، ولم كل ما تفعله بالنسبة لى. سماوى طيب، مغارة معجزة، ضد يقين القدر. هل يمكن أن يكون شيئاً آخر؟ من يعرف.. لا أستطيع أن أمنع القلب أن يكون مزموماً من هذا الشك. وماذا؟ لقد جعلتنى أضحك وأتكلم وأبكى، وأن أغسل كل هذه السنوات من قذارة الخطأ، وأن أستعيد أختى ليزيت. فى مساهمة حب غير متوقع، سعادتها المفقودة.. يا لها من شفقة لن تراها بعد ذلك.. يلزمنى أن أتخلى عن محاولة التعرف الدائم على إجابة من هذا النوع.

هل هذا هو الموت؟ هل هى المأساة، وكم من الوقت إذن؟
عناق، إذا لم أكن أعرف دوماً.

بالوما يا ابنتى، إننى أتجه نحوك، أنت الأخيرة.

بالوما، يا ابنتى. ليس عندى أطفال، لأن هذا لم يحدث، هل أعانى؟ لا، لكن إذا كانت عندى ابنة؛ فستكون أنت، وبكل قوتى سوف أطلق رجاءً من أجل حياتى بأكثر مما تسمحين به.

ثم، ها هو التنوير. تنوير حقيقى، أرى وجهك الجميل المهيّب النقى، وعينيك ذاتي الحواف الوردية، وهذه الطريقة التى نتعامل بها من أسفل صديريتك، النظر يميناً فى العينين، ومداعبة القط الذى يكاد أن يتكلم. وأنا

أبدأ فى البكاء، البكاء من الفرحة الداخلية فى أعماقى، ماذا يرى المتسكعون
المعلقون فوق جسدى المحطم؟ لا أعرف. لكن فى داخلى توجد الشمس.
كيف يقررون إذن قيمة الحياة؟ قالت لى بالوما يوماً: "ماذا يهم. ليس
هو الموت". لكن ماذا نفعل فى هذه اللحظة التى نموت فيها، ماذا نفعل فى
لحظة الموت؟ لا أسأل بإجابة جاهرة فى حرارة كلمتى.. ماذا فعلت؟.. قابلت
الآخر ومستعدة للحب.

بعد أربعة وخمسين عاماً من الخواء العاطفى والروحى، مطلية لتوى
بجنان لوسيان الذى لم يكن قط بالنسبة لى سوى الظل المستسلم، بعد أربعة
وخمسين عاماً من السرية، والانتصار الصامت فى الداخل المسكون بروح
وحيدة. بعد أربعة وخمسين عاماً من كراهية العالم، وفريق الصحبة، هأنذا
أهرب من إحباطاتى التافهة، بعد هذه السنوات الأربعة والخمسين من لا شئ،
لم ألتق بشخص ولم تكن لى علاقة قط مع الآخر.

دائماً مانويلا

وأيضاً كاكورو

وبالوما، أختى الروحية

وزهور الكاميليا

سوف أتناول معكم كوب الشاى الأخير

إذن، كلب ذهبى، آذان، وألسنة معلقة، تعبر حقل رؤياى، إنه أمر
غبى.. لكن هذا يعطينى الرغبة فى الضحك. الوداع يا نيبتون، أنت كلب أبله
لكن يجب أن تؤمن أن الموت يجعلنا نفقد القليل من الإيقاع. ربما أننى أفكر
فيك فى اللحظة الأخيرة، وإذا كان لهذا معنى، فإننى أهرب من نفسى تماماً.

أوه. لا، خذ

صورة أخيرة

كم هذا جاد.. لم أعد أرى المزيد من الوجوه.
إنه الصيف، الساعة السابعة في كنيسة القرية تدق الأجراس، وأرى أبي
وظهره الخنى، وذراعيه متهدلين تعودان إلى أرض يونيه حيث الشمس، وأبي
يقوم ويجفف جبهته بظهر كفه، ويعود نحو الدار.
نهاية الاجتهاد.
إنها تقريبا الساعة التاسعة
أموت، في سلام

آخر فكرة عميقة

ماذا أفعل

أمام الأبد

هل على أن أبحث

دوماً

في بعض النقاط السرية؟

هذا الصباح، ماتت السيدة ميشيل، ضربتها شاحنة صغيرة تابعة للكواء قريباً من شارع "باك"، لا أصدق أنني أكتب هذه الكلمات.

إنه كاكورو الذى أبلغنى الخبر، ظاهرياً، بول سكرتيره خرج إلى الشارع في هذه اللحظة، وشاهد الحادث من بعيد عندما حدث. تأخر الأمر، أرادت أن تنقذ المتشرد جيچين، الذى كان في ركن من شارع باك والذى كان مستديراً مثل البرميل. جرت وراءه لكنها لم تر الشاحنة الصغيرة، بدا أنه يحاول أن يصحب السيدة إلى المستشفى، كانت في قمة الأزمة العصبية.

جاء كاكورو، وقال: "لا توجد أى وسيلة كى أفاديك هذه المعاناة، يا بالوما، سأقول لك كيف حدث هذا، لقد أصاب حادث رينيه منذ ساعة، نحو الساعة التاسعة، إنه حادث جسيم، لقد ماتت".

بكى، وهو يمسك يدي بقوة، سألت أمى وهى خائفة: "لكن، من هى رينيه؟". أجبتها: "السيدة ميشيل" تخففت أمى، وهو يقول "أوه"، ثم استدارت، وقالت لى: "بالوما، يجب أن أهتم ببعض الأشياء.. سوف نرى ذلك فيما بعد، مفهوم؟". هززت رأسى، وضغطت يدي بقوة أيضاً. وأدبت

تحية صغيرة على الطريقة اليابانية، انحناءات سريعة، لقد فهمت أن هذا مؤلم جداً.

عندما رحل، كان الشيء الوحيد الذى أردته، هو أن أتجنب أمى، فتحت فمها، لكننى أصدرت إشارة بيدي، الكف المرفوع نحوها كى أقول: "لا تحاولي أبداً" هزت رأسها هزة خفيفة، لكنها لم تقترب، تركتني أذهب إلى غرفتي، هنا بدأت أدور فوق سريري، وطوال نصف ساعة ظلت أمى تطرق الباب برقة، وأنا أقول "لا" لكنها لم تلح.

عشرة ساعات مرت، الكثير من الأشياء أيضاً مرت فى البناية، أخصها: أوليمب سان - نيس أسرع إلى المسكن عندما علمت بالخبر "جاء حداد ليفتحه" كى يأخذ ليو ليبقى عندها، فكرت أن السيدة ميشيل، أن رينيه، أعتقد أنها أرادت هذا مما خفف على. السيدة دو بروجلى اتجهت نحو غرفة العمليات، بناء على أوامر عليا من كاكورو. إنه غريب أن هذه العجوز كانت تشبهنى تقريباً، قالت أمى غاضبة لصديقتها الجديدة: "كانت فى السابعة والعشرين عندما جاءت إلى هنا. سوف نفتقدها". ورثت على الفور حزمة من الزهور، وكلفت أن تتصل بأعضاء أسرة رينيه ترى هل هناك أحد منهم؟ لا أعرف، لكن السيدة دو بروجلى سوف تبحث عنهم.

الأكثر من ذلك، أن السيدة لوبس، وقد أخبرتها السيدة دو بروجلى عندما جاءت فى الساعة العاشرة لعمل خدمة المنزل، ظاهرياً، ظلت هناك ثانيتين دون أن تفهم، ويدها على فمها، ثم وقعت، وعندما عادت إلى بيتها، بعد ربع ساعة، همست: "معذرة، آه معذرة". ثم استعادت وشاحها، وعادت إلى منزلها.

القلب مأزوم. وأنا؟.. أنا، بماذا أحس؟ ثرثرت حول الأحداث البسيطة للعقار رقم 7 شارع جرنيل، لكننى لم أكن شجاعة، خفت أن أذهب فى

نفسى، وأن أرى ما حدث، كنت أشعر بالعار، أفكر أنى أريد أن أموت، وأن أجعل كولومب تعاني وأيضاً أُمى وأبى لأنه لم تسبق لى المعاناة قط، أو بالأحرى، لقد عانيت دون أن يصيبنى الألم، من ناحية فإن مشاريعى الصغيرة، هى يافعة دون مشاكل. ومن تأميم الفتاة الصغيرة التى تريد ممارسة أهميتها.

لكن، هناك وللمرة الأولى، أحسست بالألم، الألم التام، قبضة فى بطنى، النفس مقطوع، الضربة القاضية. القلب يعتصر، المعدة مهترئة تماماً، ألم طبيعى غير محتمل، تساءلت إذا كنت سوف أستسلم يوماً، هذا الألم، أحسست بالرغبة فى الصراخ، لكننى لم أصرخ. ما أحسه الآن هو أن الألم هناك دوماً وأنه لن يمنعنى من المشى أو الكلام، إنها مشاعر من الضعف والعيشة الكاملة، أليس كذلك؟ فجأة انطفأت كل الامكانيات؟ حياة مليئة فى الشارع، والنقاشات بدأت تقريباً، الرغبات لم تتكامل. انطفأت لثانية، لا شئ، لا شئ نفعله. ألا يمكن أن نعود إلى الوراء؟

ولأول مرة فى حياتى، أحسست بكلمة "أبداً" فعلاً، إنها مرعبة. نطقنت بالكلمة مائة مرة لكننى لا أعرف ماذا تعنى قبل أن أواجه حقيقة اسمها "أبداً" مطلقاً..

وأخيراً هناك دائماً الوهم الذى يسيطر على ما يحدث، لا شئ يبدو لنا محدداً. يجب أن أقول لنفسى طوال هذه الأسابيع الأخيرة أنى سوف أنتحر قريباً، هل أنا أو من حقاً؟ هل جعلنى هذا القرار أحس بمعنى كلمة "أبداً"؟ مطلقاً. بل جعلنى أحس بقدرتى على الفرار. فكرت أنه فى بضع ثوان أن أمنح الموت لنفسى، أنتهى إلى "أبداً" ستظل أيضاً كلمة فارعة، لكن عندما يجب أحد الموت.. إذن يمكن أن أقول لكم إنى أحس ما يراد أن يقال وسيكون هذا سيئاً جداً جداً، جداً مثل الألعاب النارية التى تنطفئ فجأة ويصبح كل

شئ مظلماً. أحس وحدي بالمرض. أحسست بالألم في قلبي، مع كل حركة تكلفني مجهودات شديدة.

ثم حدثت بضعة أشياء.. إنها أشياء معقولة في يوم حزين، نزلت مع كاكورو، نزلنا في الساعة الخامسة إلى مسكن السيدة ميشل "أعنى رينيه" لأنه أراد أن يأخذ ملابس تخصها كي يعطيها إلى معرض الجثث بالمستشفى. دق الجرس، وطلب من أمي أن يكلمني. لكنني خمنت أنه هو: كنت هناك، بالتأكيد، أردت أن أصحبه، أخذنا المصعد نحن الاثنين، دون أن نتكلم، بدا عليه التعب، أكثر تعباً مما هو حزين. تساءلت: كيف أن هذه المعاناة تظهر على وجه حليم، لم تظهر. لقد أعطت الإحساس بتعب شديد جداً. هل أنا أيضاً أبدو متعبة؟

لقد نزلت إلى المسكن، مع كاكورو، لكن ونحن نعبر الفناء. توقفنا نحن الاثنين في الوقت نفسه. هناك شخص ما يعزف بيانو، سمعنا العزف جيداً، إنها ساتي، على ما أعتقد. أخيراً، لست واثقة، لكن على كل حال، (كانت موسيقى كلاسيكية).

لم أفكر بعمق في الموضوع، من ناحية أخرى كيف تكون لي فكرة عميقة، عندما تستريح أختي الروحية في ثلاجة المستشفى؟ أعرف أننا توقفنا نحن الاثنين ونحن نتنفس ونترك الشمس تسخن وجهينا، نسمع الموسيقى التي تأتي من أعلى. قال كاكورو: أفكر أن رينيه كانت تحب هذه اللحظة. ظللنا هكذا بضع دقائق، نستمع إلى الموسيقى، كنت متفقة معه، ولماذا لا؟

وأنا أفكر في ذلك. هذا المساء، بدا القلب والمعدة أشبه بالمرى. ربما لأن هذه هي الحياة، الكثير من اليأس، لكن هناك أيضاً لحظات جميلة حيث الزمن، بالنوتة الموسيقية تصدر هذا النوع من الأقواس في الزمن، ومن هناك وهنا في الوقت نفسه، "دائماً" في "أبداً". نعم، دائماً في "أبداً".

لا تخشي يا ربي، لن أنتحر ولن أحترق أبداً، لأنه من أجلك سوف
أطارد من الآن كل "دائماً" في "أبدا".
الجمال في هذا العالم.

محتويات الكتاب

- قبل أن تقرأ 5
- **ماركس (تمهيد)** 17
- 1. من يبذر الرغبة؟ 17
- 2. معجزات الفن 19
- 3. فكرة عميقة رقم 1 22
- **زهرة كاميليا**
- 1. امرأة أرستقراطية 29
- يوميات حركة العالم رقم 1 35
- 2. حروب ومستعمرات 41
- 3. الكاينش مثل طوطم 45
- فكرة عميقة رقم 2 49
- 4. رفض المعركة 51
- فكرة عميقة رقم 3 55
- 5. ظروف حزينة 57
- 6. فستان بال 59
- 7. في الجنوب المتحد 63
- يوميات حركة العالم رقم 2 65
- 8. نبى الصفوة الحديثة 69

71	9. أكتوبر أحمر
77	▪ فكرة عميقة رقم 4
79	10. قط اسمه جرفيس
83	▪ فكرة عميقة رقم 5
87	11. تدمير ثورة المغول
91	▪ فكرة عميقة رقم 6
95	12. كوميديا شبح
99	13. خلود
101	▪ يوميات حركة العالم رقم 3
105	14. اليابان القديمة
107	15. واجب الأثرياء
111	▪ فكرة عميقة رقم 7
115	16. كآبة القط
121	17. مؤخرة طائر الحجل
125	18. ربابيين
128	▪ فكرة عميقة رقم 8
	▪ من قواعد اللغة
135	1-منتهى الصغر
139	2-في لحظة إمتنان
143	▪ فكرة عميقة رقم 9

151	3- تحت القشرة
157	4- فتات تكسير واتصالية
159	▪ فكرة عميقة رقم 10
165	5- شعور لطيف
169	6- وای
171	▪ فكرة عميقة رقم 11
	▪ مطر الصيف
177	1- خفاء
181	2- عمل الحس الكبير
183	3- خارج الزمن
185	4- عنكبوتی
187	5- دانتيلا وزخارف نسائية
191	▪ يوميات حركة العالم رقم 4
193	6- انتعاش
197	7- مزدان مثل زهرية
201	▪ فكرة عميقة رقم 12
207	8- بالبحيم
209	9- ذهب منطفئ
211	10- أى تطابق؟
213	11- وجود بلا ديمومة

- يوميات حركة العالم رقم 5 215
- 12- موجة أمل 221
- 13- مثانة صغيرة 223
- يوميات حركة العالم رقم 6 225
- 14- واحدة من اللغائف 229
- 15- متوحشة متحضرة جداً 233
- 16- إذن 239
- 17- قلب جديد 241
- 18- نعاس رقيق 243
- فكرة عميقة رقم 13 245
- بالوما
- 1- مشحوذ 249
- 2- هذا الخفى 255
- 3- العدل الصليبي 261
- فكرة عميقة رقم 14 263
- 4- توازن القاعدة 269
- 5- نقيض 273
- 6- القاعدة الحاملة 277
- 7- ليلة زرقاء 281
- يوميات حركة العالم رقم 7 283

285	8- جرعات صغيرة سعيدة
289	9- صنای
291	10- سحب داكنة
295	11- المطر
297	12- أخوات
303	■ فكرة عميقة رقم 15
305	13- في ممرات الجحيم
309	14- من ممشى إلى ممر
310	15- فوق الكتف ونحن نسبح
313	16- يجب أن ينتهى شئ ما
315	17- معاناة جاهزة
317	18- المياه المتحركة
319	19- إنها تلمع
323	20- عشيرة مياه غازية
325	كل أكواب الشای هذه
327	22- عشب البرية
329	23- زهورى الكاميليا
335	■ آخر فكرة عميقة